OLIN
PJ
7750
I13
Z82

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
3 1924 068 906 357

VAR. 48 14. Vaje

الدكتور منير ناجي

ابن هانئ الأندلسي

درس ونقد

دار النشر للجامعيين

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى شباط ١٩٦٢

١٩٦٣

الدكتور منير ناجي

ابن هانئ الأندلسي

درس ونقد

دار النشر للجامعيين

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
ITHACA, N.Y.

مقدمة بقلم
الدكتور ممدوح حقي

كان في الأندلسيين عقدة نقص تشعرهم بأنهم دون المشارقة في السياسة والأدب والعلم والفلسفة ... غير أنهم لم يستيئسوا ولم يتخاذلوا ، بل حاولوا ستر هذا الشعور بالامعان في الدرس والبحث والتتبّع حتى توصلوا الى كثير مما عجز عنه بعض المشارقة، فساووهم ثم بذّوهم وتقدموا هادفين الى مثل عليا ، لو تأنّى بهم الزمان قليلا لأتوا بعدها بالمعجزات .

كان شعورهم بالنقص يستحثهم على الجري في مضمار العلوم والفنون خبباً ووخداً ، حتى اذا آنسوا من نابغة نجحاً ، قاسوه الى ضريع له من المشارقة وحمّلوه لقبه أو كنوه بكنيته ... لا رفعاً لشأنه وحده ، ولا مضاهاة ، بل لأنهم به يرتفعون ومعه يتسامقون ، وبنبوغه يقفون الى جانب المشرق يتباهون ويفتخرون ويثبتون وجودهم في مضمار المنافسة . فابن هانىء الاندلسي ، متنبي المغرب . وابن زيدون بحتري الجزيرة الخضراء . وابن عبد ربّه في عقده ، كالأصفهاني في أغانيه ... وسواهم كثير .

وكنت أقرأ شعر ابن هانىء فالتذّه شاعراً مصوّراً مجلجل الالفاظ على غير عمق . ثم اذا ضاهيته بالمتنبي سميّه ، لا أجده عند ذاك . وأقرأ ابن زيدون فلا ألفيه كفيء البحتري ، فأنكر هذه التسوية على قدامى النقـــاد وأرميهم بالتحيّز ، ثم لا أجد لأزمة البحث حلاً إلا باللجوء الى عقـدة النقص التي كانت تساورهم فتشعرهم بالتواطي عن مرتبة المشارقة ، يغطونها بهذه المضاهاة المتباهية وبما يملكون .

وأعود الى ابن هانىء على فترات متباعدة حيناً ، متقاربة احيانـــاً أخرى أستعرض أماديحه في المعزّ فأستغرب هـــذه اللهجة الصارخة بالكفر والشذوذ على المنطق والبعد عن المعقول ، وأقف عند مثل قوله :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فـأنت الواحد القهّار

أفكّر في هذا التردي الفكري والخيال الصبياني ، وأحاول تأويـله رحمة به وانسجاماً مع الألى ضاهوه بالمتنبي ، فأعزوه الى فلتة لسان في حال استغراق مخمور أو مرض مرهق نبع من حضيض مستنقعه مثل هذا البيت الشاذ !! ولم يكن يمنعني من قبول هذا التأويل الا وجود الطرف الثاني المعني به ، ذلك الملك التافه اذ أعجبه أن يقـــال فيه مثل هذا القول يصنعه شاعر خليع ، ثم لم يقف عند حدود الاعجاب ، بل صفّق له مرحّباً وأجازه عليه !!

وتتملكني الحيرة فلا انطلق من التفكير إلا مرهقـــاً مكدوداً لا أنتهي الى نتيجة ارتضيها ، فأطوي الديوان على ألم محض ، وأتشاغل عن الشاعر الكافر الذي رفعوه الى مرتبة المتنبي ظلماً وعدواناً . وتقف المشكلة المستعصية من غير

حل فلا غموضها المطبق بمستنير ولا ضبابها المركوم بمنزاح ، والديوان المهمل يرنو إليّ من زاويته البعيدة متحدياً ساخراً باستمرار .

وأعاود الكرة فأغالب البحث ويغلبني وأخضع له متصاغراً لكن لا أستسلم وطال عذابي فيه زمناً لا استطيع تحديده حتى اهتديت الى شعاع ضئيل كشف لي سره رويداً رويداً وأنار طريقي فمشيت فيه وئيداً لا أتعثر . واطلعت من بعد على رسالة الدكتور منير ناجي هذه فأفدت منها علماً عرفت به من امر ابن هانيء ما غفل عني زمناً طويلا ، وادركت ان الشاعر لم يكن في كل كفره الا منسجماً مع نفسه اتم انسجام ، متمشياً مع روح عقيدته تمشياً دقيقاً واضحاً جداً . وان ما نرى فيه من كفر وزندقة ومن مبالغات جامحة تجعل من مليكه آلهاً يتحكم في الاقدار ؛ لا يعدو ما يعتقده اعتقاداً جازماً ويؤمن به ايماناً عميقاً ، فالشاعر اسماعيلي باطني ، والاسماعيلية يرون إمامهم آلهاً حقاً يتحكم في الاقدار ويتصرف بالقضاء ويمحو ما يشاء ويثبت .. وانه لا يمكن تفسير ابن هانيء الا على هذا الاساس . ونظرت ، فاذا شعراء الاسماعيلية جميعاً على هذا النمط . واكبرت في الدكتور ناجي تنبهه الى هذه الناحية من نفسية الشاعر ووضعه بحثاً قائماً بذاته في الاسماعيلية ، تعرض فيه لتاريخها وعقائدها وشعرائها تعرضاً استوفاه فيه خبراً مما كنت قد تعرضت له في كتابي « الابيوردي » منذ خمس سنوات . ووليت التطلع الى الآفاق الفسيحة التي فتحها الدكتور ناجي من وراء بحوثه الاخرى في الشاعر وانتشيت بطريقته العلمية في الدرس واسلوبه الموضوعي . وعدت الى الديوان فقرأته لآخر مرة تحت هذا الضوء ، هادىء النفس قريراً واسترحت . وكان الفضل في ذلك كله للدكتور ناجي فقد سلك في عرضه طريقتي إميل فاكه وجول لوميتر معاً ، وتعمق فيه مستعيناً بآثاره وهي شاهد صدق ، وبالتاريخ وبملاحظات اساتيذه ، وأقر لهم بفضل

السبق والرعاية ، وهم من كبار المستشرقين الاسبان . فدل بذلك على نبل نفسه وسمو خلقه وعلو كعبه في التواضع العلمي والتجرد الباحث المنقب .

ولقد بحثت عن قبر ابن هانيء في برقة مراراً اذ كنت هناك مستشاراً للمعارف ، وتحريت كثيراً ولكن جميع جهودي ذهبت عبثاً للبعد الزمني الفاصل بيننا وبينه . وما توالى على البلاد من حروب وكوارث وهزات ضخمة ، محت فيها معالم كبيرة بارزة . لا يقاس ابن هانيء الشاعر الاسماعيلي إلى احقرها الا كما تقاس الذبابة الى الثور . وان كلمة « برقة » التي قيل انه قتل فيها لا تعني على اطلاقها ، مكاناً معيناً محدوداً ؛ فهي في ليبيا القطر الشرقي كله ، او منطقة بنغازي واجرابيا والبادية المنحازة وراء الجبل الاخضر ممادون الصحراء ويسمونها « برقة البيضاء » . او المنطقة الشرقية من الجبل الاخضر وتسمى : « برقة الحمراء » . او مدينة المرج ، في قلب الجبل الاخضر ، ويسميها الطليان « بارشة » تحريفاً عند «برقة» فاي واحد منها يقصده المؤرخون ؟! أضف الى ذلك ان الحادث الذي اغتيل فيه الشاعر ، مغمض مبهم ، ولعله من القذارة بحيث يتحاشى المهذبون الخوض فيه .

ومهما يكن من امر فالشاعر مغن موهوب جدير بالتقدير . والفن يحايد العقائد الدينية والمذاهب الفلسفية والتحزب القومي ... ويحلق في سمائه بعيداً عن دنيا المنازعات والاحقاد . وما اجدر ابن هانيء بتكريم يحيي ذكراه الفنية في مثل كتاب الدكتور ناجي ؟!

واذا كان لي بعد ذلك ما اقول ؛ فمنية تمنيت ، لو تحققت لجاء الكتاب تاماً لا شائبة فيه . ان ابن هـانيء الجزل جدير باسلوب جزل يتحدث عنه ليتم التساوق والانسجام ، ويتكامل الجو الفني بين الشاعر والباحث .

دمشق ممدوح حقي

مقدمة المؤلف

كانت غايتي من هذه الرسالة ان ألقي ضوءاً على شاعر عربي اسباني مغربي ، أهمله قومه وأهمله الباحثون من قدماء ومحدثين ؛ هذا الشاعر هو محمد بن هانيء الأندلسي، شاعر المعز لدين الله الفاطمي ، وشاعر العقيدة الاسماعيلية بلا منازع، وانا يوم حضرت الى مدريد لمتابعة دراستي في جامعتها ، والفضل في ذلك يعود للحكومة الاسبانيـة التي قـدمت منحتين للحكومة اللبنانية بواسطة المعهد الاسباني العربي للدراسات الاسلامية في هذه المدينة كنت انا احـد اثنين نالاهما لم يكن لدي اية فكرة عن مثل هذا الموضوع الذي لم أكن اعرف عنه الا قليلا مما في بطون كتب الأدب الحديثة ، وكان يشرف على هذه الرسالة المستشرق الاسباني الذي لا يحتاج الى تعريف الاستاذ اميليو غـارسيا غومس الذي تفضل بقبول توجيهي وارشادي في هذا البحث .

وكنت قد عرضت عليه موضوعات كثيرة فلم يوافق عليها ، ولمـا عرضت عليه بحث ابن هانيء وافق ، وانصرفت تماماً لأعداد هذا البحث ، وكنت استعين بتوجيهات الاستاذ تيريز سادابا والدكتورة سولداد خيبرت ، وذلـك عندما كنت اجتمع بهما في مدرسة الدراسات العربية في مدريد؛ وكان علي ان اسأل ، وأناقش ، وأستوضح ، ووجدت عندهما من رحابة الصدر مـا شجعني

على المضي في الأخذ بآرائها ، والعمل بنصائحها ، بالاضافة الى نصائح الاستاذ المشرف . وكان علي في دراستي النقدية هذه ان اوضح ما خفي عند الشاعر — اذ لا نعرف نثراً لابن هانيء — ، اذ أرى ان مهمة الناقد هي ان يعرف الناس بالاديب ، محاولاً جهده ان يظهر الحقيقة بأقصى ما يستطيع من النزاهة وعدم التعصب. وشيء آخر اود أن اشير اليه هو ان اضواء البحث فيما سبق لم تصل الى الشاعر ككل ، بل كانت تصل بشكل ضعيف الى نواح قليلة من هذا الشاعر ، ولذا رحت ابحث ، مستنيراً بتوجيهات الاستاذ غومس ، وأحاول ان أجلو ما غمض من حياة هذا الشاعر معتبراً اياه وحدة نفسية تامة ، ذات اهواء مختلفة ، وان كان يستطيع الشاعر ، ان يتصنع ما ليس من طبعه ، فيجيد حينا ، ويخفق حيناً آخر .

وقد حاولت في هذه الدراسة ان اخرج على الطريقة التقليدية في البحث ، فلم اوفق ، بل رأيتني لا استطيع الخروج من الدائرة المرسومة لمثل هذه الابحاث من حيث الفنون الشعرية وقد جمعت بين طريقة اميل فاجيه Emile Foguet في نقده التفصيلي بمحاولتي التوصل الى معرفة نفسية الشاعر ، وطريقة جول لوميتر Jules Limaître في طريقته التأثرية القائمة على تقدير قيمة الشاعر بالنسبة لما يترك شعره في النفس من أثر ، وقد اكون قسوت احياناً على الشاعر دونما قصد او مدحته اكثر مما يجب ، وما كان ذلك ليحصل لولا اني كنت أقول ما أحس ، جاهداً ان أكون منصفاً في كل ما أقول ، بعيداً عن التعصب بأي شكل من اشكاله كان ، ولم أتأثر بالمظاهر الدينية ، ولا الخلقية ، ولم انظر اليه الا من الزاوية الفنية ، فالمقاييس الخلقية لا أعطيها وزنا في الشعر ، وكذلك المقاييس الدينية وان كان لهذه وتلك علاقة بسلوك الانسان في بعض الاحيان ، بل تجردت — بقدر المستطاع — عن كل هوى وغاية ورحت أحكم العقل والمنطق في الحكم على هذا الشاعر .

وقد تتبعت في بحثي الخطوات التي اعتبرتها ضرورية لفهم الشاعر ، فوطأت

للبحث بحديث عن العقيدة الاسماعيلية، معتبراً أن فهم العقيدة يسهل فهم الشاعر، ثم تحدثت .

١ – عن حياة الشاعر وجلوت بقدر الامكان ما كان غامضاً فيها .

٢ – وحاولت تأريخ قصائد الشاعر ما أمكن السبيل الى ذلك .

٤ – ثم استخلصت ما استطعت من الدلائل الحضارية من شعره .

٤ – وتحدثت بعد ذلك عن الفنون الشعرية عنده .

٥ – كما اضطررت الى المقـــابلة بينه وبين المتنبي في المواضع التي اعتبرتها متشابهة وما احجمت عن اعطاء رأي فيها .

٦ – ثم اعطيت رأياً اجمالياً في الشاعر .

وقد حاولت ان اكون موضوعياً في بحثي ، وارجو ان أكون قد وفقت ، وعزائي هو أن أرى انني استطعت ان اضيف شيئاً على هـــذا التراث الادبي الضخم وان أكون قد أصبت في آرائي ، وان كان عكس ما أردت ، فأرجو ان اعذر، والله ولي التوفيق .

بيروت في ١٣ – ١٠ – ١٩٦١ **منير ناجي**

أثر العقيدة الاسماعيلية في شعر ابن هاني

ما كنت لاتحدث عن الاسماعيلية لولا اني اعتـــبرها الاطار الروحي الذي تحرك فيه الشاعر الذي نحن بصدده ، تحركا ارتقائيا تصاعديا ، لا امتدادا افقيا، ذلك ان شاعرنا ابن هانيء، راح يتدرج في هذه العقيدة تدرجا يمكننا ان نعده بطيئا ، بيد انه لا يمكن ان يكون سريعا ، وان تعاليم هـــذا المذهب لتبدو واضحة في شعره حتى قيل ان ديوانه خير ما يمثل هـــذه الفكرة من الكتب الاسماعيلية التي بـين ايدينا . واني لا انكر اني شعرت ، وانا اقرأ ديوان ابن هانيء، اني امام افكار جديدة لم آلفها من قبل ، ولم اجد لها تفسيرا مرضيا الا في تعاليم الاسماعيلية يوم عدت الى هذه التعاليم احاول على ضوئها تفسير افكار ابن هانيء الغريبة بالنسبة الي ، ومن ثم انتهيت الى التقدمـــة لدراسة الشاعر ، ببحث عن هذا المذهب ، في نشأته وتطوره وتعاليمه ، حتى يكون بمقـدورنا تفهم الشاعر تفهما ارجو ان يكون كاملا ، ثم اني لم اعتمد المصادر السنية وحدها فقط لمثل هذا البحث بل حاولت الحصول على بعض المصادر الاسماعيلية وهي على قلتها قد تكون مفيدة جدا لبحثنا . فما هي اذن هذه العقيدة ، وكيف نشأت وتطورت ، وما هي تعاليمها ؟

قبل ان اجيب على هذه الاسئلة ، اود ان اقول اني ما اعطيت رأيا في هذه العقيدة ، بل اكتفيت بعرض آراء مؤيديها وخصومها وابتعدت عن البت بمشكلة

من مشاكلها ولا يعني هذا اني لم أكوّن عنها رأيا خاصا بي بل ان لي رأيا احتفظ به حتى لا يقال اني متحيز لفئة دون فئة انظر بمنظارها واقول بما تقول ، لذا تركت رأيي جانبا واعتمدت العرض حتى لا يتأثر آخر به فينظر بمنظاري ايضا .

« الاسماعيلية عقيدة رافقت الكون منذ ابتدائه ، فكانت مقصورة على فئة من الناس الباصرين ، والانبياء الناطقين ، والائمة المعصومين ، والدعاة والحجج الملهمين[1] ، «وهي ايضا كما يراها عارف تامر « نظرية فلسفية ، وفكرة انسانية ، تقوم على اسس قويمة من المعرفة ، ودعائم ثابتة من البيان المحجوب الا عن المرتاضين ».[2]

فهي اذن عقيدة قديمة وقديمة جدا رافقت الكون منذ كان هذا الكون وقال بها الانبياء الناطقون وهم آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وقائم الزمان.[3] وهذا يعني انه لا يمكن تحديد زمن نشأتها ، وكيف يمكن ذلك وقد قال بها آدم ، بيد ان التاريخ يرينا ان نشأتها كانت يوم اختلف على خلافة اسماعيل بن جعفر الصادق ، وكان انقسام بين الشيعة ادى الى وجود الاسماعيلية والاثني عشرية كفرقتين هامتين من فرق الشيعة المتعددة ، والشيعة في الاصل هم المؤيدون والانصار ، او الفرقة على حدة وشيعة علي هم الذين ايدوه ، وناصروه ، وراوه احق بالخلافة من غيره ، وكان هناك خلاف بين المسلمين وتنافر تفصله كتب التاريخ الاسلامي ، غير انه من الواجب ان نشير الى ان اما كثيرة دخلت الاسلام ، كان بعضهم مخلصا في اعتناقه هذا الدين ، وبعضهم مكرها ،

---

(١) عارف تامر : اربع رسائل اسماعيلية . سلمية — سورية ١٩٥٢ . ص ٧ مقدمه

(٢) عارف تامر : اربع رسائل اسماعيلية . سلمية — سورية ١٩٥٢ . ص ٦ مقدمه

(٣) عارف تامر : اربع رسائل اسماعيلية . سلمية — سورية ١٩٥٢ . ص ١١ مقدمة و ٣٤ من رسالة مطالع الشموس في معرفة النفوس للداعي شهاب الدين ابي فراس . نشرها عارف تامر في اربع رسائل اسماعيلية .

او سعيا وراء غاية ، يرى امكانية تحقيقها من وراء انتسابه الى هـــذا الدين ، ويغتنم المكرهون ، وذوو الغايات ، فرصة انشقاق المسلمين السياسي ، ليعملوا لمصلحتهم تحت ستار من التشيع براق ، متخذين من حبهم لآل البيت ذريعة لهدم الدين الجديد ، وكان ان زادوا الطين بلة ، اذ زادوا التفرقة عمقا ، وقووا عنصر الخلاف بنظرياتهم الجديدة ، التي اتوا بها لاثبات حق علي وابنائه في خـــلافة الرسول ، وكانهم يرمون من وراء ذلك . الى اثارة فتنة بـــين معتنقي العقيدة الواحدة ، لا يستفيد منها الا الذين في قلوبهم غل على الدين .

نشأت الشيعة يوم فكر في خليفة للرسول ، وكان هناك اناس يرون الخلافة من حق علي ، غير ان القدر لم يسعفهم ، فكان ان انتخب ابو بكر ، ومن بعده عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ، وكان انصار علي يمنون النفس في كل مرة بالوصول فيخفقون ، وهم في اخفاقهم ، يزدادون تعلقا بصاحبهم ، وتفانيا بحبه . واغتنمها فرصة مؤاتية ، من كان في نفسه غاية ، فهو يبطن خلاف ما يظهر ، فاندفع يغلو بعلي غلوا منكرا ، يستنكره حتى بعض اشياع علي .

ظهرت حركة الغلو في حياة علي ، وكان اول من قال به ، عبدالله بن سبأ يوم قام الى علي « وهو يخطب فقال له : أنت أنت ، وجعل يكررها ، فقال له علي . ويلك ، من انا ؟ فقال انت الله[1] فأخذه علي ، واخذ معه جماعة من اصحاب مقالته ، فقتل منهم قوما و تشفّع بآخرين ، وكان ممن تشفع بهم عبدالله ابن سبأ اذ اظهر توبته ، غير ان عليا نفاه الى المدائن ، ويبدو انه صادف هناك ارضا طيبة فاخذ يبث تعاليمه برفق واناة حتى قتل علي ، ولما اخبر بقتله قال : « والله لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرة ، لعلمنا انه لم يمت ، ولا يموت ، حتى يسوق العرب بعصاه . [2] » هنا نلاحظ انه ظهر الى جانب التشيع الحسن ،

---

(١) هاشم معروف : عقيدة الشيعة الامامية ص ٢١٦

(٢) هاشم معروف : عقيدة الشيعة الامامية ص ٢١٦

« تشيع قبيح ، يتخذه معتنقوه وسيلة لهدم العقائد ، واثارة الروح الشعوبية ، وقلب نظام الحكم ، تحت ستار الدعوة لعلي وابنائه ، وتعتبر حركة الاسماعيلية مزاجا من النوعين معا فبينما نرى بعض ائمتهم وانصارهم على اخلاصهم للاسلام ، نرى بعضهم الآخر ، يتخذ انتمائه الى جماعة الاسماعيلية ، وسيلة لبعث مبادىء تقوم على الالحـــاد ، وتحض على الثورة لذلك قالوا قـــديما : التشيع عش الزندقة . [1] »

ولما كان العهد الاموي ، انضم خصومهم السياسيون، الناقمون على حكمهم ، والشعوبيون من اعداء الدين الاسلامي ، الى الشيعة ، وحملوا لواءها ، وراح كل يعمل لتحقيق غايته ، ونشر فكرته ، تحت ستار التشيع والدعوة لآل البيت ، غير ان التيارات الفكرية ما لبثت ان ظهرت ضمن هذه الجمـــاعة ، فحدثت مذاهب وعقائد جديدة على الدين ، وجديـــدة على العقلية العربية البسيطة ، البعيدة عن التعقيد ، وكأني باصحاب هذه النظريات الجديدة وهم في اكثريتهم من غير العرب يغتنمون هذه الاوضاع ، ليحدثوا في الاسلام احـــداثا عظمة ، يحاولون ابعاد الدين عن اتجاهه الواضح ونهجه الصحيح فهـــذا المغيرة بن سعيد مولى بجيلة يقول في علي : « لو شاء لاحيا عادا وثمودا وقرونا بين ذلك.[2] » ثم يدعون حلول الذات الالهية في علي وخلفائه ، وهدموا اركان الدين ، ورفضوا القول بالبعث والحساب ، واسقطوا الثواب والعقاب ، وقالوا ان الثواب والعقاب ملاذ هذه الدنيا ومشاقها[3] كالنصيرية ، اصحاب محمد بن نصير احـــد اصحاب الحسن العسكري ، والاسحاقية التي تقول بالاباحة واسقاط التكاليف ، وهم

---

(١) حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف : عبيدالله المهدي ص ٢٢

(٢) هاشم معروف : عقيدة الشيعة الامامية ص ٢١٧

٣ – هاشم معروف ؛ عقيدة الشيعة الامامية ص ٢١٧

اصحاب اسحاق بن زيـــد بن الحرث ، والاسماعيلية التي نحن بصدد الحديث عنهـــا .

والواقع هو ان الاسماعيلية هي الفرقة الغالية الوحيدة التي استطاعت ان تصل الى الحكم ، فتؤسس دولة في المغرب الافريقي ، ثم في مصر ، وتدخـل سوريا في حكمها ، وتسيطر على اجزاء من الجزيرة العربيه ، وتهـــدد بغداد ، وتجد اشياعا في فارس وبلاد الديلم . فكيف نشأت هذه الفرقة ومـــا هي عقائدها ؟

نشأتها

لما توفي الامام جعفر الصادق(٨٣-١٤٨) انقسم الشيعة فريقين ، فريقا يؤيد اسماعيل بن جعفر ـ وكان قد توفي قبل ابيه فلم يقبلوا بنقل الامامة الى اخيه موسى الكاظم ـ وفريقا قال بامامة موسى الكاظم ، لانه عاش بعد ابيه ، وهؤلاء هم الاثنا عشرية . وراح الاسماعيليون يؤيدون نظريتهم ، فنفى بعضهم ان يكون اسماعيل قد توفي قبل ابيه ـ وادعوا انه شوهد بالبصرة بعد اعلان الوفاة ، وعلى هذا تكون الامامة اصلا له لانه الولد البكر لجعفر ، ورأى فريق يؤمن بوفاة اسماعيل قبل ابيه ان النص الاول هو الذي يعمل به وان اسماعيل هو الامام اصلا لانه الولد البكر وصاحب الحق ، ولم ينفوا امامة موسى الكاظم ولكنهم اعتبروها امامة مؤقتة لا تبقى في عقب موسى ، وانما حملها هذا ريثما يبلغ ابن اخيه اشده ، فيردها له على اعتبار انه صاحب الحق الاصيل ، وابتدعوا نظرية غريبة ليؤيدوا رأيهم هي نظرية الامام المستودع والامام المستقر ومعنى هذا انه عندما يكون الامام الاصيل ، غير قادر على حمل الرسالة ، ـ لصغر سن مثلا ـ يقوم بحملها آخر هو الامام المستودع ، يردها له متى بلغ السن التي تخوله حمل هذه الاعباء ، وعلى هذا فلم ينكروا امامة موسى الكاظم ، بـل اعتبروه

اماما مستودعا حمل الرسالة عن محمد بن اسماعيل الذي كان قاصرا عن حملها لصغر سنه ، وكان عليه ان يردها له عندما يبلغ اشده ، وقد تم كل هذا باشراف الامام جعفر الذي عين ابنه موسى الكاظم اماما مستودعا ليكون سترا على الامام المستقر الذي هو محمد بن اسماعيل . وهم يرون ان موسى الكاظم استبد بالامامة دون ابن اخيه محمد ابن اسماعيل[١] بعد موت الامام جعفر الصادق . وليتجنب ابناء اسماعيل الاضطهاد الذي كان يلقاه العلويون ، ذهب ابنه البكر محمد الى بلاد الري ، ودخل اولاده خراسان ومنطقة قندهار ، ثم دخلوا فيما بعد الهند[٢] ، ونظرا لان محمد عاش متسترا ، فانهم يعتبرون هذا الدور دور الائمة المستورين « الذين يسيرون في الارض سرا ويظهرون الدعاة جهرا [٣]» ينشرون التعاليم الباطنية ، وكانت نقطة انطلاقهم تأويل الآيات القرآنية[٤] ، معتمدين في تأويلهم على ما وصلهم مما نقل الى العرب من آثار هؤلاء الفلاسفة ـ يونانيين واسكندريين كفيلون وتلاميذه ـ ولكنهم صبغوا تأويلهم بالصبغة الاسلامية ، كعادتهم دائما في كل ما اخذوه من العلوم والفلسفة الاجنبية [٥] .

ويذهب الاسماعيليون الى ان محمد بن اسماعيل « أتى بدين جديد ، نسخ به الشريعة التي سبقته ، حتى لقد فضله الاسماعيلية على أبيه اسماعيل خاتم الائمة الصمت ، فهو في نظرهم جمع بين درجتي النطق والامامة ، ورفع عنهم التكاليف الظاهرية للشريعة ، بمناداته بالتأويل ، واهتمامه بالمعنى الباطن ، وغضه من شأن

---

١ – حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف : عبيد الله المهدي ص ٣٧

٢ – دائرة المعارف الاسلامية – فرنسي – مجلد ٢ – ص ٥٨٥

Encyclopédye de l'Islam t. II P. 585

٣ – عقيدة الشيعة الامامية ص ٢٣٤

٤ – دائرة المعارف الاسلامية ص ٥٨٥

٥ – محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ١٠

المعنى الظاهر »[1] وعلى هذا اتكل اشياعه من بعده في تأويل كتاب الله بما يتفق واهواءهم الشخصية ، وذهبوا في هذا كل مذهب حتى اضطر بقية المسلمين الى تكفيرهم ، والشيعة الامامية ترى انهم اسوأ حالا من الغلاة والخوارج، ومن الظلم نسبتهم الى الاسلام ، فضلا عن التشيع الى آل البيت »[2] . وجاء بعد محمد بن اسماعيل عبدالله الرضي ، ثم احمد بن عبدالله الرضي ، ثم ابنه الحسين . وفي عهد هذا الامام ، انتشرت الدعوة في شرق البلاد الاسلامية وغربها ، وخاصة في اليمن ، على يد تابعه ابن حوشب ، وفي بلاد المغرب ، بواسطة الحلواني وابي سفيان ، وبين القرامطة وفي بلاد خراسان على يد ابناء القداح ،[3] وذلك بشكل جمعيات سرية تعمل على نشر الدعوة ، وهدم الدولة العباسية « وكان عبيدالله المهدي حجة للامام الحسين في اخريات حياته[4] فاتخذه اماما مستودعا لينقل الامامة لابي القاسم ابن الحسين الذي ولي الخلافة بعد عبيد الله المهدي ، وعرف بالقائم .

وعبيد الله الملقب بالمهدي هو من سلالة ميمون القداح اول حجة اتخذه الائمة المستورون حسب اقوال خصومهم او من سلالة علي بنظر انصاره ويعتقد دوزي، ان في قلب تلك الجمعيات السرية الاسماعيلية ، نشأ عبدالله بن ميمون من عائلة كانت تدين بالديصانية[5] ويقول عنه دوزي انه كان في قرارة نفسة يحتقر الشيعة ، ولم يكن يرمي من وراء انتسابه الى آل البيت الا لتحقيق مشاريعه ، وهو كفارسي يكره عليا وابناءه، والعرب، ويقدر انه لو توصل احد ابناء علي

---

١ – عبيد الله المهدي ص ٣٩

٢ – عقيدة الشيعة الامامية ص ٢٣٨

٣ – عبيدالله المهدي ص ٢٣٨

٤ – عبيد الله المهدي ص ٤٥

٥ – Dozy: Histoire des musulmans d'Espagne T III. P. 7

الى الخلافة واقامة حكومة في فارس . فلن يربح الفرس شيئا من ذلك ، وكان يحض اشياعه على قتل العلويين[1] ؛ ويرى آخرون ان سلوكه هذا كان امعانا في التخفي والتقية ![2] وعلى كل فقد كان لعبدالله هذا فضل كبير في نشر الدعوة والعمل لها بجد ، ويظهر ان عبيدالله المهدي ادعى انه من آل البيت من ابناء فاطمة ولما انشأ دولته في المغرب ، عرفت هذه بالدولة الفاطمية . ويقول ابن النديم : ثم نظر ان ما ادعاه من نسبه لا يقبل منه ، فأظهر غلاما حدثا وزعم انه من ولد محمد بن اسماعيل ، وهو الحسن ابو القاسم القائم بالامر بعد عبيد الله »[3] ومهما يكن فقد اتهم عبيدالله في نسبه اذ ان النسابين ينكرون على الفاطميين نسبتهم الى علي « لا سيما اهل بغداد ولا سيما المرتضى اخي الشريف الرضي »[4] .

ونحن لا يهمنا ان نحقق نسبهم ، بل ان كل ما يهمنا هو ان نستعرض الواقع التاريخي ، وان نتعرف الى تعاليمهم لان لها مساسا بتفكير شاعرنا ابن هاني الاندلسي ، موضوع بحثنا هذا ، وما يجب ان نؤكد عليه ، هو ان المهدي استطاع ان يؤسس دولة في المغرب يوم قضى على الاغالبة في افريقيا سنة ٢٩٦هـ دامت حتى بعيد انتقال المعز لدين الله الفاطمي الى مصر سنة ٣٦٠ هـ ٩٧٠ م ، وقد استطاعت ان تقاتل هذه الدولة الروم ، والامويين في الاندلس ، والعباسيين وتثبت اقدامها في مصر ، حتى قضى عليها صلاح الدين الايوبي سنة ٥٦٧ هـ ١١٧١ م .

---

١ – Dozy: Histoire des musulmans d'Espagne. T.III. P.7

٢ – عبيدالله المهدي ص ٤٠

٣ – ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٥

٤ – شرح لمحة من اخبار المعز مخطوطة في الاسكوريال رقم ١٧٦١ مجهولة المؤلف ص ٢

تعاليم الاسماعيلية

يشترط الشيعة لصحة الاسلام الاعتراف بالامام ومبايعته ، ويقولون ان من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية ، وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة امام ، مات ميتة جاهلية .»[1] وقد تبنى الاسماعيلية هذا الشرط لكونهم – في الاصل فرقة من الشيعة ، واعتبروا الامامة في علي ، ثم في عقبه من بعده ، وقد جعلوا من علي شريكا وشبيها للنبي في كل شيء ، ورووا عن النبي انه قال « لم ازل انا وانت يا علي من نور واحد ، ننتقل من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الزكية ، كلما ضمنا صلب ورحم ، ظهر لنا قدرة وعلم ، حتى انتهينا الى الجد الافضل ، والاب الاكمل ، عبد المطلب ، فانقسم ذلك النور نصفين في عبدالله وابي طالب ، فقال الله تعالى : « كن يا هذا محمدا ويا هذا كن عليا.[2] »

اما عبدالقاهر البغدادي فيرى ان الاسماعيلية « دهرية زنادقة ، يقولون بقدم العالم ، وينكرون الرسل والشرائع كلها ، لميلها الى استباحة كل ما يميل اليه الطبع[3] » ويستدل على ذلك من رسالة يعزوها الى عبيدالله بن الحسين القيرواني المهدي ، كتبها الى سليمان بن الحسن الجنابي ، وفيها يقول : « ادع الناس بان تتقرب اليهم بما يميلون اليه ، واوهم كل واحد بانك منهم ، فمن آنست منه رشدا ، فاكشف له الغطاء ، واذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به ، فعلى الفلاسفة معولنا ، وانا واياهم مجمعون على رد نواميس الانبياء ، وعلى القول بقدم العالم ، لولا ما يخالفنا فيه بعضهم من ان للعالم مدبرا لا نعرفه.[4]» وذكر في هذه الرسالة أبطال القول بالمعاد والعقاب ، وقال : ان الجنة نعيم الدنيا وانما العذاب اشتغال اصحاب

---

١ – ابن حزم : الفصال في الملل والنحل – بهامشة الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٢٩

٢ – محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ٦

٣ – ٤ + عبدالقاهر البغدادي الفرق بين الفرق ص ١٧٧ وما يلي .

٤ – عمر الدسوقي : اخوان الصفا ص ١٤٨

الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد ، ويقول : « ان اهل الشرائع يعبدون الها لا نعرفه ، ولا يحصلون منه الا على اسم بـــلا جسم ، كما قال : « أكرم الدهرية فانهم منا ونحن منهم[1] » « ويزعمون ان الانبياء قوم احبوا الزعامة ، فساسوا العامة بالنواميس والحيل ، طلبا للزعامة بدعوة النبوة والامامة ... ثم تأولوا لكل ركن من اركان الشريعة تأويلا يورث تضليلا ، فزعموا ان معنى الصلاة ، موالاة الامام ، والحج ، زيارته ، وادمان خدمته ، والمراد بالصوم ، الامساك عن افشاء سر الامام دون الامساك عن الطعام . والزنى عندهم افشاء سرهم بغـــير عهد وميثاق ، وزعموا ان من عرف معنى العبادة ، سقط عنه فرضها ، وتأولوا في ذلك قوله : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين »[2] .

ونحن وان كنا نشك في صحة هذه الرسالة ، نعترف بأن فيها الكثير مما قالوا به ، ومع هذا تبدو فكرة الامامة التي قالوا بها قناعا يسترون وراءه افكارا مغايرة للدين ، « ولم تكن الا تكأة اسلامية المظهر اعتمدوا عليها كأداة للتقويض والتدمير[3] » وقد اتخذوا من التعاليم الافلاطونية والفيثاغورية اساساً لبناء عقيدتهم وكانت الاسرار تعطى للمريدين تدريجيا ، حتى اذا انتقض احدهم قبل ان يتمها ، كان لا يعرف الشيء الكثير عنها كما كانوا يعلمون الطالب شيئا من فلسفه افلاطون وارسطو والثنوية[4] وكانت المراتب التي كان على الطالب ان يمر بها ، سبعاً في ايام عبدالله بن ميمون ، ثم تسعاً في ايام الحـاكم بامره الذي اسس دار الحكمة في القاهرة[5] وسنوجز اهم تعاليمهم تحت ثـــلاثة مبادىء هامة هي :

---

١ + ٢ ـــ عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٧٧ وما يلي

٣ ـــ عمر الدسوقي : اخوان الصفا ص ١٤٨

٤ ـــ 8 Carra de Vau penseurs de l'Islam T.V. p.33

٥ ـــ محمد عبدالله عنان : تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ص ٤٢

١ — مبدأ الامامة

الامامة ضرورة لا غنى عنها ليتم الاسلام ، ولا بد لكل زمان من امـــام يتولى شرح التعاليم الدينية وتأويلها ، « واعلم ان الامام الموجود للانام ، لا يخلو منه مكان ، ولا يحوزه مكان ، لانه الهي الذات سرمدي الحياة ، ولو لم يتأنس بالحدود والصفات لما كان للخلق الى معرفته وصول ، فهو شمس فلك الدين ، وآية الله في السموات والارض ، وبه صلاح العالم باسره ، كما ان الشمس هي الباعثة في العالم روح الحياة . وهو قلب هذا العالم ومدبره وممده . فبمعرفته وطاعته والتخلي عن ضده صلاح المؤمنين ، وهو فرد الحقيقة ، ومرتب الدوام ، وموجد النظام ، وهو القائل عن نفسه : ظاهرنا امامة ، وباطننا غيب لا يدرك . — وقال: عبدي اطعني ، اجعلك مثلي ، حيا لا تموت ، وعزيزا لا تذل ، وغنيا لا تفتقر ....»[1] بل ان الامام في نظر الاسماعيلية « علة المخترعات ، وحياة الكل ، وبه ترتب الخلق والدين ، تأنس بواحد للوجود ، وهو موجود غـــير مفقود ، لا يدركه الزمان ، ولا يدخل تحت حوادث الايام ... »[2] ثم انهم يرون ان « لا وصول الا بالامام ، ولا طاعة الا بولي... ولا اسلام الا بالانقياد ، الى الائمة الراشدين ارباب الكشف والتأويل ، ولا اعتقاد الا اعتقاد اصحاب السنة والتنزيل ، ولا مذهب الا مذهب اسماعيل ، ويعتقدون ان لكل نبي ناطق اي مشرع جاء لهداية المخلوقات ، وتنظيم المبدعات ، وسن الشرائع والاحكام ، والتبليغ والانذار ، والشهادة ، اساساً مهمته التأويل ، وشرح المعتقدات والاحكام التي جـــاء بها الناطق ، والانبياء النطقاء المشرعون عندهم سبعة ، هم آدم ونوح ، ابراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد ، القائم وهم الذين اختصوا بالتنزيـــل ، واسسهم ايضا

---

١ — عارف تامر : اربع رسائل اسماعيلية ص ٥٥
٢ — عارف تامر : اربع رسائل اسماعيلية ص ٥٥
٣ — عارف تامر : اربع رسائل اسماعيلية ص ٩١

سبعة ، هم : شيت ، سام ، اسماعيل ، هرون ، شمعون ، علي ، واساس القائم « الذي لا يمكن اذاعة اسمه حرصا على سرية المعتقدات [1] » وهؤلاء هم اصحاب التأويل فعلي اساس محمد يؤوّل الشريعة وعنه ورث ابناؤه من بعده هذا التأويل والامام معصوم وان ارتكب المحرمات ، وهو قادر على فسخ الشريعة وابطال عملها ، على حين لا يعصم غيره من الانبياء [2] وما من احد غير الامام بقادر على فسخ الشريعة ، وعنه يمكن ان يأخذها اتباعه ، وقد رتب الاسماعيلية دعوتهم على اثنتي عشرة مرتبة ثلاث منها فوق القدرة البشرية ، لا يمكن الوصول اليها الا لمن ارتضاه الله لذلك ، وهي مرتبة الناطق ، ومرتبة الاساس ، ثم مرتبة الامام المحصورة في ورثة علي ، ثم من بعد في اسماعيل بن جعفر واحفاده ، والمراتب الاخرى هي : حجة باب ، داع ، متم ، لاحق ، جناح ، مأذون ، مكاسر ، مستجيب ، والدعاة عددهم اثنا عشر داعيا .

هذا هو رأي الاسماعيلية فيما يتعلق بالامامة وسنعرض فيما بعد عند التكلم عن الحلول الى آرائهم في الامـــام ، ووصفه باوصاف الهية ثم الى رأيهم في التنزيه .

مبدأ الاشتراكية

اتخذ الاسماعيلية الاشتراكية ، بعض الاسماعيلية وخاصة القرامطة ، اساسا لمجتمعهم ، وراحوا يتوسعون في شرحها ، واستغل البعض منهم هذه الافكار ، فدعا الى الاباحة في النساء الى جانب الاشتراك في المال ، مستغلا في ذلك التعاليم

---

١ ـــ عارف تامر : اربع رسائل اسماعيلية ص ١١

٢ ـــ حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف : عبيدالله المهدي ص ٢٨٣

٣ ـــ عارف تامر : اربع رسائل اسماعيلية ص ١٣

المزدكية الداعية للاباحة ، وعلى هذا راحوا يـــدعون لنظريتهم الاشتراكية والاباحية فيحللون ما حرم، ويحرمون ما احل ، ويبطلون احكام الشريعة قائلين **بالتشريق** اي بمقالة المتفلسفة من المشارقة . وروى ابن عذاري ان منيب بن سليمان المكناسي الداعي اظهر « التشريق بجانب تيهرت ، وتحليل المحرمات، وقيل ان عبيدالله وجهه وغـــيره الى الاطراف وامرهم باظهار التشريق ، فان وجدوا الناس محتملين ، له ومغضين عليه ، نشروه عند العامة واظهروه . فلما كشف منيب بجبل ونشريش ما امره عبيدالله به ، وكان الرجل يدخل الى حليلة جاره فيطؤها وزوجها حاضر ، ينظر اليه ، ثم يخرج فيبصق في وجهه ، ويصفع قفاه ، ويقول له تصبر ، فاذا صبر عد كامل الايمان وسمي من الصابرة. [1] » ويـــذكر ايضاً في حديثه عن عبيدالله المهدي ما يلي : « واظهر عبيدالله التشيع القبيح ، وسب اصحاب النبي وازواجه حاشا علي بن ابي طالب ، والمقداد بن الاسود ، وعمار وياسر ، وسلمان الفارسي ، وابي ذر العفاري [2] » كما ذكر عن لسان ابن حمادة ما يأتي « كان ابو القاسم الشيعي ، لما مات ابوه عبيدالله ، اظهر مذهبه ، وامر بسب الغار والعباء ، وغير ذلك من تكذيب كتاب الله تعالى ، فمن تكلم عذب وقتل » .

من كل هذا يتضح لنا ان بعض الاسماعيلية ابطلوا الشريعة وعطلوا احكامها، وذهبوا في تأويل كتاب الله مذاهب مختلفة ، ترضي نفوسهم ، وتوافق اهواءهم، وهم في اتخاذهم الاشتراكية قاعدة للمجتمع الاسماعيلي ، انما كانوا يهدفون الى تحسين حالة الفرد الاجتماعية ، فلا يتركون بينهم فقيرا او معوزا ، غير ان الميول الفردية التي ظهرت عنـــد بعضهم ، من المناداة بالالوهية والاباحية ؛ واعفاء

---

١ ـــ ابن عذاري : البيان المغرب ، ليدن : ج١ ص١٨٥

٢ ـــ ابن عذاري : البيان المغرب ، بيروت ص ٢٢٠

٣ ـــ ابن عذاري : البيان المغرب ، ليدن ج١ ص٢١٦

الاشياع من الصوم والصلاة والحج ، كما فعل ابن فضل الذي نادى في الوقت نفسه باباحة تزوج المرأة من محارمها، وطلب من نساء عصره ان يكن ملكا للجميع. [1] « وكما فعل أحمد بن الكيال الذي احدث تغييرا كبيرا في المذهب الاسماعيلي [2] أساء الى جوهر الفكرة الاشتراكية ، وكره الناس بهم ، مما اضعف دعوتهم وكان عاملا هاما في وقف انتشارها .

وفي آخر الرسالة التي ذكرها عبدالقاهر البغدادي على انها للمهدي ، دعوة صريحة الى الزواج من المحرمات ، فيقول « وما العجب من شيء ، كالعجب من رجل يدعي العقل ثم يكون له اخت او بنت حسناء وليست له زوجة في حسنها ، فيحرمها على نفسه ، وينكحها من اجنبي ، ولو عقل الجاهل لعلم انه احق باخته وبنته من الاجنبي ، وما وجه ذلك الا ان صاحبهم حرم عليهم الطيبات ، وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الآله الذي يزعمونه ، واخبرهم بكون ما لا يرونه ابدا من البعث من القبور ، والحساب ، والجنة ، والنار ، واستعبدهم بذلك عاجلا وجعلهم له في حياته ولذريته بعد وفاته خولا ... وهل الجنة الا هذه الدنيا ونعيمها ؟ وهل النار الا ما فيه اصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج . [3] »

مبدأ الحلول

ان فكرة الحلول فكرة فلسفية قديمة ، اعتنقها الاسماعيليون فكانت من اهم مبادئهم الفلسفية التي عملوا على تأييدها بالبراهين والادلة ، ويهمنا ان نوضح

---

١ ــ حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف : عبيدالله المهدي ص ٣٠٠

٢ ــ محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ١٥

٣ ــ عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٧٨

هذه الفكرة لعلاقتها الماسة بتفكير شاعرنا ابن هاني شاعر المعز لدين الله الفاطمي، وهم يقولون انه لما كان « في العالم العلوي عقل كلي ونفس كلية وجب ان يكون في هذا العالم شخص هو كل ، وحكمه حكم الشخص الكامل البالغ ، ويسمونه الناطق ، وهو النبي ، ونفس مشخصة هي كل ايضا وحكمها حكم الطفل الناقص التوجه الى الكمال ، او حكم النطفة المتوجهة الى التمام ... ويسمونه الأساس وهو الوصي [1] . »

وما من شك في ان اعتمادهم على الفلسفة انحرف بهم كثيرا عن بساطة الدين الاسلامي ، فاتجهوا اتجاها معقدا ، اذ اعتبروا ان الله بعد ان خلق العقل الاول، ترك هذا يدير العالم واعتقدوا ان روح الامام بعد وفاته « تعود الى ما يجانسها ويناسبها ، فتصبح نفس الامام عقلا من العقول المدبرة للعالم ، فلا تتناسخ ولا تتلاشى . [2] » ومعنى هذا في نظر الذين لا يقبلون بتأويل القرآن ، ان الامام يشارك العقل الاول الذي يشارك الله في تدبير هذا العالم فيصبح الثلاثة واحدا يتصرف في هذا الكون . غير ان بعض الائمة ، من الفاطميين ، كانوا يتنصلون من هذه المقالات ، ويعدونها انحرافا عن الدين [3] . وربما كان ذلك من قبيل التقية ، اذ ان من تعاليمهم الفلسفية المصبوغة بالصبغة الاسلامية ، « ان العقل هو اول ما خلق الله ، فهو سابق لخلق الهيولى ولما كان العقل اقرب مبدعات الله اليه سبحانه فكذلك الامام الذي هو مثل العقل اقرب المخلوقات الى الله على هذه النسبة ، وهو متصل بالله تعالى لان ممثوله العقل الاول ، متصل بالله تعالى ، وان الامام آية الله تعالى من نسل النبي محمد ، لان ممثوله العقل هو آية الله الكبرى» [4]

---

١ ـــ الشهرستاني : الملل والنحل – هامش الفصال لابن جزم – ج ٢ وص ٣٠
٢ ـــ محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ١٤
٣ ـــ محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ١٦
٤ ـــ محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ١٤

وعلى هذا كان « الائمة الاسماعيلية حلول النفس الكلية والعقل الكلي معا ، ومن ثم كان الحلول فيهم مزدوجا [١] » ومن هنا جاءت فكرة تقديس الأئمة وتأليههم لان الله يحل فيهم ، وهكذا كان الامام تأنسا للذات في جسم ليس من لحم ولا دم وهذا حجة العراقين احمد بن حميدالدين بن عبدالله الكرماني الداعي الاجل يقول في رسالته « اسبوع دور الستر » التي نشرها عارف تامر في « اربع رسائل اسماعيلية » .

تأنس للخلق لكنه تنزه عن كل لحم ودم [٢]

ويذهبون ايضا الى ان الامـــام « من نور الله ، وان جسمه اشرف الاجسام ، وان جسمه عقل بالنسبة لاجسام البشر ، كما قال المؤيد في مـــدح المستنصر :

ذو نسبة بالمصطفى والمرتضى يسمو ويعلو
بكثيفه ولطيفـه فاساسه نفس وعقـــل [٣]

كما يعتقدون ان الله سبحانه وتعالى ، « اودع اسرار دينه للنبي الكريم ، وهذا علّمها لوصيه ، وتسلسلت هذه العلوم في الائمـة من عقبه ، فهم الذين اشار الله تعالى اليهم بقوله « والراسخون في العلم » – ، وهم وحـدهم الذين لهم حق تأويل القرآن بما عندهم من العلوم الباطنية » [٤] .

على ان شاعرهم ، عامر البصري ، يقول في قصيدته التي نشرها عارف تامر

---

١ ـــ حسن ابراهيم وحسن وطه احمد شرف : عبيدالله المهدي ص ٣٠٠
٢ ـــ عارف تامر : اربع رسائل اسماعيلية ص ٦٦
٣ ـــ محمد كامل حسين : ديوان المؤيد في الدين راعي الدعاة ص ٨٨
٤ ـــ محمد كامل حسين : ديوان المؤيد في الدين راعي الدعاة ص ١٠٢

في اربع رسائل اسماعيلية «ما يؤكد ما ذهبنا اليه، من ان الله والأمام شيء واحد، اذ ان الامام هو تجسد الله في البشر، في الانسان، أليس ان الامام :

هو الذات والرب العلي بذاته وسر وجود النفس منه تبدت
هو العقل والمقصود عن وجوده ومنه بدت حسنا بأكمل صورة

وذلك ان الذات الالهية قادرة على الظهور للبشر عندما تتجسد في بشر .

ظهرت لنا في صورة عيسوية ومن بعدها في صورة أحمدية
فأنت كبدر التم بالنور كامل يدور عليك النوع دورة اهلة

ولذا يرجو الشاعر من صاحب الوقت ان يعود للظهور .

وقد حان ان تبدو لنا الآن ظاهراً بلا حجب في صورة آدمية [1]

وتقديس الائمة وتأليههم ظاهرة لا يمكن نفيها، وان ثار بعض الائمة عليها، فقد نسب الى عبيد الله المهدي انه ادعى الغيب، ومدحت الشعراء عبيد الله بالكفر، فاستجاره، وكان فيما مدح به شعر لمحمد البديل كاتب ابي قضاعة وفيه

حل برقادة المسيح حل بها آدم ونوح
حلّ بها احمد المصفى حل بها الكبش والذبيح
حلّ بها الله ذو المعالي وكل شيء سواه ريح [2]

وكانت ايمان كتامة اول دخولهم افريقية : وحق عالم الغيب والشهادة مولانا المهدي الذي برقاده » [3] وعلى كل فقد كان بعض ائمتهم يتظاهرون

---

١ عارف تامر : اربع رسائل اسماعيلية ص ١٢٦ .
٢ ابن عذارى : البيان المغرب – بيروت ص ٢٢٠ .
٣ ابن عذارى : البيان المغرب – بيروت ص ٢٢١ .

بمحاربة هذه البدعة ، حتى كان زمن الحاكم بامره ، فثار على هذا التقليد وادعى الالوهية جهراً ، فاحل حراماً وحرم حلالا بينما كنا نرى عبيد الله يسجن « مائتي رجل اظهروا التشريق بالقيروان وباجّه وتونس وجاهروا بتحليل المحرم ، واكلوا الخنزير ، وشربوا الخمر في رمضان جهاراً [1].

هكذا نرى ان فكرة الحلول سيطرت سيطرة تامة على عقول الاسماعيلية ، وقادتهم الى تأليه الائمة ، وان محاولاتهم في معاقبة القائلين بالتشريق ، والناقضين لاحكام الدين ، ربما كانت من قبل التقية حتى لا يثور السنة عليهم ، الى ان جاء الحاكم فثار على هذه السياسة المماثلة للسنة .

على ان بعض الباحثين قد لاحظوا انه فيما يتعلق بالله فانهم ينزهونه عن الصفات ويؤولون ما جاء في القرآن الكريم من صفات لله تعالى ، على انها صفات العقل الاول ومن ثم لا يتورعون عن اطلاقها على الامام باعتباره مساوياً للعقل الاول المبدع [2] اما الله . فهو مجرد عن التجريد والتوحيد ، منزه عن كل وصف وتحديد ، يمد ولا يستمد ، وهو علة السابق والتالي ، وسبب وجودهما والمجرد عن صفتيهما [3] وهذا يعني ، ان ما في القرآن من اوصاف لله ، يمكن اطلاقها على الامام دون اشراك او كفر ، وهذا ما لا تتحمله بساطة الاسلام ، وتعاليمه الظاهرية .

ونحن في دراستنا لابن هاني ، سنجد لهذه الفكرة اصداء مدوية في شعره

---

١ ابن عذارى : البيان المغرب ليدن ج ١ ص ١٨٥ .
٢ محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية . ص ١١ . تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني مقدمه ص ٥٨ .
٣ عارف تامر : اربع رسائل اسماعيلية .

تسترعي الانتباه ، وتدعو للتروي واعمال الفكر ؛ ولم تكن هذه اللمحة عن الاسماعيلية وعقيدتها ، إلا وسيلة لتفهم شعر ابن هاني الاندلسي حتى اذا اعترضتنا عنده فكرة تمت الى العقيدة لا نستغربها اذا ما وجدنا لها اساساً في تعاليمهم ، ولما كان هذا الشاعر اول شاعر اسماعيلي معروف من حيث الاسبقية في التاريخ وافضل شاعر عندهم من حيث الجودة فانه يهمنا ان لا تفوتنا فكرة من افكاره مهما كان شأنها ، فالفكرة التي لا تسترعي الانتباه ولا تلفت الانظار قد يكون لها من الاهمية في كشف بعض الحقائق ما يفوق اهمية الفكرة البارزة.

الفصل الأول

ابن هاني الأندلسي

مولد ابن هاني

لا يعرف السبب الذي من اجله اهمل مؤرخو الادب الاندلسي القدماء هذا الشاعر ، ونحن لو تصفحنا كتب التاريخ الادبي القديمة لا نكاد نظفر منها بما يغني ، لقد اهملوه في الاندلس، واهملوه بعيداً عن الاندلس، ونتساءل عن سبب هذا الاهمال فلا نجد لهم عذراً مع اعترافهم بانه من احسن شعراء الاندلس ديباجة شعرية ، وأجودهم قريحة ، واذا كان فعلهم مع من تعجبهم شاعريته ، فكيف يكون فعلهم اذن مع من لا تروقهم شاعريته ، ولا يعجبهم نظمه . واعجب من هذا انهم لم يتفقوا على مكان ولادته ، وتاريخها فابن الابار يؤرخ له على انه محمد بن هانيء بن محمد بن سعدون الازدي الاندلسي ، غلب ذلك عليه من اهل البيرة ونشأ بقرطبة ، يكنى ابا القاسم ، وهو من

ولد المهلب بن ابي صفرة .. وابوه من قرية من قرى المهدية ، دخل الاندلس ، وولد له ابنه ابو القـــاسم بها ، وكان اكثر تأدبه بقرطبة [1] . وواضح من هذا الكلام ، ان الشاعر ولد بالبيرة وتأدب في قرطبة ، ولكن متى ولد ؟ أمر لم يكن ليهم المؤرخ فلم يحقـق به وذكر مؤلفو المغرب في حلى المغرب ان اصله بني المهلب الذين ملكوا افريقيا وانتقل ابوه منها الى جزيرة الاندلس وسكن البيرة فولد له بها محمد بن هانيء المذكور [2] وصاحب بغية الملتمس لا يكلف نفسه عناء التحقيق ، فيكتفي بان يذكر انه محمد بن هانيء شاعر اندلسي ، خرج عن الاندلس ، فشهر شعره في الغربة .. الخ [3] ، دون ان يشير الى تاريـخ ولادته ، وكيفية نشأته ، بيد ان ابن خلـكان ، يحدثنـا شيئاً عنه وعن ابيه فهو كما يقول ابو القاسم وابو الحسن بن هانيء الازدى الاندلسي الشاعر المشهور قيل : انه من ولد يزيد بن حاتم بن قبيضة بن الملهب بن ابي صفرة ، وقيل بل هو من ولد اخيه روح بن حاتم ، وكان ابوه من قرية من قرى المهـــدية بافريقية ، وكان شاعراً اديباً ، فانتقل الى الاندلس فولد محمد المذكور بمدينة اشبيلية ، ونشأ بها واشتغل وحصل له حظ وافر من الأدب [4] . واما بالنسبة لياقوت الحموى فهـــو ابو القاسم الازدي الاندلسي من ولد روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب : شاعر مفلق ، واشعر المتقدمين والمتأخرين من المغاربة ، وهو عندهم كالمتنبي عنـــد

---

١ ابن الابار : تكملة ج ١ - ٩ ص١٠٣ رقم ٣٥٠ . قال الحجاري : البيرة كانت قاعدة المملكة في القديم .

٢ ابن سعيد المغرب في حلى المغرب ج ٢ ص ٩٧٠ .

٣ الضبي : بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس ص ١٣٠ رقم ٣٠١ . ابن سعيد المغرب في حلى المغرب ج ٢ – ص ٩٣.

٤ ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٣ ص ٤٩ .

اهل المشرق ، ولد بأشبيلية ونشأ بهـا ونال حظاً واسعاً من علوم الادب وفنونه ... الخ [1] وصاحب الاحاطة يؤرخ له على انه « محمد بن هـانيء بن محمـد بن سعدون الازدي الغرناطي ، من اهل قرية سكون يكنى ابا القاسم ويعرف بالأندلسي ، وكأنها تعرفة بينه وبين الحكم ابي نواس . قال غير واحد من المؤرخين وهومن ذرية يزيد بن حاتم بن المهلب بن ابي صفرة وقيل من ولد روح بن حاتم ... الخ [2] . واما صاحب المطمح فيكتفي بجمل مسجقة منمقة ، يقرظ فيها الشاعر ، دون ان يشير الى ما يتعلق بولادته ونشأته ، فهو الاديب ابو القاسم محمد بن هاني ، ذخر خطير ، وروض ادب مطير ، غاص في طلب الغريب حتى اخرج دره المكنون ، وبهرج بافتنائه فيه كل الفنون ..الخ [3]. نقل المقري قول ابن خلكان في المطمح نقلاً حرفياً دون زيادة ولا نقصان [4] كما نقل صاحب شـذرات الذهب ما جاء في وفيات الاعيان عن ابن هاني [5] وينفرد عن بقية هذه المصادر بذكر قصة لا ترتكز على واقع تحدث فيها عن اجتماع ابن هاني بالمتنبي سنعرض لها فيما بعد .

هذا مجمل ما ذكره القدماء عن ابن هاني فماذا نستخلص منه ؟ أما انه عربي فهذا لا شك فيه اذ انه يقول :

فاني من العرب الاكرمين وفي اول الدهر ضاع الكرم [6]

---

١ ياقوت الحموي : معجم الادباء ج ١٩ ص ٩٢٠ .
٢ ابن الخطيب : الاحاطة في اخبار غرناطة ج ٢ ص ٢١٢ .
٣ ابن خاقان : مطمح الانفس ص ٧٤ .
٤ المقري : نفح الطيب ج ٤ ص ١٨٣ .
٥ ابن العماد : شذرات الذهب ج ٣ ص ٤١ – ٤٣ .
٦ ديوان ص ٧١٥ رقم ٥٠ بيت ٧٥ .

وهو ايضاً أزدي ، والأزد من القبائل اليمانية

تسير القوافي المذهبات احوكها فتمضي وان كانت على مجدكم وقفا
يمانية في نجرها ازدية أفصلها نظماً وأحكمها رصفا [1]

واما ان اسمه محمد ابن هانيء ، وكنيته ابو القاسم ، فعلى هذا كل المؤرخين ، ولكن اين ولد ؟ ومتى ؟ فلنا في هذا رأي نميل اليه ولا نقطع به وذلك بالنسبة لهذا التضارب في الاقوال والاختلاف في الروايات .

ذكر اكثر المؤرخين ان ابن هاني ولد في اشبيلية الا ان ابن الابار في التكملة وابن الخطيب في الاحاطة فهو عند الاول من اهل البيرة Elvira ونشأ في قرطبة ، هو عند الثاني ، من اهل قرية سكون ، ونشأ في غرناطة ونحن بين هذا وذاك وغيرهما ، في حيرة من الامر نحاول الاهتداء الى نقطة ارتكاز نبني عليها اراءنا فلا نوفق ، بيد انه اذا ما عدنا الى هاني والد الشاعر ، هذا الذي جاء من قرية من قرى المهدية في افريقيا الى الاندلس وهو شاعر اديب نجيز لانفسنا ان نعتقد بان هانيء لا بد وان يكون قد مر بمدارس المهدية التي تعلم الاصول الباطنية فقال بما قال به الاسماعيلية ولنا ان نفترض ، بانه ربما يكون قد اختير للتبشير بمبادىء الاسماعيلية في ارض الاندلس التي كان المهدي يود الاستيلاء عليها ، وطبيعي ان يبحث الداعي عن مكان يجد فيه شيئاً من الحرية في القول والعمل ، يساعده على ذلك طبيعة جميلة تدعو للهو والاستخفاف بالقيم العامة ، ومن الضروري ان يبتعد هاني عن البلد المتزمت الذي يسيطر فيه رجال الدين ، وهم في تزمتهم لا يسمحون بما يسيء للدين في نظرهم ، وقرطبة فيها المنذر بن سعيد

---

١ قصيدة ٣١ ص ٤٥١ بيت ٥٨ — ٦٠ .

وامثاله ممن يشهد لهم بصفاء العقيدة ، لا يستطيع ان يعيش فيه من كان داعية للاسماعيلية ؛ ولم تكن غرناطة باقل حفاظاً على الدين لذا لم يبق امام هانيء بن محمد إلا اللجوء الى اشبيلية البلد الجميل بطبيعته الغني بظرف اهله ، الميالين للمرح ، حيث يستطيع ان يعمل هناك بهدوء، غير خائف ولا مترقب ، فاشبيلية هي المدينة التي فازت بكل فضيلة ... اذ لو كان يقتصر عليها بالمسارح اهل الاندلس ، لأتسعت لهم [1] في هذا البلد يستطيع هانيء بعيداً عن تزمت اهل قرطبة ، وجمود اهل غرناطة ، وفي احضان طبيعة اشبيلية ، ان يعمل آمناً لذا لا استبعد ، بل اني اعتقد ان هانيء هذا اختار هذه المدينة مقراً له ، وربما طوف في الاندلس كشأن الدعاة في كل زمن ، قبل ان يستقر في اشبيلية حيث القى عصا الترحال ، وهناك ابصر ابنه ابو القاسم النور ونحن لا نعتقد بان هانيء هذا ، وقد جاء داعية كما نرجح ، يسكن قرية وهم الدعاة ان يكونوا حيث يكثر الناس وتناقش الآراء .

لم يتحدث المؤرخون الذين ذكروا شيئاً عن ابن هاني عن تاريخ ولادته ، ولكنهم اتفقوا على انه مات في سنة احدى وستين او اثنتين وستين وثلاثماية [2] والمؤرخون مع اجماعهم على ان وفاته كانت في حدود هذا التاريخ ، اختلفوا في عمره فمنهم من قال : انه توفي وله من العمر اثنتان واربعون سنة [3] ومنهم من لم يستطع البت في ذلك فقال : قيل توفي وهو ابن ست وثلاثين سنة او اثنتين

---

١ نص اندلسي جديد – نشر لطفي عبد البديع مصر ١٩٥٦ ص ٢٣ .

٢ احاطة ج ٢ ص ٢١٢ . وفيات ج ٣ ص ٤٩ . تكملة ج ١ ص ١٠٣ ترجمة ٣٥٠ . معجم الاباء ج ١١ ص ٩٢ شذرات الذهب ج ٣ ص ٤١ – ٤٣ تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ٤٦ .

٣ احاطة ج ٢ ص ٢١٢ . ياقوت ج ١٩ ص ٩٢ .

واربعين [1] ، ونحن لا سبيل لنا الى الشك في تاريخ وفاته – مع ان صاحب كتاب شذرات الذهب نقل عن كتاب العبر القول الآتي : كان منغمساً في اللذات والمحرمات ، متهماً بدين الفلاسفة ، شرب ليلة عند ناس فاصبح مخنوقاً، وهو في عشر الخمسين – انتهى [2] وعلى كل فنحن لا نشك بتاريخ وفاته ، ولكننا نريد ان نعرف تاريخ ولادته ، فلنعـــد الى ديوانه ، علّ به ما يساعدنا على تحقيق ذلك .

من المألوف في التشريع ان اقرار المرء حجة لا تنفيهـــا البراهين المعاكسة ، ولكن في الشعر غير ذلك . فقد يكذب الشاعر ويموّه الحقيقة ، ولكن لا بد لمن يتصفح اقواله من ان يهتدي الى بصيص ، لان الحقيقة لا يمكن ان تضيع مهما حاول الانسان تغطيتها، وثمة شيء آخر هو ان يصف الشاعر الهرم نفسه بالشاب القوي فذلك محتمل لكن ان يتهارم الشاب ، فذاك شيء غير مألوف في الغزل، ولا بد لنا امام هذا من ان نتتبع آراء الشاعر بنفسه، اذ قد تقودنا الى رأي ان لم يكن مصيباً ، ففيه شيء من صواب .

يمدح ابن هانيء المعز الفـــاطمي ، ويهنئه بالظفر الذي احرزه جيشه على الروم ، بعد معركة المجاز التي حصلت بعد سنة اربع وخمسين وثلاثمائة في ارض صيقيلية بعد افتتاح حصن رمطة ووقوع الروم في الخندق وانتصار جيش المعز عليهم في البر والبحر ،حيث تتبعهم المسلمون وقتلوا منهم خلقاً كثيرا يمدحه بقصيدة يهمنا منهـــا هذا الابتداء بالغزل التقليدى ، اذ انه يتحدث في هذا الابتداء عن

---

١ وفيات الاعيان ج٣ ص ٤٩.

٢ شذرات الذهب ج ٣ ص ٤٣ .

نفسه وما اظنه كاذباً فبحديثه هذا وان كنا نعتقد انه بالـــغ في تصوير ذاتة . ثلاثة ابيات يصور فيها نفسه ، نشعر عند قراءتها ان دمعـــة تترقرق في عيني الشاعر ؟ أسفا على شباب قد ولى ، وغصن أوشك ان ييبس ، كما نحس بالمرارة التي احس بها الشاعر امام الشيب الذي بدأ يغزو رأسه شيئاً فشيئاً . وطبيعي ان يبكي الانسان امام هذا النذير ، على شباب قد انقضى . اليس ان الشباب احب شيء الى النفس ؟ فلنسمعه اذن يقول

لا مثل وجدى بريعان الشباب وقد رأيب اماود غصنى غير املود
والشيب يضرب في فودى بارقه والدهر يقدح في شملي بتبديد
ورابني لون رأسي انه اختلفت فيه الغمائم من بيض ومن سود [1]

واقرأ هذه الابيات فمـــا اشم منها كذبا ، بل أحس ان الشاعر يتحدث بصدق وامانة واخلاص عن شعوره امام هذه الخطوط البيض تضرب في سواد لمته ، وتنذره بانقضاء الشباب ، فيشعر ان عوده كاد ييبس ان لم يكن قد يبس ، ونلمس انه مغرم بشباب قد ولى ، متألم لهذا الشيب يدب في رأسه كدبيب البرء في السقم ، فينذره بما يضطرب له قلب كل امرىء . أليس ان الشيب نذير الهرم ، والهرم نذير الشيخوخة ، والشيخوخة نهاية الرحلة التي تنتهي في القبر ؟

وفي قصيدة اخرى قالها بمناسبة وفود سفارة من قبب الروم بعد معركة المجاز التي مر ذكرها يقول

الم يأتها انا كبرنا عن الصبـا وانا بلينـــا الزمان جديـــد [2]

---

١ ديوان ق ١٢ ص ٢٠٨
٢ ديوان ق ١٣ ص ٢٢٦

وفي هذا القول اقرار بانه تجاوز عهد الشباب ، فهو يشعر بوطء السنين وشدتها ، ويأسف لذلك لان العانيات يكرهن الشيب . وقد يكون كاذباً في وصف حبه وما اراه كاذباً في وصف مشيبه . واسمع اليه يشكو هذا الشيب ويتألم منه في قصيدة اخرى مدح بها المعزّ بعد ان فتح الروم انطاكية سنة تسع وخمسين وثلاثماية فهو يتوجع فيها لما اصاب المسلمين من ارزاء وذل وفي مطلعها يتألم من الشيب ويفرق من تقدمه في العمر

قد سار بي هذا الزمان فاوجفا ومحا مشيبي من شبابي احرفا
الا اكن بلغت بي السن المدى فلقد بلغت من الطريق المنصفا [1]
فاما وقد لاح الصباح بلمتي وانجاب ليل عمايتي وتكشفا
فلئن لهوت لالهون تصنعا ولئن صبوت لا صبون تكلفا [2]

اليس في هذه الابيات اقرار صريح بان المشيب قد خط راسه ، وانه بلغ من العمر منصفه والاربعين منصف العمر واذا كان النصف والكهل فمعنى ذلك ان ابن هاني قد بلغ الثالثة والثلاثين من عمره بل وتجاوزها اذ ان الكهل هو من بلغ الثالثة والثلاثين حتى الخمسين من العمر وفي آخر قصيدة ارسلها ابن هاني الى المعز الذي كان آنذاك في مصر يشكو الدهر وتقادم السنين وضعف الجسم والهرم ويقول بانه على الرغم من كل هذا فلم يشب

---

١ المنصف من الطريق ومن النهار ومن كل شيء وسطه والنصف من النساء التي قد بلغت خمسا واربعين والنصف الكهل كانه قد بلغ نصف عمره . راجع – ابن سيده ، مخصص ج ١ – ٤٠ الزبيدي – تاج العروس ج. ٦: ٢٥٦: ابن منظور – لسان العرب ج ١٠ – ٢٤٤ – ٢٤٥

٢ ديوان ق ٣٠ – ٤٢٠

الا ان جسما كان يحمل همتي تطاوح فيّ شدق من الدهر اضجم
ومن عجباني هرمت ولم اشب ومن يلبس الهجران والبين يهرم [1]

نعجب نحن لانا لا نراه يشكو الشيب في آخر حياته ، بينما رأيناه يشكو منه قبل ذلك في غير قصيدة ، ونرد ذلك للتصنع في المواقف الثويرية ، ولو تصفحنا قصائده في مديح جعفر ويحيى ابني علي وابراهيم بن جعفر لما رأينا هذا التذمر من تقادم السنين ، وانتشار الشيب في لمته ، وضعف جسده ، والخوف من نذير الهرم والموت ، ففي احدى قصائده التي يمتدح فيها جعفرا هذا يقول

بنتم فلولا ان اغير لمتي عبثا والقاكم عليّ غضابا
لخضبت شيبا في عذارى كاذباً ومحوت محو النقس عنه شبابا [2]

فهو يعترف بان احبابه قد بعدوا عنه ، ويخاف ان يغضب هؤلاء اذا ما غير لمته بالصباغ حتى يمحو ما بان فيها من شعراث بيضاء وليس لنا ان نشك بصحة دعواه فالشيب في الانسان قد يبدو مبكرا ولا نستبعد ان يكون هذا من قبيل الخيال الشعرى ، فهوى مألوف لدى الشعراء ، غير انه في قصيدة اخرى وفي مديح جعفر أيضاً يقول

سأغدو عليها وهي أضريح عندم له منظر بدع يجيء به بدع
واتبع لهوى خالعاً ويطيعني شبات رطيب غصنه وجنى ينع [3]

---

١ ديوان ق ٤٧ ص ٦٦١
٢ ديوان ص ١٩٨ – بستاني
٣ ديوان ق ٢٨ ص ٤١٥

ونلاحظ ان بين المعنيين تبايناً ، ففي البيتين الاخيرين يعلن صراحة انه سيقبل على الخمرة المعتقة التي حفظت قرناً في الدن، ولم يفض ختامها الاله ، فبدت حمراء كالعندم ، جميلة المنظر ، يحملها اليه ساق عجيب منظره بديعة طلعته ، ولن يثنيه عن شربها شيء ما دام الشباب يسعفه بغضه الرطيب ، وجنيه اليانع ، مختلقاً من كل هذا عذرا يعلل به انصرافه الى المرح وحياة اللهو الا وهو هذا الشباب الغض والاملود النضر .

ولا أشك في انه يتحدث هذا الحديث وهو شاعرا تمام الشعور بما هو خليق به من لهو وانغماس في المسرات والملذات التي يستبيحها الشباب من لذته ، وفي قصيدة اخرى دعوة صريحة للشرب واغتنام اللذة ، مع وصف جميل للساقي الذي اثقلت الصهباء اجفانه فبادَت يداه ترتعشان ويتمايل في مشيته كالكليل فبدا كحقف فوقه خيزرانة

فبات لنا ساق يقـــوم على الدجى بشمعة نجم لا تقط ولا تطفى

اغن غضيض خفف اللين قده وثقلت الصهباء اجفانه الوطفى
ولم يبق ارعاش المدام له يـدا ولم يبق اعنات التثني له عطفا
جعلنا حشايانا ثياب مـــدائنا وقدت لنا الظلماء من جلدها لحفا
فمن كبد تدني الى كبد هوى ومن شفة توحي الى شفة رشفا [1]

وهكذا نرى ان ابن هاني يتحدث في قسم من مدائحه في المعز عن تقادم السنين عليه ، وعن المشيب ، وتجاوزه منصف الطريق ، مما لا نراه في قصائده التي سبقت سنة ثلاثمائة وخمسين ، ولا في مدائحه لجعفر واخيه يحيى بن جعفر .

---

١ ديوان ق ٣١

ونحن لو عدنا نتصفح ديوان الشاعر لنطابق بين الحوادث التي اشار اليها ، وتاريخ وقوعها ، مع التاكيد بان ليس كل قصائد الشاعر يمكن معرفة تاريخها ، ذلك لان اغلبها يخلو من الاشارة الى الحوادث تاريخية هامة ، خاصة ما قيل في جعفر وابنه واخيه وعلى العكس من ذلك قصائده في المعز ، اقول لو عدنا الى ديوانه ، والتاريخ القديم ، لوجدنا ان اقدم قصيدة قالها في مدح المعز هي تلك التي يشير فيها الى غزو جيش المعز للروم بقيادة عـــامله على صقيلية الحسن بن علي [1] وغزو هذا الجيش للساحل الاندلسي عجز بني امية عن الدفاع ومطلعها

اقول دمى وهي الحسان الرعابيب ومن دون استار القباب محاريب [2]

وهناك قصيدة اخرى يشير فيها الشاعر الى غزو جيش المعز للساحل الاندلسي وفشل الامويين في الوصول الى ارض المغرب للأخذ بالثأر ، ومطلعها

الؤلؤ دمع هذا الغيث ام نقط ما كان احسنه لو كان يلتقط [3]

ولا اعتقد ان هذه القصائد قيلت متآخرة عن زمن حدوث هذه الوقائع ، وما اعتقد ان ابن هانيء كان عاجزاً الى هذا الحد الذي يضطره الى استعادة حوادث الماضي وله في كل يوم من اعمال المعز ، موضوع شعرى جديد ، ولا بد من ان تكون هذا القصائد قد قيلت بمناسبة هذه الحوادث بـــذاتها ، وبعد حصولها ، بشكل يتيح للشاعر ان يتخذها موضوعاً لمدحته لقرب حصولهـــا زمنيا ، وعلى هذا يمكن ان تؤرخ القصيدتان في سنه ثلاثماية واربع واربعين ٣٤٤

---

١ ابن خلدون – تاريخ ج ٤ ، ٤٧
٢ ديوان ق ٣
٣ ديوان ق ٢٦

٩٥٥ وقبولنا بهذه النظرية يحملنا على ان نجعل اتصال ابن هانيء بالمعز يتم في سنة ٣٤٤ / ٩٥٥ على ابعد حد ، ثم يصبح ، فيما بعد ، شاعر المعز الخاص : ومن هذا التاريخ حتى سنة ٣٦٢/٩٧٢ حيث توفي الشاعر ، يكون قد قضى الشاعر ثمانية عشر عاماً حاملا لقب شاعر المعز الخاص ، وهذا الاستنتاج يضطرنا الى رفض القول بانه توفي وهو ابن ست وثلاثين سنة لانه لا يعقل ان يكون ابن ثماني عشرة سنة عندما اصبح شاعر المعز الخاص بل يجب ان يكون اكبر سناً ، وانضج حتى يتم له ذلك ، وكذلك نرفض القول بانه خرج من الاندلس وهو ابن سبع وعشرين سنة كما روى ابن الخطيب وابن خلكان [١] اذ لو قبلنا ذلك وافترضنا انه اتصل فورا بالمعز وعاش ثمانية عشر عاماً يمدحه لكانت وفاته في حدود سنة ٣٦٥/٩٧٥ وهذا يخالف اتفاق المؤرخين على ان وفاته كانت في حدود سنة ٣٦٢/٩٧٢ . ثم ان في ديوان الشاعر قصيدة يمدح فيها جوهر قائد المعز بمناسبة انتصاره على ابن واسول محمد بن الفتح امير سجلماسة واحمد بن بكر وقد ثارا على المعز ، ويذكر فيها هديه جوهر للخليفة وقدتم انتصاره عليهما في سنة ٣٤٧ / ٩٥٨ ولو قبلنا قول ابن الخطيب وابن خلقان من ان الشاعر خرج من الاندلس وله من العمر سبعة وعشرون عاما لكان علينا ان نجعل ولادته في حدود سنة ٣٢٠/٩٣٢ – ٣٣ واذا مات وقد تجاوز الاربعين كما امكن استنتاج ذلك من شعره ، وعاش ثمانية عشر عاما يمدح المعز فيمكن ان نقول بانة خرج من اسبانيا وهو في حدود الرابعة والعشرين من عمره وتكون ايضاً ولادته في حوالي سنة ٣٢٠/٩٣٢ – ٣٣ وفي مدينة اشبيلية حيث لا اثر للتزمت الديني ؛ وحيث الحرية يتمتع بها كل الناس على السواء .

ابوه – يقول ابن الابار في ترجمة لابن هاني : وابوه من قرية من قرى

---

١ ابن الخطيب – الاحاطة اخبار غرناطة ج ٢ ، ٢١٢ . ابن خلكان – وفيات الاعيان ج ٣ ، ٤٩

المهدية ، دخل الاندلس وولد له ابنه ابو القاسم بها [1] ويزيد ابن خلكان على التعريف بهانيء بن محمد بن سعدون الازدى فيقول وكان هانيء شاعراً اديباً فانتقل الى الاندلس ، فولد محمد – ابنه – المذكور بمدينة اشبيلية [2] ومن هذين القولين نرى ان والده كان غريباً دخل الاندلس واقام فيها . ولكن لم دخلها ؟ اطمعا في مركز يشغله ، او رزق يجنيه وهو الشاعر الاديب ، وقد كان الادب يصل باصحابه الى المراكز السامية في الاندلس ام انه جاء برسالة هامة يبلغها في الاندلس ؟

هذان السؤالان لا نرى عليهما جواباً مقنعاً وانما نأخذ بباب الظن والترجيح فندلي برأى ولا نجزم به .

ليس غريباً ان تصبو نفس الشاعر الاديب الى الجاه والثروة ، وصاحبنا شاعر واديب كما يقول ابن خلكان ، فقد كانت الاندلس في ذلك الزمن محط انظار الأدباء يأتونها طمعاً في رزق يصيبونه أو مركز يتبوأونه ، غير ان ما يجعلنا نشك في وجود هذه الرغبة عند شاعرنا ، هو اننا لا نعرف انه اتصل بامير ، او مدح وزيراً ، او حاول ان يتصل فلم ينجح ، فالتواريخ القديمة لا تذكره الا عند الحديث عن ابنه ، مما يجعلنا نبتعد عن الاعتقاد بانه جاء طمعاً في المراكز السامية ، او الثراء الضخم في هذا البلد الذي كان يفد اليه الناس من البصرة والكوفة وبغداد ، ومن مختلف حواضر الشرق ، فيلقون الثروة والجاه ، ويحتلون من المراكز ما يتناسب وكفاءاتهم . ونحن لا نستطيع ان نعتقد بان كل مؤرخي الاندلس تعصبوا عليه ، فاهملوه ، ولو حدث ذلك من البعض لما كان يحدث بشكل اجماعي بل اعتقد انه عاش مغموراً فلم يثر حوله مسائل ، ولم يصدر عنه اي عمل جدير بان يحفظ ذكره .

---

١ ابن الابار – التكملة ج ١ ، ١٠٣ ترجمة ٣٣٠

٢ ابن خلكان – وفيات الاعيان ج ٣ ، ٤٩

اما بما يتعلق بالسؤال الثاني ، فقبل الاجابة عليه يجب ان نعرف ما هي المهدية التي كانت القرية التي ولد فيها هانيء تابعة لها ، وما اهميتها الاجتماعية والتاريخية وما الدور الذي لعبته ؟

المهدية هي مدينة بناها عبيد الله المهدي الشيعي الفاطمي الاسماعيلي، مؤسس الدولة الفاطمية ، وتقع جنوب القيروان ، اذ كان من سياسة عبيد الله المهدي ان يبني مدينة يتخذها حاضرة لدولته الناشئة [1] وقد جعل هذه المدينة دار هجرة يعتصم بها انصاره ، ويوجه منها ضرباته لخصومه ، لما كانت تدرس فيها تعاليم الاسماعيلية ، وقد فرغ من بنائها في سنة ٣٠٥ – ٩١٧ . وظلت المهدية كعبة الاسماعيلية ما كان بها الامام الاسماعيلي فلما هجرها هؤلاء الى غيرها لم تعد لها تلك المكانة الروحية في نفوس الاتباع [2]؟

هذه هي المهدية دار هجرة الاسماعيلية ومحط انظارهم ، ومقام ائمتهم الى زمن ، وفي احدى قرى هذه المدينة ، ولد هانيء ابو الشاعر ، ولا ارى الا انه دخل مدارس المهدية وتعلم فيها اصول العقيدة الاسماعيلية على ايدي دعاتها ، ولما اصبح شاباً قادراً على القيام بالدعوة ، أرسل الى الاندلس، وهناك استطاع ان يتستر بفضل التقية التي كان يحسنها ، فموه على الاندلسيين وعاش بينهم وقد قلنا بهذا الرأي ، اعتماداً على ما نعرفه من سياسة عبيد الله المهدي الذي كان يرغب في ازالة ملك بني امية ، باثارة الفتن ضدهم ، والسيطرة على البلاد ، ونحن نميل الى الاعتقاد بان أبا الشاعر جاء في مهمة رسمية غير انه لم يفلح بتنفيذها ، فعاش مغموراً ثم لا ندري ما اذا كان قد عاد ، بعد ان خرج ابنه الى افريقية

---

١ حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف : عبيد الله المهدي ص ٢٠٤

٢ حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف : عبيد الله المهدي ص ٢٠٨

المهدية ام انه بقي في الاندلس ، وهناك نقـــاط اخرى لم نستطع ان نجلو غامضها ، منها ما اذا كان لهانيء هذا اولاد اخر ، وبمن تزوج ، او هل جلب معه زوجته من افريقية ، او انة تزوج من اندلسية؟ وستبقى هذه النقاط غامضة مجهولة حتي يستطيع التاريخ ان يجلوها لنا .

واحب ان اشير ايضاً الى ان الشاعر لا يفخر بابيه ، ولا يتحدث عنه ، ولو تصفحنا ديوانه لما وجدنا ذكر لهذا الاب الذي عاش في غفلة من التاريخ ، فغفل ابنه عن ذكره ، وكما اغفل ذكر ابيه ، فكذلك اغفل ذكر امه ، وكأنني به لا يجد عندهما ما يحمله على الفخر بهما .

هذا رأي في والد الشاعر وما أدري مقدار حظه من الاصابة ، لان التاريخ لا يساعدنا على استجلاء هذه النقطة ، اذ لو اتضحت وكان الصواب ما قلنـــاه ، لكان لنا ان نقول بان ابن هانيء تعلم مباديء الاسماعيلية على ابيه في البيت ، ولم يأخذها بعد ان غادر الاندلس . ولا شك بان ابن هـــانيء قال بالتشيع في الاندلس ، اذ انه في قصيدة يمدح فيها المعز يعترف بان الامويـين لم ينقموا عليه الا تشيعه ، وميله للفاطميين ، فازعجوه عن الاندلس ، وكأني به لم يحسن التقية كما احسنها ابوه وربما كانت هذه القصيدة اولى قصائده في المعز حيث يقول :

وما نقموا الا قديم تشيعي فنجا هزبرا شده المتدارك [1]

فهذا البيت يرينا ان الشاعر كان شيعياً قبل خروجه من الاندلس هارباً من الامويين الذين نقموا عليه هذا التشيع ، ولذا قلنـــا انه من الممكن ان يتثقف بهذه الثقافة على ابيه .

---

١ ديوان ق ٣٧ – ٥١٦ . ٤٩ .

دراسة ابن هانىء ومشايخه

لقد بذلنا جهدنا ، واجتهدنا – والمجتهد معزور – في ان نهتدي الى كيفية دراسة ابن هانيء ، والمشايخ الذين تلقى عليهم العلم فلم نوفق الى شيء يغني ، وبقينا حيارى امام هذه النقطة الهامة فابن الابار في التكملة يشير الى انه نشأ في قرطبة [1] وهذا يعني انه تأدب بها ، اما ياقوت وابن خلكان ، فانهما يقولان انه نشأ في اشبيلية ، وبها تأدب ونال حظاً وافراً من العلم [2] . ورجعت استقرىء كتب التراجم ككتاب تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي ، والحلة السيراء والتكملة لابن الآبار وغير ذلك من كتب السير آملاً ان اقع على بصيص يقودني الى تكوين رأي صائب فلم اوفق ، وقد حاولت ان اتعرف الى علماء الاندلس الذين يحتمل ان يأخذ عنهم ابن هانيء ، اذ وضعنا ولادته في سنة ٣٢٠ – ٩٣٢ ، وهذا يعني انه عند بلوغه العاشرة من عمره يمكنه ان يحضر مجالس الفقهاء ، ويستفيد من دروسهم . فابن الفرضي يذكر مع من يذكر ابراهيم بن عبيد الله المعافري من اهل اشبيلية ... كان بصيراً بالشعر مطبوعاً فيه ... توفي سنة ٣٦٢ – ٩٧٢ [3] . فهل انصل به ابن هانيء واخذ عنه شيئاً ؟ ثم يذكر من اهل قرطبة محمد بن يحيى بن عبد السلام الازدي ... وكان علمه الغالب عليه العربية وتوفي سنة ٣٥٨ – ٩٦٢ [4] فهل حضر بن هانيء حلقته .

لا ندري . هذا ما نستطيع ان نقوله صراحة . وانا لنعجب لقول محمد عبد المنعم خفاجي بان ابن هانيء رحل في طلب العلم من اشبيلية الى قرطبة ،

---

١ ابن الابار : تكملة ج ٢ – ١٠٣ .
٢ ياقوت : معجم الادباء ج ١٩ – ٩٢ .
٣ ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ج ١ – ٢٠ .
٤ ابن الفرضي تاريخ علماء الاندلس ج ١ – ٣٦٤ .

وانه هناك نال الواناً من الثقافة تلقاها في جامعاتها ، واتصل باسباب الحضارة في عاصمة الامويين [1] ولكن ليس من دليل على هذه الرحلة ولا ادري على اي شيء يقيم قوله هذا اذ انه لا يعتمد مصدراً معيناً ولا يستنتج ذلك من شعر الشاعر او اي قول آخر ثم ما هذه الالوان الثقافية التي قصد اليها الكاتب مع اننا لا نرى في شعر ابن هاني الى الثقافة العربية المحضة وما يستمده من القرآن واللغة والادب والشعر ؟

ثم انا نرى من كتاب تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي ان كثيراً من رجالات الفكر في القرن الرابع الهجري كانت عندهم ميول فلسفية . فمحمد بن عبدالله بن مسرة يتهم بالزندقة [2] وخليل بن عبد الملك الملقب بخليل الغفلة يقول بالاستطاعة ، [3] ومحمد بن ابراهيم بن حيّون يرمي بالتشيع [4] . ومن كل هذا نستنتج ان المذاهب الفكرية كانت معروفة في الاندلس ، وان كانت غير مرغوبة عند عامة الناس ، وقد يكون ابن هانيء وقف بطريقة ما على بعض هذه الآراء ، وقد يكون ابوه علمه بعضها فشب على تشيعه المعروف الذي كان سبب خروجه من الاندلس كما يدعي .

بيد انه لا يمكن ان يشك في نوع ثقافة ابن هانيء فقد كانت عربية ، وكان هو على جانب كبير من الاطلاع على اللغة وآدابها ، بصيرا بفنون الادب العربي ، وواسع الثروة اللغوية ؛ وهذا واضح في شعره ، أضف الى ذلك اطلاعاً واسعاً على التاريخ الاسلامي ، ومعرفة بالاماكن العربية المذكورة في الشعر حتى عصره ، اذ ان اطلاعه على الشعر المتقدم أنمى عنده معارفه التاريخية ، ثم انه كمسلم كان عليه ان يلمّ بتاريخ الاسلام وهو كشيعي اسماعيلي ، كان فرضاً عليه ان يعرف

---

١ محمد عبد المنعم خفاجي قصة الادب في الاندلس ج ٥ : ٢٢٧ .

٢، ٣، ٤ تاريخ علماء الاندلس ج ١ – ٣٣٧ ، ١٢٠ ، ١٢٦ راجع .

تاريخ البيت الهاشمي وخاصة بيت علي بن ابي طالب ، وجهاده ، والنكبات التي تعرض لها ، ولكل هذه المعاوف ظلال في شعره لا سيما في مدائحه للمعز ، على اعتبار ان المعز وريث هذه السلالة ومن حقه وحده ان يطالب بالخلافة . اما الفلسفة فلا نكاد نقع لها على اثر في شعره وسنعرض لهذا في حديثنا عن اسباب خروجه من الاندلس .

شعر صباه

كنا نستطيع ان نغفر للمؤرخين اهمالهم لابن هاني لو ان الذين جمعوا ديوانه حفظوا لنا شيئاً من شعر صباه ، اي ما قاله في الاندلس ، ولكن ما ان نمسك بالديوان لنقلب صفحاته حتى نعرف انهم ما جمعوا له الا ما قاله في افريقية مادحاً او راثياً ، وهكذا لا نجد في ديوانه قصيدة واحدة تعود الى عهده في الاندلس ، ولا نقع لاي ذكر لتلك الطبيعة الجميلة طبيعة اشبيلية التي نشأ بين احضانها ، ولقد اصاب صاحب بغية الملتمس في قوله عنه ، «خرج عن الاندلس فشهر شعره في الغربة [1] » .

اذن فنحن لا نظفر بطائل فيما يتعلق بشعر صباه مهما بذلنا من جهد ، وما اظننا نظفر بما ينقع الغليل ، بيد اني اعتقد ان شعره في صباه ، ما كان يخرج عن الاطار المفروض في شعر امثاله من الشباب ، من دعوة للهو ، وميل للشرب ومعاشرة النساء ، ولست ابعد اذا قلت ان ابن هانيء ككل شاب ، يحب الحياة بلهوها ومرحها ، ويقبل عليها اقبال من يريد ان يروى غليلا من لذائذها ، ومن لذائذ الشباب الخمرة والمرأة ، وقصيدته التي مطلعها

وشامخ العرنين جاثليق ... ...

---

١ الضبي – بغية الملتمس ص ١٣٠ رقم ٣٠٢

تصور لنا ميوله الى الحياة اللاهية ، ورغبته في ارتشاف الخمرة ، وقد تكون هذه القصيدة مما قاله في الاندلس وان كنا لا نملك الدليل على ذلك . في هذه القصيدة يقول

وشامخ العرنين جاثليق مروع بمثلنا مطروق
نبهته فهب كالفنيق يسحب ذيل الاصيد البطريق
الى دنان صافنات السوق فاستلها بمبزل رقيق
لم يبق منها الدن للراووق الا كياناً ليس بالحقيق

وتدفعه حميا الخمرة الى الاكثار من الشرب فيشربها حتى يدركه الصباح

ما زلت اسقى غير مستفيق حتى رأيت النجم كالغريق
والصبح في سربـاله الفتيق يرمي الدجى بلحظ سوذ نيق

ولكنه في سكره المستمر لا ينسى ان يحدثنا عن ما يتحلى به من اخلاق ، ويصور لنا الصاحب الذي يريد ، فهو لا يرضى اخا لا يخلص بوده ، ولا يحب المرء يعطيق بطرف لسانه ما ليس في قلبه ، فيذوق لك الكلام ، ويتظاهر بما ليس يبطن ، وذلك لان ابن هانيء يخلص لمن يخلص له ، ويتذلل لصديقه الودود .

ولست ارض بالاخ المذوق ولا اللسان العذب ذى التذويق
وقد اذل للاخ الشقيق كذلة العاشق للمعشوق
لا تجزين البر بالعقق واغن عن العدو بالصديق
وواصل الصبوح بالغبوق [1]

---

١ ديوان – نشر كرم البستاني – ص ٤٠٩

وكاني بالشطرة الاخيرة شعار المدمنين الذين يجعلون همهم في الحياة ، ان لا يعرف الصحو الى عقولهم طريقا، وكأن ابن هانيء الاندلسي تذكر قول الحسن ابن هانيء الحكمي ، ابي نواس

وعيش الفتى في سكرة بعد سكرة فان طال هذا عنده قصر الدهر

فاطلق هذا الشعار .

فليشربها اذن ابن هانيء صباح مساء ، فهي له غاية ، واذا دعا صديقه لمشاركته ، رجاه ان يصحب معه نديما ومغنيا وشرابا ، كانه في ذلك يريد ان يجمع مسرات الحياة

فاذا ما جئتنا فجيء بنديم وسماع ومجلس وشراب [1]

واما الساقي فله فيه راي خاص ، انه يريده مقرطقاً ، ثقيل الردف ، حتى انه لا يسعه الازار

وليل بت اسقاها سلافا معتقة كلون الجلنار
بكف مقرطق يزهى بردف يضيق بحمله وسع الازار
اقمت لشربها عبثا وعندى بنات اللهو تعبث بالعقار
ونجم الليل يركض في الدياجى كان الصبح يطلبه بثار [2]

فهذا الشعر عليه مسحة الشباب اللاهي الذي لا يعبأ الا بمسراته ، ثم هو لا يرى هذه المسرات الا في الخمرة ومنادمة الاصحاب ، فينصرف اليها بكل قواه يشربها ويدعو الى شربها، وقد تكون هذه الابيات والمقطوعات مما قاله الشاعر في

---

١ ديوان نشر كرم البستاني ص ٤٢٤
٢ « « « ص ٤٢٤

الاندلس او قريبة العهد من ذلك .

ثم ان في بعض مدائحه لابني علي بن حمدون جعفر واخيه يحيى اصداء لهذه الرغبة الملحة في الشرب ، ويمكن ان نعد هذا الشعر قريب الشبه من شعره في الاندلس ، اذ انه كان في ريعان شبابه عند اتصاله بهما ، وكانت ميوله للحياة اللاهية قوية في نفسه ، وعدم الشعور بالمسؤلية واضح الملامح في مدحه لجعفر يدعو صراحة للشرب واللهو فاسمعه يقول

خليلي هبّا نصطبحها مدامة ... لها فلك وتر به انجم شفع
تلية عام فض فيهُ ختامها ... خلا قبله التسعون فتي الدن والتسع
اذا ابدت الازباد في الصحن راعنا ... بروز كمي البأس من فوقه درع
ساغدو عليها وهَّ اضريح عندم ... لهاء منظر بدع يجيء به بدع
واتبع لهوى خالعا ويطيعني ... شباب رطيب غصنه وجنى ينع [1]

الست ترى انه غاد او رائح على هذه الخمرة، يريدها معتقة وقد مضى عليها قرن ، ثم هو يحاول ان يبرر ذلك بشبابه الريان ، وغصنه اليانع الجني . واسمع ايضاً الى هذه الدعوة يوجهها الى يحيى بن علي ، ويحضه على ان يغتنم شبابه ويلهو مستفيدا من غضارة الدنيا

غضارة دنيا واعتدال شبيبة ... فما لك في اللذات واللهو من عذر
ولا خير في الدنيا اذا لم يفز بها ... مليك مفدى في اقتبال من العمر

اذ ما نفع هذه الدنيا اذا لم يستفد منها الانسان في شبابه فيسعد بما تقدمه له من مغريات ، موفرة له اللذائذ ، والانسان الذي لا يغتنم هذه الفرص ليس

---

١ ديوان ٢٨ – ٤١٤

له عذر ، وخير ما يتمتع به الانسان هي الخمرة والمرأة

وما زلت تروى السيف في الروع من دم فحقك ان تروي الثرى من دم الخمر
وتنعم بالبيض الاوانس كالدمى وترفل من دنياك في حلل خضر [1]

هذه عقيدة ابن هانيء في الحياة ، وهذا هو شعاره في صباه كما امكن ان نستدل عليه من بعض شعره الذي يمكن حصره في شعر الصبا ، بيد انه لا يجوز لنا ان نتهم ابن هانيء بالفسوق الذي نعرفه عند ابي نواس وامثاله ، فقد كان لهو ابن هانيء اللهو الذي يبيحه ابناء الاندلس لانفسهم ويرون به شيئا مالوفا ، لا يتسترون بذكره ، ولا يخشون اعلانه ، فعلى هذا درجت الحياة في الاندلس ، وفي ظل هذه الحياة نشأ شبابهم ومنهم ابن هانيء

ابن هانيء واهل الاندلس = ثورتهم عليه ، اسبابها . الفلسفة او القول بمقالة الشيعة ؟ = لقد كان اهل الاندلس على جانب = عظيم من التزمت والتصلب في الدين ، حتى ذهبوا الى تحريم كتب من اشتغل بالفلسفة من الفقهاء ، واساءوا معاملة من اتهم بالزندقة ، وراح علماء المالكية منهم ينصحون الطلبة بالابتعاد عن الكتب المشبوهة بالهرطقة او الفلسفة ولو كانت كتب حديث او تشريع ، فحرموا كتاب المعارف لابن قتيبة [2] بل ودفع بهم التعصب الى الثورة على ولاة الامور اذا راوا انهم قد خرجوا على الدين ، وما ثورة الربض التي حدثت سنة ٣٠٤ للهجرة [3] الا من جراء تدخل الفقهاء وسيطرتهم على عقول الناس ، بيد انه كان هناك اناس يدرسون الفلسفة ، ويقولون بالاستطاعة ، ويتكلمون بالقضاء والقدر ، وما الى ذلك من المشاكل التي اثارت في الاسلام جدلا

---

١ « ١٨ ، ٣٠٢

2 A. Palactios ; Ibn Maserra y su escuela Pag. 24

٣ ابن عذاري – البيان المغرب ج ٢ – ٧٦

قويا حمل لواءه علماء الكلام ، ونشأت بسببه هذه الفرق المتعددة ، واهمها المعتزلة ، وهؤلاء العلماء وان كانوا قلة كمحمد بن حيّون [1] ، ومحمد بن عبدالله بن مسرة [2] ، وخليل بن عبد الملك الملقب بخليل الغفلة [3] ، وغيرهم ، كانوا لا يجدون من الناس الاحترام اللائق ، فاضطر بعضهم الى النزوح عن الاندلس ، وبعضهم الى الانقطاع عن التدريس ، ولقي البعض الآخر هوانا . فاذا كانت هذه حال العلمـــاء فما يكون اذن مصير الشعراء الذين يجهرون بعقيدة ، او يثورون على التقاليد التي تفرضهـــا البيئة ؟ فحق هؤلاء ان يجدوا كل عنت ، ويلاقوا كل اضطهاد ، وما ابن هاني بالغريب عن هؤلاء الشعراء .

ان نظرة نلقيها على الكتب التي أرخت لابن هانيء ترينا أن الشاعر قـد اضطهد فاضطر للهرب . ولكن لمَ اضطهد ؟ هذا ما نريد ان نعرفه .

لو قرأنا ما قاله ابن الابار في هذا الصدد لرأيناه لا يعرض للسبب الذي من اجله اضطهد ، فهو يقول ... ثم استوطن ابوه البيرة ، وخرج هو منها [4] اما لمَ خرج ومتى وكيف فلم يهم المؤرخ ، لذلك ضرب عنه صفحا . اما ابن خاقان فيرد سبب اضطهاده ، ونزوحه عن الاندلس ، الى ما كان يقول به من غلو ، وذلك بحملة منمقة موشاة بالسجع والمحسنات البديعية ، فيقول : وابـدى من الغلو ، وتعدى الحق المجلو ، فمجته الانفس ، وازعجتـه عن الاندلس [5] وابن خلكان يرى انه كان كثير الانهماك بالملاذ ، متهما بمذهب الفلاسفة ، ولما اشتهر ذلك عنه نقم عليه اهل اشبيلية [6] ولكن ياقوت الحموي يؤكد لنا ان ابن هانيء كان متهما بالفلسفة ، يسلك في اقواله واشعاره مسلك المعرى ، وما زال يغلو في

---

١ ، ٢ ، ٣ ، ابن الغرضي – تاريخ علماء الاندلس ج ١ ٣٢٦ ، ٣٣٧ ، ١٢٠

٤ ابن الابار – التكملة ج١ ، ١٠٣

٥ ابن خاقان – مطمح الانفس ص ٧٤

٦ ابن خلكان – وفيات الاعيان ج ٣ ، ٤٩

ذلك حتى تعدى الحق ، وخرج في غلوه الى ما لا وجه له في التأويل ، فازعجه اهل الاندلس[1] ، وابن الخطيب لا يزيد على ان يصفه بانه كان من فحول الشعراء ، وامثال النظم ، وبرهان البلاغة ، لا يدرك شأوه ، ولا يشق غباره ، مع المشاركة في العلوم ، والنفوذ في فك المعمى[2] ، ولسنا نرى ان فحولة الشعر ، وبلاغة المنطق ، والمشاركة في العلوم ، تسبب الاضطهاد . اما ما قاله المقرى في هذا الموضوع فماهو كان الا ما قاله ابن خاقان في مطمح الانفس نقله نقلاً حرفياً ، لم يزد فيه ولم ينقص[3] .

هذا مجمل آراء الذين ارخو له ، وهذا ما يجعلنا اكيدين من ان الشاعر لم يخرج مختارا من الاندلس ، بل فارقها كارها ، ازعجه اهلها عنها ، لانه يقول بمقالة الفلاسفه ، وينهمك بملذاته ويغلو في اقواله الى ما لا وجه له في التأويل ؛ والقول بان الانغماس بالملذات سبب اساسي في حملة اهل الاندلس عليه ، قول فيه كثير من المبالغة اذ ان في الاندلس لذلك العهد وما بعده ، اناسا انغمسوا حتى آخر حدود الانغماس في الملذات ، فهم يشربون الخمرة ويعاشرون النساء ، وربما انغمس بعضهم بحب الذكور ، وما رأينا الناس ، وان كرهوهم ولاكت سمعتهم الالسن ، ازعجوهم عن ديارهم .

بقي علينا ان نناقش اذن السببين الاخيرين وهما القول بالفلسفة او مشايعة الفلاسفة على آرائهم ، والغلو الذي لم يعد يمكن تأويله ، فكيف نفهم هذا ؟ وأي السببين كان العامل المباشر في طرده من الاندلس ؟

انا لا اعتقد ان ابن هانيء كان مشايعاً للفلاسفة يقول بمقالتهم ويتبع آراءهم ، حتى ولست ارى انه درس الفلسفة لا متعمقاً ولا متصفحاً ، وهذا الرأي نستند

---

١ ياقوت الحموى – معجم الادباء ج ١٩ ، ٩٢

٢ ابن الخطيب – الاحاطة في تاريخ غرناطة ج ٢ ، ٢١٢

٣ المقرى – نفح الطيب ج ٥ ، ١٨٣

في دعمه الى ديوان الرجل الذي لا نرى فيه خاطرة فلسفية ، ولا تفكيراً يدل على ان صاحبه عرف الفلسفة بمفاهيمها الشائعة في ذلك الزمن ، ولسنا نعتقد ان ان الانسان يمكن ان ينسى مـــا كان قد اطلع عليه في سني دراسته من آراء مخالفة لمـــألوف الاكثرية ، ثم انه لا بد ان يخرج عن لسانه اقوال فيها مظهر فلسفي اذا ما كان قد آمن بالفلسفة في شبابه ، واذا لم يؤمن فلا بد من ان يلمح في بعض الاحيان الى بعض هذه الآراء التي يمكن ان نعدهـــا من قبيل الفلسفة ، او من قبيل التفكير الحر على الاقل .

وديوان الشاعر الذي بين ايدينا لو تصفحناه لما كنا نجد فيه فكرة فلسفية ، او عمقاً فكرياً تحررياً ، الا ما يتعلق بعقيدته الاسماعيلية التي تطور فيها تطوراً ارتقائياً كما سنرى عند بحثنا اثر الاسماعيلية في شعره ، ولا يمكن ان نخلط هذه التعاليم الباطنية مع التفكير الفلسفي الحر ، وان كان في هذه التعاليم الشيء الكثير من الفلسفة . ثم ان ابن هـــاني لا يذكر في شعره اي علم من اعلام الفلسفة كما يفعـــل المتنبي مثلاً – كما لا يذكر اي مفكر حر من مفكري الاسلام ، بينما نراه يتحدث عن الخوارج والسنة والحوادث والاحداث التي مرت على الطالبين الى كل ما يتعلق بالتـــاريخ الاسلامي كما يذكر بعض شعراء العربية العربية القدامي كعلقمة الفحل ، وامرىء القيس او بعض فرسانها كعمرو بن معدي كرب مثلاً ، وكثيراً غير هؤلاء .

فان كان يذكر مثل هؤلاء من اعـــلام الشعراء من الذين عرفهم ، وقبلنا – فرضاً – انه كان مشايعاً للفلاسفة في اقواله ، فلا نطلب منه برهانـــا واحداً على الاقل ، مهما كان هذا البرهـــان قليل القيمة على ما يدعي من المعرفة ؟ ألا نود ان نرى بعض اسماء الفلاسفة تتردد في شعره دون ان يرينا انه يعرف مقالاتهم ويشايعهم عليها حتى نستطيع ان نتردد بانه ما عرف الفلسفة ولا قال بمقالة اهلها ؟

وهناك شيء آخر نود ان نشير اليه هو ان التعـــاليم الباطنية ما كان يسهل

اخذها ، لان اربابها ما كانوا يستطيعون ان يجاهروا بها ، حتى ولا يعلموها الا على حذر ، ونحن لا نشك بان بعضاً من دعـــاة الاسماعيلية ، ورجالات الشيعة دخلوا الاندلس ، وبثوا فيها تعـاليمهم ، فكان من ثمرة هذه التعاليم ثورة ابن القط الذي سمى نفسه المهدي [1] . غير انه يجب ان نشير الى ان تعاليم الباطنية المفلسفة والمنشورة على رسائل اخوان الصفاء ؟ لم تكن بعد قد عرفت في ايام ابن هانيء في الاندلس ، ذلك ان القطي في كتابه إخبار الحكـماء يخبرنا في حديثه عن عمر بن عبد الرحمن ابن احمد بن علي الكرماني ، انـه هو اول من ادخل **رسائل اخوان الصفا** الى الاندلس [2] ، وكان هذا في نهاية القرن الرابـــع الهجري امد اوئل القرن الخامس .

من كل هذا نستنتج ان ابن هانيء لم يعرف الفلسفة كفن قائم بذاته ، دعامته التفكير الحر الطليق من كل قيد ، بل رأى انه عرف الباطنية بتعاليمها امـا على ايدي رجال متخصصين ، او انه عرفها على ابيه وهذا ما نرجحه ، ويظهر انـه درسها وعرف اسرارها فقال بها مجاهرا ولم يتستر كما كان يفعل ابوه ، فأغضب الأمويين ، وعمال الأمويين ، واحتج العامة لدى الخاصة ، فكان من نتيجة هذا ان خرج الى الاندلس ميمما وجهه شطر افريقية حيث دعامـــة المبدأ الفاطمى قويـة هناك ، وحيث تمارس العقيدة بحرية تامة . قد يعترض معترض على هـذا الرأي ولذا نرجوه ان يستمع الى اعترافات الشاعر في بعض مـدائحه للمعز التي

---

١ Levy Provençal : Historia de Espana Musulmana ترجمة غارسيا غومس ص ٣٠٨ .

١ القفطي – اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٦٢ . في مقال لغارسيا غومس نشرته مجلة الاندلس في عددها الرابع ١٩٣٦ – ٣٩ ، تحت عنوان تلميحات الى اخوان الصفـا في الشعر العربي الاندلسي يشير الكاتب الى ان الذي ادخل رسائل اخوان الصفا هو مسلمه المجريطي المتوفي سنة ٣٩٥ ، ١٠٠٤ G. Comez : Alusiones a los Ijwan al-Safa en la poesia arbigo-andaluza. (Andalus IV (1936 - 39)

اعتمدناها كمستند لرأينا هذا ، قال :

دعاني لكم ود فلبت عزائمي وعنسي وليلي والنجوم الشوابك
ومستكبر لم يشعر الذل نفسه ابي ، بابكار المهاول فاتك
رلو علقته من امية احبل لجب سنام من بني الشعر تامك
ولما التقت اسيافها ورماحها شراعا وقد سدت علي المسالك
اجزت عليها عابرا وتركتها كان المنايا تحت جنبي ارائك

وما نقموا الا قديم تشيعي فنجى هزبرا شده المتدارك [1]

والبيت الاخير اقرار اوضح ، واعتراف صريح من قبل الشاعر بانه كان شيعيا قبل خروجه ، وان هذا اثار نقمة الامويين وعمالهم والاندلسيين المعتصمين فهرب الشاعر ناجيا بنفسه . وهل بعد هذا الاستقرار يكمن الشك بالسبب الذي الذي من اجله اضطر للخروج من الاندلس ، ونحن اذا افترضنا غير هذا كان هذا من قبيل الظن والظن لا يغني عن الواقع شيئاً .

الى مثل هذا الراي يشير محمود علي مكي دون ان يجزم في الامر فيقول ، وربما كان من ثمرة دعاية — الافضل دعاوة — الفاطميين ، شاعر البيرى ، قضى فترة شبابه في الاندلس ثم طرد منها حين عرف اتجاهه الفاطمى [2] .

وهكذا كان ابن هانيء شيعيا فاطميا وربما كان غير متعمق بتعاليم هذه الفرقة ، يجاهر بعقيدته فيكرهه اهل السنة واتباع الامويين ، ويغلو في عقيدته حتى يعجز الناس عن ايجاد تأويلات لهذه الاقوال ، وربما كان غلوه فيما يتعلق بنظرة الشيعة الى اللائحة ، وامام هذه الآراء لا يجد الناس ، وخاصة العامة بد من رمي ابن هانيء ، بالكفر والمروق من الدين ، فيغرون به صاحب

---

١ ديوان ق ٣٧ ، ٥١٦

٢ محمود مكي ـ التشيع في الاندلس (مجلة المعهد المصري سنة ١٩٥٤ عدد ١–٢) ص ١١٥

اشبيلية الذي ساءت سيرته بين الناس لصحبته ابن هانيء ، ويضطر هذا الى ان يطلب من الشاعر ان يتوارى انظار الناس في اشبيلية ، فينهزم ابن هـانيء وهو موقن انه لو علقت به حبال بني امية لجب سنام من بني الشعر تامك .

خروجه من الاندلس = في عهد من وكم كان عمره

رأينا ابن هانيء لا يقوى على مقاومة الضغط الذي كان يلقاه من الخـاصة والعامة ، ولم يتحمل الاتهامـات التي كانت تكال له جزافا ، يرمونه بالتشيـع وبالزندقة بل وبالكفر ، ففر هاربا ، ونزح عن مسقط رأسه بناء على رغبة حاكم اشبيلية الذي اشار عليه بالغيبـة عن البلد مدة ينسى فيهـا خبره [1] ، او دراء للفتنة [2] ، بل وربما تعرض الحاكم نفسه الى مقت العامة وغضبهم لصحبتـه ابن هانيء [3] ، فيعم وجهه شطر المغرب الافريقي ، حيث حاضرة التشيع عامرة ، وحيث يدعى للعقيدة علانية ، ويحميها الخليفة ، وكانت التعاليم الاسماعيليـة تنشر بين الناس ويدعى لاعتناقها ، وفيها ما فيها من تأويل وتحريم لحلال ، او تحليل لمحرم ، ممـا عرف بالتشريق [4] ، ويرى ابن هانيء ان خير مـكان يمكن العيش فيه بهدوء دون رهبة من عامة ، او خشية من خاصة ، هو افريقية الفاطمية ، يستقر هناك .

ويهمنا الآن ان نعرف ففي عهد اي حاكم من حكام اشبيليه خرج ابن هانيء من الاندلس .

لقد رجعنا الى كتب التاريخ القديمة والتراجم علنا نجد شيئا شافيا بما يتعلق

---

١ ابن خلكان – وفيات الاعيان ج ٣ ، ٤٩

٢ ياقوت – معجم الادباء ج ١٩ ، ٩٢

٣ F, Pons Boigues : ; Ensayo bio-bicliografico sobre los historiadores y geografos P. 74

٤ ابن عذارى – البيان المغرب ج ١ ، ١٨٥

بمعرفة الحاكم الذي صحبه ابن هانيء ، وغادر الاندلس في عهده ، فلم نوفق الى ما يغني ، غير ان ابن الأبار يذكر ان عبد الرحمن بن بدر ولي للناصر الوزارة والكتابة والعروض والخزانة وصرفه في عمارة كورة اشبيلية [1] . ولكن لا نعلم في اية سنة وليها ولا متى أعفي منها ، وهل لحق ابن هانيء عهده ام لا . ويذكر المؤلف رجلاً آخر كان مولى نعمة لبني أمية ، هو اسماعيل بن بدر بن اسماعيل ابن زياد ابو بكر ، ولي اشبيلية للناصر عبد الرحمن بن محمد وكان أثيراً لديه ومنادماً له وعاش الى دوله ابنه الحكم المستنصر بالله ... ذكره ابن الفرضي في تاريخه وذكر ان صناعة الشعر غلبت عليه وهو احد المكثرين وله الناصر .

لو كان يعبد دون الله من احد ما كان غيرك في الدنيا بمعبود
قد فات قدرك وصف الواصفين فما ذكراك الا بتحميد وتمجيد
لما ذكرتك يوما قلت في جزل يا نعمة الله في ايامه زيدي [2]

هذا الرجل الذي ولي للناصر اشبيلية ، وعاش الى ايام الحكم ، حتى بعد خروج ابن هانيء من الاندلس ، وكان شاعراً هل كانت بينه وبين ابن هانيء صداقة تربط بينهما ، ثم هل جمعت بينهما صنعة الشعر فتصافيا وتحابا حتى لم يطلب منه الا ان يتغيب حتى ينسى خبره ؟ قد يجوز ذلك ولا ارى مانعاً يحول دون هذه المصافاة ، فالرجل شاعر وهو امير ، وللشعر والشعراء عنده مكانه ، وما ارى الا انه اصطحب ابن هانيء حتى ساءت مقالة الناس فيه ، فطلب الامير من الشاعر ان يتغيب عن البلاد وقتاً ينسى فيه خبره . هذا رأى نميل اليه وان كنا لا نستطيع الجزم به ثم ان بينهما تشابه في الاستعمالات الشعرية والمبالغات

---

١ ابن الابار – الحلة السيراء – نشر دوزي – ص ١٣٧ .
٢ ابن الابار – الحلة السيراء ص ١٣٨ .

فأبيات اسماعيل بن بدر التي مرت معنا ، نجد لها شبيهاً عند ابن هانيء وزناً وقافية ومعنى مع شيء من الغلو اقتضته عقيدته الاسماعيلية ؟

وعند ذي التاج بيض المكرمات وما عندي له غير تمجيد وتحميد
اتبعته فكري حتى اذا بلغت غاياتها بين تصويب وتصعيد
رأيت موضع برهان يبين وما رأيت موضع تكييف وتحديد [1]

فهل يكون هذا التشابه في التفكير والتعبير دليلا على صداقتهما وعيشهما زمناً طويلاً معاً حتى اثر احدهما في الآخر ؟ قد يكون ذلك وان كنا لا نستطيع ان نجزم به مع ميلنا اليه .

وثمة نقطة اخرى نود ان نعرض لها بالتفصيل – كنا قد اشرنا اليها سابقاً ، وهي كم كان عمر شاعرنا عند خروجه من الاندلس ؟

يتفق صاحب **الاحاطة في اخبار غرناطة** وصاحب **وفيات الاعيان** على ان ابن هانيء لما خرج من الاندلس كان عمره سبعاً وعشرين سنة [2] ولم اجد غيرهما تعرض الى ذكر عمره عند خروجه من الاندلس .

بيد ان من يطالع ديوان ابن هانيء يجد فيه اشارات الى وقائع معينة اذا عرف تاريخ حدوثها امكن تحديد الزمن الذي قيلت فيه على وجه التقريب ، سيما وان بعضها لا يخفل بأية اشارة اسماعيلية ، او اية تعابير عقائدية ، فلنأخذ مثلاً قصيدته التي مطلعها .

---

١ ديوان ق ١٢ – ٢١٠
٢ ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ج – ٢ – ٢١٢ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج – ٣ – ٤٩

ارياك ام ردع من المسك صائك ولحظك ام حد من السيف باتك [1]

وقد قالها مدح المعز ، ونجد ان هذه القصيدة خالية من اية اشارة الى معركة حربية بل فيها دعوة الى موالاة الفتوحات .

ووال فتوحات البلاد كأنها مباسم ثغر تجتلى ومضاحك

وفيها ايضاً تعريض ببني امية الذين نقموا عليه تشيعه ، وحاولوا الفتك به ، فانهزم ، ومما يؤلف في المديح ان يعدد الشاعر اعمال الممدوح المجيدة ، فاذا اغفل ذلك جاز لنا ان نعتقد بان الخليفة لم يكن له بعد من جليل الاعمال ما يستحق الذكر ، وفي مثل هذه الحال كان لنا ان نرى ان اتصال ابن هانيء بالمعز كان عند توليه الأمور ، وتسلمه زمام الحكم في البلاد ، ولم تكن للمعز بعد غزوة تذكر. والمعروف ان المعز تسلم زمام الخلافة سنة اثنتين واربعين وثلاثمائة [2]. وفي قصيدة اخرى يشير الى غزوة لجيوش المعز الى احد ثغور بني امية بقيادة عامل المعز على صيقيلية الحسن بن علي ، حيث نزل في ساحل المرية ، فغنم وعاد منصوراً وقد وقعت هذه المعركة سنة ٣٤٤ — ٩٥٥ وفي هذه القصيدة يقول ابن هانيء .

لقيت بني مروان جانب ثغرهم وحظهم من ذاك خسر وتتبيب [3]

بينما يشير في قصيدة اخرى الى فشل بني امية في النزول على ساحل المغرب انتقاماً لما اصيبوا به من قبل جيش المعز ، وفي هذه المناسبة يقول ابن هانيء .

---

١ ديوان ق٣٧

٢ ابن خلدون تاريخ ج ٤ — ٤٦

٣ ديوان ق ٣ — ٤٢

خابت امية منه بالذي طلبت كما يخيب برأس الاقرع المشط
وحاولوا من حضيض الارض اذا غضبوا
كوكباً عن مرامي سأوها شحطوا [1]

ويظهر ان بني امية غضبوا لانتهاك حزمة بلادهم ، لذلك « اخرج سيد الاندلس ... اسطوله مع غالب مولاه الى ساحل افريقية فمنعتهم العساكر » [2] وقد حصلت هذه الواقعة في سنة ٣٤٥ اذ انها كانت رداً على غزوة الفاطميين للاندلس .

ومما نلحظ هاتين القصيدتين انهما خلتا من التعابير الاسماعيلية ، والاشارات العقائدية ، الا من مبالغات مألوفة لدى الشعراء .

كل هذا يحملنا على ان نقول بأن اتصال ابن هاني بالمعز كان حوالي سنة ثلاثماية واربع واربعين ٣٤٤ ، اي عندما كان عمره اربعاً وعشرين سنة على ابعد تقدير ، لا كما ذكر ابن الخطيب وابن خلكان من انه كان ابن سبع وعشرين سنة لما خرج من الاندلس ، ذلك لاننا وضعنا ولادته في سنة ٣٢٠ — ٩٣٢ ، ثم اننا نعرف انه اتصل اولاً بجعفر بن علي بن حمدون وأقام زمناً يمدحه قبل ان يتصل بالمعز ، غير اننا لا نرى مانعاً من ان يتصل بالمعز في السنة التي اتصل فيها بجعفر بن علي ، اذ يقول ابن الخطيب انه اتصل اولاً بجوهر قائد المعز ومدحه فلم يعجبه عطاؤه ، فسأل عمن يفضله ، فدل على جعفر بن علي ، فاتصل به وبقي عنده الى ان وجهه جعفر الى المعز [3] ، وهنا نحار امام التاريخ اذ ان جوهر لم

---

١ ديوان ق ٢٠ — ٣٩٠
٢ ابن خلدون تاريخ ج ٤ — ٤٦
٣ ابن الخطيب احاطة ج ٢ — ٢١٢

يغزه المعز الا سنة ثلاثمائة وسبع واربعين ٣٤٧ كما يقول ابن خلدون [١] وان اول قائد للمعز من غلمانه هو قيصر الصقلي الذي تركه في العساكر بعد جولته الاولى سنة ٣٤٢ ثلاثماية واثنتين واربعين ، يوم خرج الى بني كملان ومليلة وهوارة ، ثم ولاه المعز اعمال باغاية [٢] . فهل يكون اتصال ابن هـــانيء بقيصر لا بجوهر اولاً ، ذلك ان جوهر كان كاتباً ووزيراً للمعز ، وأظنه كان على جانب كبير من الميل للادب وتذوقه ، وربما وصل الى مركزه بحسن ادبه ، ثم ان ابن هـانيء مدحه وعرض بمدحه في مدحه للمعز ، ولو انه لم يعجبه لانصرف عنه ولما ذكره.

وهكذا نرى ان خروج ابن هانيء من الاندلس ، كان قبـــل ان يتجاوز الرابعة والعشرين من العمر ، خرج منها شاباً لم تنضجه الخبرة ، ولم تعلمه الايـام ما يحتاج اليه في حياته من مداراة للناس ، ولين جانب ، وتستر على عقيـدة ، وعمل بالتقية التي تقول بها التعاليم الشيعية كما فعل ابوه ، فاضطر ، وهو الشاب المندفع امام ضغط العامة ومقت الخاصة الى الهرب ، قبـــل ان تنضجه خبرة السنين ، وتفيده الايام حسن دراية ومعرفة بأصول معاشرة الناس .

اسرة ابن هانيء

لا نعرف عن حياة الرجل الخاصة شيئاً ، فحياته العائلية نجهلها ونجهل مـا اذا كان تزوج ، وهل انجب ، او لم ينجب ، وكل ما نعرف انه كان يكنى بأبي القاسم وكناه بعضهم بأبي الحسن والكنية لا تعني بالضرورة ان الانسان له ابناء يحملون هذا الاسم ، فقد يكنى الصغار . غير ان ابن خلكان يذكر انه عندما

---

١ ابن خلدون تاريخ ج ٤ – ٤٦
٢ ابن خلدون تاريخ ج ٤ – ٤٦

رحل المعز الى الديار المصرية « شيعه ابن هانيء المذكور ورجع الى المغرب لاخذ عياله والالتحاق به فتجهز وتبعه [1] » ومن هذا يتضح انه كان للشاعر عيال مع انه لم يذكرهم ابداً في قصيدة من قصائده ، فقد اهملهم كما اهمل أبويه الا انه المح في بيت من الشعر الى ضرورة العودة بعطايا الممدوح .

كفى بعض ما اوليت فاذن لقافل بفضلك زمت للترحل اينقه [2]

ولن تكون العودة الى حيث ينتظر القافل اناس هو مسئول عنهم . وهكذا تبقي هذه الناحية غامضة كأكثر نواحي حياة هذا الرجل الذي اهمل نفسه وأهمله الآخرون .

موت ابن هانيء

اكثر المؤرخين الذين تحدثوا عن ابن هانيء متفقون على ان وفاته كانت في سنة سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ٣٦٢ — ٩٧٢ وفي مدينة برقة ، وليس لنا اي اعتراض على هذا التاريخ لان الاتفاق تام عليه ، ولكنهم لم يتفقوا على كيفية الموت ولا سببه ، فابن خلدون [3] ، وابو الفداء [4] وابن الاثير [5] يقولون بانه كان مع المعز عندما توجه الى مصر ولما وصل الى برقة قتل ابن هانيء غيلة ، هذا ما لا تذكره كتب التاريخ الادبي فتخالف هذا الرأي ، فيذكر ابن الخطيب ان ابن هانيء

---

١ ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٣ — ٤٩
٢ ديوان ق ٣٢ — ٤٦٦ .
٣ ابن خلدون المصدر السابق ص ٤٩ .
٤ ابو الفداء تاريخ ج ٢ ١١٨ .
٥ ابن الاثير الكامل ج ٨ — ٢٢٣ .

توجه الى مصر ليلحق بالمعز الذي كان آنذاك فيها وعند وصوله الى برقة ، سكر ونام عرياناً وكان البرد شديداً فأفلج وتوفي في سنة احـــدى وستين وثلاثمائة [1] ويخالف هذه الرواية ياقوت الحموي ، اذ يذكر انه « وجد ملقى في سانيـة من سواني البلد مخنوقاً بتكة سراويله ، ولم يعرف سبب ذلك ، ولا فاعله ، وكانت وفاته كذلك يوم الاربعاء سنة اثنتين وستين وثلاثماية [2] » ويجمع ابن خلكان[3] بين الروايتين دون ان يستطيع ان يرجح احداهما على الاخرى .

من هذا نرى ان المؤرخين لم يتفقوا على كيفية موت الشاعر وان اتفقوا على تاريخ هذه الوفاة واحب ان اشير الى ان ابن هانيء لم يكن في صحبة المعز عندما قتل ، ذلك ان المعز كان قد سبقه الى مصر وعاد الشاعر ليأخذ عياله ويلحق به ولما كان في برقة قتل غيلة فبلغ ذلك المعز فقال – هذا الرجل كنا نود ان نفاخر به شعراء المشرق ، فلم يقدر لنا ذلك [4]

ويؤخذ ما ذهبنا اليه قصيدتان قـــالهما الشاعر في مدح المعز مطلع الاولى .

ما شئت لا مـــا شاءت الاقدار فاحكم فـــانت الواحد القهار [5]

---

١ ابن الخطيب الاحاطة ج ٢ – ٢١٢ .
٢ ياقوت معجم الادباء ج ١٩ – ٩٢
٣ ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٣ – ٤٩
٤ المصدر ذاته « « « «
٥ ديوان ق ٢٤

وفيها يشير الى ان المعز اصبح في مصر .

ها ان مصر غداه صرت قطينها احرى لتحسدها بك الاقطار

ومطلع الثانية :

اصاخت فقالت وقع اجرد شيظم وشامتت فقالت لمع ابيض مخذم [1]

وفيها يعتذر لتأخره عن صحبة المعز محتجاً لذاك بأهل بيت هم بحاجة اليه فيقول :

ولولا قطين في قصي من النوى لما كان في الزاب من متلوم
وفي زملان العيش كلتا مآربي اذا ارقلت بي من امون وعيهم

***

وخير ازديار غبه ، وعلى النوى يحج الى البيت العتيق المحرم
وعندي على نأى المزار وبعده قصائد تشرى كالجمان المنظم

وهذه الابيات تشير الى انه بعيد عن المعز الذي يعتبره كعبته التي اليها يتوجه .

على انه يمكن القول بأن غلو ابن هانيء في مدح المعز ، هذا الغلو الذي خرج به عن جادة الهداية ، كان سبباً في قتله ، ومن الجائز ان يكون جماعة من

---

١ ديوان ق ٧ ؛

سكان برقة ، من المتعصبين على الفاطميين ، وربما كانوا من اهل السنة ، لان افريقية كلها لم تكن من الشيعة الفـــاطمية ، اغتنموا فرصة سفره بعيداً عن جيش المعز ، فاغتالوه اعتقاداً منهم بكفره . وهكذا انتهت حياته كانسان وبقي كشاعر تتدارسه الاجيال الطالعة .

الفصل الثاني

شعر ابن هاني والتاريخ

درج الشعراء على ان يتملقوا ممدوحيهم ، يجهدون انفسهم في تعظيم فضائل الممدوح التي قد لا تكون غالباً الا في خيال الشاعر . ومن الطبيعي ان تجد الحوادث التي يشتركون فيها ، او التي تجري تحت ابصارهم صدى في شعرهم ، وهكذا يصبح الشعر عوناً هاماً للتاريخ وهو وان لم يكن همه ان يعرض الحوادث عرضاً علمياً مفصلاً ، دون تحيز ، فانه يوضح لنا بعض النقاط التي قد تكون مفيدة للباحث اذ تعينه على جلاء بعض الغموض ، بالاضافة الى وصف الشعور النفسي الذي ينتج عن هذه الحوادث ، وهي ناحية لا تستطيع كتب التاريخ العناية بها [1] . ولم يهمل ابن هانىء هذه المهمة وان لم تكن ذات اثر كبير في شعره ، فالرجل شاعر خليفة ، وشاعر مذهب وعقيدة ، ومن الضروري ان

---

١ Henri Pérès : La, poesie andalouse en arabe classique Pag. 92

ان يتغنى باعمال سيده ، ويتحدث عن مآثره ، ويدافع عن العقيدة ويشرحها ، اذ هو لسان المذهب الناطق ، يذود عن العقيدة ويمدح الخليفة ويهجو اعداءه ، بكل ما أوتي من طلاقة لسان وشدة بيان .

بيد ان الباحث يعجب لخلو اكثر قصائد ابن هانىء من الاشارة الى حوادث تاريخية ، مما يصعب معه ان يستهدي الى الزمن الذي قيلت فيه حتى يستطاع التوصل الى معرفته تطور فكرته وتدرجه في العقيدة . غير انا سنحاول هنا ان نؤرخ بعض هذه القصائد ، معتمدين في ذلك الاشارات الواردة في هذه القصائد ، والتي تدل على حوادث تاريخية معينة ، وذلك خاصة فيما يتعلق بالقصائد التي مدح بها المعز ، اذ ان القصائد التي قالها في غيره خلت تماماً من اية اشارة الى حدث هام عني به التاريخ الا ما قاله في قائد المعز جوهر لعلاقته بالخليفة ، مما يجعل محاولة تاريخها محالاً ولذا سوف لا نهتم الا بما قاله في المعز او الذين لهم به علاقة ، لان هذا سيعيننا في دراسة تطور عقيدته .

نحن نعلم ان الخلافة الفاطمية في افريقية كانت تواجه العباسيين في الشرق ، وتحاول القضاء عليهم في مقر حكمهم في بغداد ، وكانت تواجه الامويين الذين كانوا يبسطون سلطتهم على الاندلس في اسبانيا وقسم من المغرب الافريقي ، وكانت حاضرة الحكم آنذاك قرطبة ، وبالاضافة الى ذلك ، كان الروم يشنون الغارة تلو الغارة ، على الاقطار التابعة للفاطميين ، فيرد عليهم هؤلاء بالمثل ، كما كانت تحدث انتفاضات من وقت لآخر تجاوباً مع طموح فردي ، او ثورة بتأثير دعاوة خارجية . وعلى هذا فان عهد الخلفاء الفاطميين في المغرب وخاصة عهد المعز ، لم يكن عهد اطمئنان ، بل عهد قلق واضطراب ، فحروب مع الروم واخرى مع الامويين او العباسيين ، وحملات لتأديب الثائرين ، وفترات الهدوء وكانت قصيرة .

ثم انه لما كان من الصعب تأريخ القصائد الخالية من الاشارات الى الاحداث

التاريخية – كما قلنا – لذا سنكتفي بالقصائد التي يمكن تأريخها وهي التي قيلت في المعز او في من كان يوجههم في امور معينة هامـــة كجوهر الصقلي قائده . وكنت قد تبعت في الاطروحة المقدمة باللغة الاسبانية ، الترتيب الايجـدي كما ورد في ديوان ابن هانىء نشر زاهد علي ، ولكن اشارت علي اللجنة بان اتبـع ترتيبها تبعاً للزمن ، حيث انه اسهل لدراسة تطور فكرته ، وتدرجه في التعمق في فهم العقيدة ، مشيراً الى ان الشاعر ما كان يخالطه شك ، بـــل لم يرتب في صدق نسب الفاطميين الى الامام علي بن ابي طالب وفاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تكاد تخلو قصيدة من الاشارة الى هذا النسب الذي كان الدعامة الاولى في التفاف الشيعة حول هؤلاء الخلفاء وتأييدهم في مطالبتهم بحقهم السليب ، ويعتقدون ان هؤلاء الخلفاء اولى بهـذا الحق من غيرهم ، ولذا كانت هذه الغاية ابرز الغايات التى تحدث عنها الشاعر الذي كان بحق شاعرهم الخاص ، يمتدح فضائلهم على الخليقة ، ويفخر بنسبهم الشريف ، وسنعرض لهذا بالتفصيل فيما بعد عند الحديث عن مدحه للمعز وحديثنا عن ابن هانىء الشاعر السياسي .

كنا اشرنا الى ابن هانىء – كما استطعنا ان نستنتج – بقي صحبة المعز مـا يقرب من ثمانية عشر عاماً ، مدحه خلالها باحدى وعشرين قصيدة وهـذا شيء قليل بالنسبة لهذه المدة الطويلة وبالنسبة لانه شاعر البلاط الخاص ، مما يجعلنـــا نعتقد ان الشاعر ما كان يعيش في البلاط حتى بعد ان اكتملت عنده العقيـدة نضجاً ، ولما كنا نود ان نرتب القصائد تبعاً للترتيب الزمني لا تبعـــاً للترتيب الايجدي فانا نرى ان **القصيدة الثانية** من ديوانه – نشر زاهد علي – ليست فيها اشارات الى عقيدته الاسماعيلية وان كان فيها مبالغات مألوفـة لدى الشعراء ، غير ان فيها اشارة الى غزوة قام بها جيش المعز الى الساحـــل الاندلسي حيث يقول الشاعر :

لقيت بني مروان جانب ثغـــرهم وحظهم من ذاك خسر وتتبب [1]

وقد حدثت هذه الغزوة في سنة ٣٤٤ – ٩٥٥ يوم اغزى المعز عامـــله على صيقيلية ، الحسن بن علي ، المرية وثغور ساحل الاندلس [2] ، وعلى هـذا يمكن تأريخها في سنة ٣٤٤ – ٩٥٥. وفي **القصيدة السادسة والعشرين** يشير الى اخفاق بني امية في محاولة نزولهم الى الساحل الافريقي ، رداً على الغزوة التي قام بهـا جيش المعز الى ساحلهم ، وذلك عندما امر الناصر قائـد اسطوله بالتوجـه الى الساحل الافريقي ولكنـــه اخفق ، وقد حدث هذا عقب غزوة المعز في سنة ٣٤٤ – ٩٥٥ الذي يمكن ان يعتبر تاريخ القصيدة او السنة التالية ، وفي هـــذا قال ابن هانىء :

خابت امية منـــه بالذي طلبت كما يخيب برأس الاقـــرع المشط
وحاولوا من حضيض الارض اذ غضبوا كواكباً عن مرامي شأوها شحطوا

وتأتي بعد ذلك **القصيدة الثالثة والعشرون** وفيهـــا اشارة الى الهدية التي ارسلها جوهر القائد ، الى المعز الذي ارسله في حملة الى المغرب الثائر ، وقد كان ذلك سنة ٣٤٧ – ٩٥٨ وقد جاء في الديوان ان هذه القصيـــدة قيلت في سنة ٣٤٨ – ٩٩٩ وليس لنا اي اعتراض على هذا التاريخ .

واما **القصيدة التاسعة** فيقال عنها انها اول شعر مدحه به كما جاء في الديوان ونحن لانعتقد ذلك لان هذه القصيدة تظهر فيها الدلائل العقائدية جلية واضحة ، ثم ان فيها اشارة الى نكبة اصيب بها الامويون ففقدوا « عظيماً » واعتقد انهـا اشارة الى موت عبد الرحمن الناصر .

---

١ ديوان ق – ٢ .

٢ ابن خلدون – تاريخ ج – ٤ – ٤٦. يمكن اعتماد تاريخ ابن خلدون لمراجعة هذه الاحداث.

لبسوا معائبهم ورزء فقيدهم كاللابسات على الحداد مسوحا

وهل من فقيد اعظم من عبد الرحمن الناصر على الامويين ؟ وقد مات هذا الخليفة الاموي في سنة ٣٥٠/٩٦١ ، وعلى هذا يمكن اعتبار هذه السنة تاريخاً لهذه القصيدة .

وفي **القصيدة الثالثة والخمسين** تظهر عقيدته الاسماعيلية بالامام واضحة المعالم، ويذكرون ان هذه القصيدة كانت اول ما انشد الشاعر المعز في القيروان، وليست على كل حال اول ما انشد في المعز ، ذلك ان هذه القصيدة تحوي اشارة الى ان امور بني امية يدبرها رجل مهين .

قد قاد امرهم وقلد ثغرهم منهم مهين لا يكاد يبين

وواضح من هذا البيت ، ان الأمويين اصبحت امورهم في يد رجل عاجز وربما قصد بذلك الحكم الثاني الذي تولى الامر بعد ابيه عبد الرحمن الناصر ، واذا قبلنا ذلك فانا نجعل تاريخ هذه القصيدة بعد سنة ٣٥٠/٩٦١ ، ولا ارى مانع ما من ان نجعل تاريخها في آخر سنة ٣٥٠/٩٦١ هذه السنة التي تولى فيها الخلافة الحكم الثاني او في سنة ٣٥١/٩٦٢ .

والقصيدة الحادية عشرة ليس فيها اشارة الى حادثة معينة ولكنها تشير الى انتصارات جيوش المعز على جيوش الروم بمعونة الاسطول ، ويخبرنا ابن خلدون ان هذه الحوادث جرت ما بين سنة ٣٥١ – ٣٥٤ / ٩٦٢ – ٩٦٥ ولذا لا يمكن تعيين الزمن الذي قيلت به تماماً ولكن نعتقد انها قيلت في هذه الفترة .

وليس في **القصيدة الاولى** اشارات محددة الى حوادث معينة بل هناك ذكر بشكل عام لحوادث مختلفة وانتصارات على الروم وكل ما هنالك انها قيلت بمناسبة تهنئة بعيد الفطر ولا يمكن معرفة السنة التي هنأه بها وفي هذه القصيدة

مظاهر للعقيدة الاسماعيلية قوية وربما قيلت قبيل سنة ٣٥٤/٩٦٥ .

ونلاحظ ان **القصيدة الثانية عشرة** تخلو من الاشارات القوية الى العقيدة الاسماعيلية ولكنها تشير الى حادثة هامة ، الى وقعة عرفت بوقعة المجاز حدثت سنة ٣٥٤/٩٦٥ في صيقيلية وفي هـذه الوقعة تردى الروم في خندق وخسروا اسطولهم اذ سبح جنود المعز ، وخرقوا مراكبهم [١] وفيها يهنيء المعز بهـذا النصر ، ولذا يمكن تأريخها بسنة ٣٥٤/٩٦٥ السنة التي حدثت فيها المعركة .

وفي **القصيدة الثالثة عشرة** يشير الى وفود من الروم قدمت عـلى المعز ، تحمل الجزية وتعرض الصلح وقد تم ذلك بعد وقعة المجاز المذكورة سابقاً ، وعلى هذا يمكن تأريخها بسنة ٣٥٤/٩٦٤ — ٣٥٥/٩٦٦ .

ثم انه في **القصيدة الرابعة والاربعين** يشير ايضاً الى انكسار الروم في البر والبحر في صيقيلية وهي نفس وقعة المجاز ، وفيها اشارات قوية الى عقيدتـه الاسماعيلية وعلى هذا يمكن تأريخها في سنة ٣٥٤/٩٦٥ او السنة التي تلي .

وكذلك هي الحـال في **القصيدة الاربعين** حيث يشير الى انكسار الروم وخسارتهم في البر والبحر ، والى ما كسبه المسلمون من غنائم ، وفيهـا مظاهر بارزة للعقيدة الاسماعيلية ، كما يتحدث عن مجيء وفود الروم تحمـل الاتاوة ، وترجو الصلح ولذا يمكن تأريخها بسنة ٣٥٥/٩٦٦ .

واما **القصيدة السادسة والاربعون** فقد قيلت بمناسبة وداع جوهر الذي جهزه المعز بجيش لفتح مصر (الابيات ١٢ — ١٧) ، وقد كان هذا الحدث في سنة ٣٥٧ — ٣٥٨/٩٦٧ — ٩٦٨ وهذا هو تاريخ القصيدة .

---

١ ابن خلدون — تاريخ ج — ٤ — ٤٦ .

وفي **القصيدة الثانية والعشرين** ينهيء المعز بفتح مصر على يد قائده جوهر وقد تم ذلك سنة ٣٥٨ – ٩٦٨ وهذا هو تاريخ القصيدة .

وهو في **القصيدة الرابعة والعشرين** يشير الى وجود المعز في مصر وربما كان هذا اشارة الى عزمه على الحضور الى مصر البيت ٦١ ، وقد يبدأ المعز يتجهز للخروج من المغرب الى مصر سنة ٣٥٩–٩٦٩ ويمكن ان نعتبر هذه السنة تاريخاً لهذه القصيدة

والقصيد الثلاثون تحتوي على اشارة الى ان الروم قد استولوا على انطاكية البيت ١٧ ، وكذلك فيها اشارة الى ان فتح مصر قد تم نهائياً ، البيت ٣٩ وقد تم هذان الحدثان في سنة ٣٥٨ – ٩٦٨ ولذا يمكن تاريخ هذه القصيدة بالسنة التي تلي اى سنة ٣٥٩ – ٩٦٩ .

واما **القصيدة الثالثة والاربعون** فيشير فيها الى مقتل محمد بن الخزر الذي ثار على المعز على يد ابي الفتوح يوسف بلكين بن زيرى بن منار وذلك قبيل سفر المعز الى مصر في سنة ٣٦٠ – ٩٧٠ [١] الابيات ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ وهذا هو تاريخ القصيدة .

واما في **القصيدة السابعة والاربعين** فيعتذر لعدم تمكنه من اصطحاب المعز في خروجه الى مصر التي كان قد احتلها جوهر البيت ١٨٦ ، كما يشير الى انه اصبح بعيدا عن المعز البيت ١٩٢ ، وفي هذه القصيدة ايضاً تتجلى عقيدته الاسماعيلية واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، وعلى هذا يمكننا ان نؤرخ القصيدة في سنة ٣٦٠ – ٣٦١ – ٩٧٠ – ٩٧١ .

---

١ ابن خلدون – تاريخ ج – ٤ – ٤٦

والقصيدة الثامنة والخمسون ليس فيها اشارة الى اى حدث تاريخي هام ولكن فيها مظاهر العقيدة الاسماعيلية بينة المعالم جلية التعاليم ، معا يشعرنا ان هذه القصيدة قيلت في ايامه الاخيرة ، بعد ان اكتمل نضجاً في العقيدة واصبحت تعاليمها بالنسبة له لا تحتاج الي ايضاح ، وهو يذكر انه تجاوز مرحلة الشباب ولبس رداء المشيب

تقدم خطى او تأخر خطى فان الشباب مشى القهقرى

وعلى كل فلا يمكن تعين الزمن الذي قيلت به ولا حصرة

وهنـــاك ثلاث قصائد اخرى هي الخامسة والثلاثون والسابعة والثلاثون والواحدة والاربعون لا يمكن تحديد الزمن الذي قيلت به . **فالقصيدة الخامسة والثلاثون** لا تشير الى اى حدث تاريخي ، كما لا تحوي اشارات الى عقيدته ، **والقصيدة السابعة والثلاثون** يتحدث فيها عن سبب خروجه من الاندلس ، وتخلو من الاشارات العقائدية ، وربما كانت هاتان القصيدتان من اول ما قاله في المعز ، غير اننا لا نستطيع ان نجزم بذلك . كما انه ليس في القصيدة **الواحدة والاربعين** دلائل تاريخية تعين على تحديد الزمن الذي قيلت فيه غير ان فيها دلائل واضحة على عقيدته ، وهذه الدلائل تجعلنا نعتقد انها قيلت بعد زمن غير قصير من اتصاله بالمعز .

هذا كل ما استطعنا ان نحققه بالنسبة لقصائده في المعز من حيث تعيين الزمن الذي قيلت فيه هذه القصائد ، وقد بدا لنا جليا ان مظاهر العقيدة لا تبـــدو واضحة الا بعد سنة ٣٥٠ — ٦١ مما سيعيننا في تتبع تطور العقيدة الاسماعيلية عنده . اما بالنسبة للقصائد التي قيلت في غير المعز فلا يمكن ضبط تاريخهـــا لغموض تاريخ الاشخاص الذين قيلت بهم ، ولعدم وضوح الاشارات الى حوادث هامة معينة يتعرض لها التاريخ . بيد ان هناك قصيدتين قيلتا بجوهر ، الاولى

وهي **القصيدة العاشرة** من الديوان، تشير الى انتصار هذا القائد على ابن واسول الثائر على المعز ، لذا يهنىء الشاعر جوهر بهذا النصر الذي تم في سنة ٣٤٧ – ٩٥٨ على هذا الثائر الذي رفض اطاعة المعز ، واعلن نفسه اميرا، وتلقب بامير المؤمنين الشاكر بالله ، وهو محمد بن الفتح المعروف بـــابن واسول [١] فيكون تاريخ هذه القصيدة سنة الانتصار بالذات . اما في **القصيدة السابعة والعشرين** والتي قالها ايضاً يمدح فيها جوهرا ، فانه يتحدث عن الجيش الذي اعده ليقوده جوهر الى مصر وقد كان ذلك في سنة ٣٥٨ – ٩٦٨ وهذا هو تاريخ القصيدة .

اما مدائحه بجعفر واخيه وابنه فلا يمكن تعيين الذمن الذي قيلت به ، فهو مثلا في **القصيدة السادسة عشره** يتحدث عن حروب جعفر بن علي بن حمدون ضد الحروريين – فرقة من الخوارج – ويذكر انتصاره عليهم ، ولكن التاريخ لا يحدثنا متى وقعت هذه الحرب وما اسبابها وكيف انتهت ، بل يبقى غامضا في هذه الناحية. اما اذا كان جعفر هذا خرج مع جوهر في حربه ضد ابن واسول فيمكن ان نجعل تاريخ هذه القصيدة مقرونا بتلك الحرب التي وقعت سنة ٣٤٧ – ٩٥٨ ولكننا لانستطيع ان نتثبت من ذلـك . وكذلك هي الحال بالنسبة ليحي بن علي بن حمدون ، وابراهيم بن جعفر بن علي بن حمدون ، وابي الفرج الشيباني ، مما يجعلنا نعتقد بان هؤلاء لم يكلفوا باحداث هامة ، لفتت نظـــر المؤرخين ، او استرعت انتباههم ، وان مراكزهم كانت ثانوية بالنسبة لجوهر قائد المعز الاول، والرجل الذي كان المعز يعتمد عليه .

ابن هانيء الشاعر السياسي

كان الشاعر لسان القبيلة المتحدث بفضائلها الزائد عن حوضها ، ثم اصبح فيما

---

(١) ابن خلدون – تاريخ ج – ٤ – ٤٦

بعد لسان الملوك ، يزود عنهم بلسانه ، وينشر فضائلهم ، ويؤيد حقهم بامر اذا كانوا لهذا الحق طالبين ، بواسطته يتوصل الخلفاء والملوك الى صفوف العامة ، فينشر رأياً او يدعو الى فكره . فقد كان حسان بن ثابت يدافع عن الرسول شعراء قريش ومن اغرتهم قريش بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، كما استعان الامويون بالشعراء لتثبيت الخلافة فيهم ، وقد نجحوا في ذلك ، فالشاعر في القديم يعدل الصحفي اليوم في نشر الافكار او دعم الآراء ، وهكذا كان ابن هاني لسان الاسماعيليين في افريقية ، يدافع عنهم ، ويدعو للعقيدة ، ويدفع الخصوم ، ويتغنى بامجاد خلفائهم ، ويفخر باعمالهم ، وكان عليه بحكم هذه المهمة ان يدافع عن نسب الفاطميين ، ضد من يتهمهم بفساد نسبهم ، وان يحط من قدر الأمويين ويتهمهم باغتصاب الخلافة ، كما كان عليه ان يهجو العباسيين ، ابناء نتلة ، جدتهم التي كانت امة ، والى جانب ذلك كان عليه ان يدعو الناس الى طاعة الخليفة الفاطمي ، والايمان بالعقيدة الاسماعيلية ، سبيلاً للخلاص من عذاب الآخرة . اذ ان العقيدة الاسماعيلية ، وان انتصرت سياسياً في افريقية لم تستطع ان تكسب كل سكان افريقية الى جانبها ، ولم تقدر على القضاء على عقيدة السنة في البلاد الواقعة تحت حكمهم وقد كان هناك ايضاً جماعة من الخوارج يناوئون الفاطميين ، وكان على ابن هاني كشاعر للبلاط الفاطمي ان يرد على هؤلاء جميعاً ، ويقنع الناس بصحة الدعوة الفاطمية ، وكان عليه ايضاً ان يهجو الروم الطامعين بالاستيلاء على اطراف الدولة الفاطمية ، وهكذا كان شاعرنا سياسياً دون ان يشغل مركزاً سياسياً كاولئك القادة او الوزراء ، بل اكتفى بان يتناول اجراً عن كل ما يقوم به من عمل دون ان يكون رهناً بمركز معين .

ثم انه بحكم اتصاله بالمعز كشاعره الخاص ، بل وكشاعر العقيدة الاسماعيلية ، كان عليه ان يدفع عنها اعداءها ، واكبر اعدائها الامويون ، لذا انصرف الى

مهاجمتهم بشدة ، فهاجمهم من حيث يخافون ، هاجمهم في الخلافة التي اغتصبوها من علي وابنائه ،فهويدعوهم الى ارجاع هذا الحق الى اصحابه والايمان بالامام الذي هو سبيل الناس الى النجاة ، وكالسياسي اللبق يحاول ان يهيج الناس ضدهم ، ويحرك فيهم عاطفتهم ، وذلك بان يعيد الى الاذهان صورة نكبة الهاشميين ، ومقتل الحسين ، وسبي النساء ، وتعذيب الشيوخ والاطفال ، فيرسم لتلك الواقعة لوحة يثير بها سخط الناس وكراهيتهم للامويين ، فيجتمعون تحت لواء الفاطميين الذين يحاولون استرجاع حق سليب .

الا ان يوماً هاشمياً اظلهم ... يطير فراش الهام عن كل مجثم
كيوم يزيد والسبايا طريدة ... على كل موار الملاط عثمثم
وقد غصت البيداء بالعيس فوقها ... كرائم ابناء النبي المكرم
ذعرن بابناء الضباب واعوج ... فابكين ابناء الجديل وشدقم
يشلونها في كل غارب دوسر ... عليه الولايا بالخشاش مخزم
فما في حريم بعدها من تحرج ... ولا هتك ستر بعدها بمحرم [1]

ثم لا يكتفي بذلك ، بل يعرض الى الاسباب الاولى للخلاف ، فاذا به يلوم ابا بكر وعمر لانهما كانا السبب الاول في نكبة علي وابنائه .

واولى بلوم من امية كلها ... وان جل امر عن ملام ولوم
اناس هم الداء الدفين الذي سرى ... الى رمم بالطف منكم واعظم
هم قدحوا تلك الزناد التي ورت ... ولو لم تشب النار لم تتضرم
وهم رشحوا تيماً لارث نبيهم ... وما كان تيمي اليه بمنتم
على اي حكم الله اذ يأفكونه ... احل لهم تقديم غير المقدم

---

١ ديوان ق - ٤٧ - ٦٨٤ .

وفي اي دين الوحي والمصطفى له سقوا آله ممزوج صاب بعلقم
فما نقموا ان الصنيعة لم تكن ولكنها منهم شناشن اخزم
وتالله ما لله بادر فوتها ذوو افكهم من مهوأ او منقم

ويعود ليؤكد بان هناك مؤامرة مبيتة ضد علي ، لمحتها ابو بكر وسداها عمر ، فأدى ذلك الى تلك النكبة ، وكانت تلك النتائج المؤلمة .

ولكن امراً كان ابرم بينهم وان قال قوم فتنة غير مبرم
باسياف ذاك البغي اول سلسها اصيب علي لا بسيف ابن ملجم
وبالحقد حقد الجاهلية انه الى الآن لم يظعن ولم يتصرم
وبالثأر في بدر اريقت دماؤكم وقيد اليكم كل اجرد صلدم [1]

ويحمل جريرة هذا الامر كل قريش اليس ان القرشيين شركاء في هذه الجريمة النكراء ؟

ابني لؤى اين فضل قديمكم بل اين حلم كالجبال رصين
نازعتم حق الوصي ودونه حرم وحجر مانع وحجون
ناضلتموه عن الخلافة بالتي ردت وفيكم حدها المسنون
حرفتموها عن ابي السبطين عن زمع وليس من الهجين هجين
لو تتقون الله لم يطمح لها طرف ولم يشمخ لها عرنين [2]

ويشارك الامويين في تحمل قسط من هذه الجريمة العباسيون الذين نكبوا ابناء علي وشردوهم في البلاد ؛ لقد كانوا اشد ايذاء لهم وتنكيلا بهم من

---

١ ديوان – ق ، ٤٨ ، ٦٨٨ .
٢ ديوان – ق ، ٥٣ ، ٧٤٠ .

الامويين ، اذ راحوا يقتلونهم ويتعقبونهم فانتشر العلويون في بلاد العرب ، بل وخرجوا منها الى اقطار اخرى هرباً من اضطهاد العباسيين ، ثم ان قيام العباسيين كان للطالبة بحق العلويين بالخلافة ، ولما وصلوا انقلبوا على هؤلاء يذيقونهم امر العذاب ، ويستأسرون بالامر دونهم ، ويرى شاعرنا ان العباسيين وان كانوا اولاد عم العلويين ، ليسوا مثلهم مكانه في الاسلام، لان جدهم العباس لم يكن بين اوائل المسلمين ، بل انه حارب المسلمين اولاً ، وأسر وأطلق ، فهو اذن طليق ، وجدتهم امة اسمها نتلة ، والامة ليست كالحرة ، وجدة الفاطميين هي فاطمة الزهراء ابنة رسول الله وهل تعدل بهذه حرة ايضاً ؟ ولا شك بان من ينتسب الى الرسول ، خير ممن ينتسب الى اي شخص آخر . وعلي هو ابن عم رسول الله ، وصهره ، وابو السبطين ، سبطي رسول الله الحسن والحسين فهل يعدله انسان ؟ واحفاده خير بني الانسان على الاطلاق ، ومن احفاده المعز الخليفة الفاطمي ، فهو اذن خير البرية .

افي ابن ابي السبطين ام في طليقكم ... تنزلت الآيات والسور الغر
بني نتلة ما اورث الله نتلة ... وما نسلت هل يستوي العبد والحر؟
وأني بهذا وهي اعدت برقها ... اباكم فأياكم ودعوى هي الكفر
ذروا الناس ردوهم الى من يسوسهم ... فما لكم في الامر عرف ولا نكر [1]

ثم يتخلص الى تفضيل الفاطميين على العباسيين ، ويمتدح المعز الذي استرجع حقوق الطالبين ، وهدم دولة النواصب ، والنواصب هم غير الفاطميين من المسلمين الذين لم يكونوا من شيعة علي . ثم انه في مكان آخر يدعو العباسيين الى رد حقوق الطالبين .

---

١ ديوان ق ، ٢٢ ، ٣٣٧ .

لستم كابناء الطليق المرتدى بالكفر حتى عض فسيه اسار
ابناء نتلة ما لكم ولمعشر هم دوحة الله الذي يختار
ردوا اليهم حقهم وتنكبوا وتحملوا فقد استحم بوار
ودعوا الطريق لفضلهم فهم الالى لهم بمجهـــلة الطريق مثار [٢]

واما الروم فلا تكاد تخلو قصيدةمن الاشارة الى ما بهم من خسائر وهزائم، كما يذكر ثورة ابن واسول الذي ثار بمدينة سجلماسة ، وتلقب بامير المؤمنين ، ودعا الناس الى مبايعة العباسيين ، فحاربه جوهر وتغلب عليه ، ويلقبه ابن هانيء « بقارون المغرب » و « فرعونه » .

رمى بك قارون المغارب عاتيـا وفرعونها مستحييا ومذبحـا

ويذكر انه قيد مكبلا الى المعز .

تضمنه حجل كلبة ارقم اذا خرس الحادي ترنم مفصحا [٣]

ويتحدث ايضاً عن مقتل محمد بن الخزر من امراء زناتة الذي ثار ايضاً على المعز في سنة ٣٦٠/٩٧٠ حيث حمل رأس هذا الثائر على رمح الى المعز ، فقال ابن هانيء :

اتاك يعلوه من عصيانه خفر حتى كان به ضرباً من الخجل
يديره الرمح مهتزاً بلا طرب الى الكتائب مفتراً بلا جذل
مرنحاً من خمار الحتف صبّحه وليس يخفى مكان الشارب الثمل
كأنما غض جفنيه الازوم على صدر القناة او استحيا من العذل [٤]

---

٢ ديوان ق ، ٢٤ ، ٣٧٦ .
٣ ديوان ق ، ١٠ ، ١٧٠ .
٤ ديوان ق ، ٤٣ ، ٥٩٨ .

وهكذا نرى ان ابن هانيء كان لسان الخليفة الفاطمي المعز ، وشاعر العقيدة الاسماعيلية ، يدافع عن الخليفة ، ويدعو لطاعتـــه ، ويهجو اعداءه ، وينشر العقيدة ، ويدافع عنها ، ويؤيدها ، ويتخذ من الاحداث التاريخية وسيلة لاثارة الاحقاد ضد من اغتصبوا حق آل علي ، ويدعو الناس لنصرتهم وطاعتهم ، فطاعتهم فيها النجاة ومعصيتهم هي الخسران المبين .

الفصل الثاني

شعر ابن هاني والحياة الاجتماعية

١ – البيئة الافريقية والطبقات الاجتماعية

ان من الصعب جداً – كما يقول دوزي حوالي منتصف القرن التاسع عشر – معرفة الاخلاق والعادات الاسلامية في القرون الوسطى ، وغالباً ما تطلعنا الصدف على اشياء هامة ومفيدة لم يهتم بها المؤلفون والمؤرخون من العرب ، ذلك لانهم لم يحاولوا تسجيل كل شيء كان معروفاً في بيئتهم [١] وقد حفظ لنا الشعر من هذه العادات ؛ وهو في جملته ، وان لم يأبه للحياة اليومية ، فأنه لم يغفل عنها تماماً ، بل كثيراً ما نقع على مقاطع شعرية تحدثنا عن اشياء حضارية مفيدة ، او تصف لنا عادات وتقاليد تساعدنا على ان

---

١ . Henri Pérès : La poésie andalouse en arabe clasique p251.

نتعرف على نوع الحياة الحضارية التي مر بها الناس في زمن الشاعر .

وابن هانىء ، ككل شاعر في كل عصر ، لا يمكن ان نفصله عن بيئته او نطلب اليه ان يتناسى او يتجاهل ما يدور حوله ، بل على النقيض من ذلك ، نتوقع ان نرى شعره مرآة عصره ومحيطه ، وسجلاً حافلاً للاحداث التي مر بها ، والعادات التي عرفها .

لقد قضى الشاعر ما يقرب من نصف عمره في بيئة غير البيئة التي ابصر فيها النور ، في البيئة الافريقية ، وفي ظل دولة ناشئة هي الدولة الفاطمية ، القائمة على الايمان بان الخلافة الاسلامية حق من حقوق آل البيت من ابناء علي من زوجته فاطمة الزهراء ، وكان يؤيد هذه الدعوة اناس اختلفوا جنساً وتوحدوا غاية . هذا المجتمع الافريقي لم يهمله ابن هانيء ، بل تحدث عنه وان لم يسهب في الحديث . ان في شعر ابن هانيء ما يدل على ان في هذا المجتمع كان يعيش العربي والبربري والمولى ، ونحن اذا ما قرأنا شعره نراه يتحدث عن العرب باعجاب واعتزاز ، ولا غرابة بذلك فالشاعر عربي ، والخليفة عربي ، بل ومن خيرة قبائل العرب ، بل ومن خيرة هذه القبيلة ، من هاشم بن عبد المطلب ؛ وانا لنلاحظ ان الشاعر ما اتصل الا بالعرب ، فقد اتصل بابناء علي ابن حمدون وهم من جذام وجذام من عرب الجنوب كما اتصل بابي الفرج الشيباني وهو من قبيلة بني شيبان . اما ابناء علي بن حمدون فيثبت الشاعر انهم اقرباؤه اذ يفتخر بهم وبهذا يقول :

فهلا بني عمي واعيان العشري واملاك قومي والخضارم من نجري[٢]

---

١ ديوان ق ١٨ ، ٣١٠ .

وهؤلاء ينتسبون الى جـذام كما يتضح من قوله في مدح ابراهيم بن جعفر ابن علي بن حمدون .

واذا شاء قلدته جـــذام شرف البيت من اواخ وسمك [٣]

واما في مدحه لابي الفرج الشيبـاني فيفخر بالنسب العربي ، ويجعل هذا النسب سبباً لنيل الشرف .

ابلغ ربيعة عن ذي الحي من يمن انا نؤلف شملا ليس يفترق
انا واياكم فرعـــان من كرم قد بوركا وزكا الاثمار والورق

***

انا لتشرف ايام الفخـــار بنا حتى يقول عدانا اننـــا الفلق [١]

واما الخليفة فالشك لا برقى الى نسبه لانه القطب الذي تدور حوله الدعوة الفاطمية ، وسنتحدث عنه في حديثنا عن المدح .

وهناك طبقة اخرى هي طبقة غير العرب ممن ناصروا الدعوة الفاطمية الفاطمية وايدوها ، وقد كان من بين هؤلاء قبائل عديدة اشهرها صنهاجة ، ومنها زيري بن مناد ، وابنه يوسف بلكين ، وكانا مقدمين عند المعز ، وقائدين يعول عليهما في الامور الصعبة ، ونحن لا نرى ان ابن هانيء يذكر هذين القائدين في شعره ولم يمتدحهما ابداً ، وربما كان ذلك تعصباً منه للعرب او لان هذين

---

٣ ديوان ق ٣٨ ، ٥٣٠ .
١ ديوان ق ، ٣٣ ، ٤٦٧ .

كامثالها من غير العرب ، او المستعربين لم يكونا يفهمان العربية ، لذلك انصرف عنهما الشاعر . وهناك قبائل اخرى كقبيلة كتامة وزناتة وبني واسول ، ومن هذه القبائل من كان يثور على المعز ، فيرسل اليها الجيوش ، وقد اشار ابن هانيء الى هذه المعارك ، وخاصة تلك المعارك التي جرت ضد الحروريين – وهم من الخوارج – ، فقد حاربهم جعفر بن علي ، وانتصر عليهم ، واستولى على قلعة كتامة التي كانت :

حرورية مـــا كبر الله خاطب عليها ولا حيى بها ملكاً وفد[٢]

كما انه لما مدح ابا الفرج الشيباني لم ينس ان يذكر بلاءه في قتال هذه القبائل البربرية الخارجة على الخلافة الفاطمية .

لم يجهلوا ما تلاقى في التشيع من تحريض شارية او بـأس شاريّ
وما تذلل من اهل العنـاد لهم وما تدارى من الدين الاباضي[٣]

وهناك طبقة اخرى تسهم في بناء هذا المجتمع ، هي طبقة الموالي ولا سبيل الى معرفة الكثير عنها ، غير أن من الواضح ان بعض هؤلاء الموالي ممن كانوا في خدمة الخلفاء ، استطاعوا ان يكسبوا ثقـــة اسيادهم فتوصلوا الى مراكز مرموقة وما قيصر وجوهر قائدا المعز الا من هؤلاء الموالي ، وابن هانيء عندما يمدح جوهر – اذ اننا لا نراه يمدح غيره من الموالي – ، لا يتعرض لنسب جوهر ، بل يتحدث عن شجاعته وكرمه ورزانته وحسن تصريفه للامور ، وعن اجتهاده

---

٢ ديوان ق ، ١٦ ، ٢٧٨ .
٣ ديوان ق ، ٦٠ ، ٨٠٧ .

في محاربة الثائرين على المعز .

وادركت سولا في ابن واسول عنوة
وزحزحت منه يذبلا فتزحزحا [٤]

وهو لا يتحدث عن نسب جوهر ، ذلك لان جوهر مولى ، والموالي لا نسب لهم يفخرون به الا نسب الولاء.

من كل هذا نستخلص ان ابن هانيء كان متعصباً للعرب ، فهو لم يمدح بربرياً ولم يذكر فضل هؤلاء على الخلافة الفاطمية ، إذ كانوا دعائم وجودها الأول ، وكذلك لم يمدح من الموالي الا جوهراً فهل كان ابن هانيء يحتقر الموالي والبربر ويفضل عليهم العرب ؟ قد يكون ذلك وقد يجوز أن يكون الموالي والبربر لا يحسنون فهم العربية ، ولذلك انصرف عنهم الشاعر .

المذاهب الاسلامية

في هذا المجتمع الافريقي ، ذي الصبغة الاسلامية ، كانت ثلاثة مذاهب اسلامية تتصارع ، ولكن كانت الغلبة فيها للشيعة وللفاطميين من الشيعة ، وديوان ابن هانيء يحدثنا عن هذا الصراع العقائدي ، ويدافع عن الشيعة ، ويثبت صحة معتقدهم ، بل لا نغالي إذا قلنا ان الديوان يدور حول الدفاع

---

٤ ديوان ق ، ١٠ ، ١٧٢ .

عن المذهب الشيعي ، وعن العقيدة الاسماعيلية خاصـــة من هذا المذهب ، والدعوة لآل البيت ، والايمان بحق ابناء علي بالخلافة ، ولا تكاد تخلو قصيدة – الا نادراً – من ذكر الشيعة والتغني بفضائل التشيع ، ولا غرابة بذلك ، فالشاعر شيعي فاطمي ، والشاعر لسان قومه وابناء عقيدته . كان الصراع في العصور الاسلامية الاولى صراعاً قبلياً ، لكنه انتقل فيما بعد الى ميدان اوسع ، ومجال أشمله هو الميدان العقائدي والتعصب المذهبي ، وكان على الشعراء من من اي مذهب كانوا ، ان يدافعوا عن مذاهبهم ، ويردوا على حجج الشعراء الآخرين ، فكأنهم كانوا بذلك عوناً للمتكلمين من ابناء مذهبهم ، وابن هانيء كشاعر شيعي ، كان عليه ان يدافع عن الخلفاء الفاطميين، ويرد على خصومهم، مؤيداً حقهم بالخلافة على اعتبار انهم ورثة النبي ، وهم – كابرى – افضل الناس ، واحقهم بالسيادة على المسلمين ، بل وعلى البشرية ، وهو في ذلك يسجل لنا هذا الصراع القوي الذي كان يجري في افريقية بين مختلف المذاهب الاسلامية . واهم هذه المذاهب ، الشيعة التي يدافع عنها الشاعر ، والسنة التي لم تستطع الخلافة الفاطمية ان تقضي عليها ، والمذهب الخارجي الذي كان معتنقوه قلة ولكنهم اشداء بواسل .

والشاعر يعتبر سنياً كل من لا يؤيد الفاطميين بل يؤيد الامويين او العباسيين ويحارب العقيدة الشيعية ، ولا يقول بالتـــأويل ، ويسمي ابن هانيء ، الذين يؤيدون اعـــداء الفاطميين ويحاربون ابناء علي النواصب ، لانهم لا يدينون بالطاعة لأحفاد علي ولا يؤولون القرآن بل يتبعون ظاهره ، ودولة هؤلاء هي دولة النصب .

ولمـــا تولت **دولة النصب** عنهم تولى العمى والجهل واللؤم والغدر[1]

وهو يقصد دولة العباسيين التي تجمع احط المعـــايب من عمى وجهل ولؤم وغدر ، ثم اذا ما عرض للقرآن فانه يلوم هؤلاء « النواصب » لانهم يأخذون بظاهر القرآن ولا يرتضون تأويله .

ماذا تريد من الكتاب نواصب وله ظهور دونهـا وبطون[2]

واما الجماعة الاخرى من الخوارج الاباضية او الحرورية ، كما يسميهم ، فقـد كانوا اشد حقداً على الفـــاطميين يثورون بهم من حين الى آخر ، فترسل اليهم الجيوش، ويرى ابن هانيء هذه الاحداث تتتابع تحت بصره، فيسجلها في شعره، ويحدثنا عن هـــذا الصراع في مدحه لجعفر (قصيدة ١٦ – ٢٧٧) اذ يذكر فيها بلاء جعفر في حربه ضد الخوارج واحتلاله قلعة كتامة ، وهذه القلعة هي :

حرورية مـــا كبر الله خاطب عليهـــا ولا حيى بها ملكاً وفد[3]

وعجز البيت يشير الى النظام الاجتماعي الذي كان يسود مجتمع الخوارج . وعندما يمدح الشاعر ابا الفرج الشيباني ، يذكر قتاله لهؤلاء الخوارج الحروريين ، وانتصاره عليهم ، وردهم الى طاعة الخليفة ، وحملهم على دفع الضرائب، ويعرفنا ان هؤلاء الخوارج هم من الشراة الاباضية .

لم يجهلوا ما تلاقي في التشيع من تحريض شارية او بأس شاري

---

١ ديوان ق ، ٢٢ ، ٣٤١ .
٢ ديوان ق ، ٥٣ ، ٧٤١ .
٣ ديوان ق ، ١٦ ، ٢٧٨ .

وما تدارى من الدين الاباضي [1]

وما تذلل من اهل العناد لهم

بيد اننا لا نجد اشارة ما ، في شعره الى عناصر اخرى كانت تعيش في هذا المجتمع الافريقي من التي تدين بغير الاسلام ، كالمسيحية او اليهودية . وعلى كل فان شعر ابن هانيء يسجل لنا هذا الصراع العقائديّ الذي كان يدور بين مختلف المذاهب الاسلامية المعروفة في افريقية في عصر ابن هانيء .

٣ – الخرافات المألوفة في مجتمع ابن هانيء ، التشاؤم ، الامراض ومعالجتها ، الفصد ، الموت ، الحزن وثيابه : ان الامم لا تستطيع ان تتخلص بسهولة من بعض العقائد المبنية على الوهم والتصور الذي لا يرتكز على واقع ، ذلك لان الرواسب المتجمعة من ازمان بعيدة في ضمير الانسانية لا يمكن اقتلاعها ببساطة ، وفي ديوان ابن هانيء اشارات الى هذه الخرافات التي تعتبر رواسب ماض سحيق اجتمعت في الاحفاد ، وابن هانيء يردد هذه الاصداء على سبيل الامثال ، فهو يذكر العنقاء الذي يتوهمونه طائراً يعرف اسمه ولم ير جسمه ، يعتقدون انه يختطف الاولاد ويطير بهم نحو الغرب ، ولذا يعرف « بعنقاء مغرب » وفي هذا يقول :

كان عليهم منك عنقاء تعتلي فليس لهم من ان تخطفهم بد [2]

ويعتقد ان هذا الطائر يختفي ولا يظهر والى هذا يشير قائلا :

هلّا انا البادي ولكن شيمتي من ذا يرد عن الخفاء المغربا [3]

---

١ ديوان ق ، ٦٠ ، ٨٠٧ .

٢ ديوان – ق ، ١٦ ، ٢٨٤ .

٣ ديوان – ق ، ٤ ، ٨٥ .

وكانوا يؤمنون ايضاً بفعول « العين » ، فيعوذ الجميل ، او يرقى لئلا يصيبه مكروه ، وكانت هذه العقيدة شائعة في المجتمع الافريقي، وكثير من المجتمعات الشرقية ، ولا تزال الى اليوم يؤامن بها في بعض المجتمعات .

يعوذ من مكحولة الخشف ان بدا وينضح نفث الراقيات وينضخ [1]

كما كانوا يرقون من لسعته افعى ، وربما كان الناس يرقون الافاعي ويمسكونها .

وهي تعطوه على خـــوف كما مد رقـــاء الى الارقم يد [2]

ويتضح من شعر ابي هـــانيء ان التشاؤم كان متفشياً في مجتمعهم ، فهم يتشاءمون بالغراب ونعيبه ، ولا يزال هذا التشاؤم مألوفـاً في بعض المجتمعات ويعتقدون ان نعيب الغراب او البوم مجلبة للخراب وفي هذا يقول الشاعر :

فـاذا مـــا نعبت شر نعيب فعـلى غير ربعه المـــألوف [3]

كما يحكي لنا الشاعر ما يقوم به السحرة من نفث في العقد او غير ذلك .

لمن صولجان فوق خدك عابث ومن عاقد في لحظ طرفك نافث [4]

امـا الامراض فلا نكاد نجد في ديوان ابن هانيء ما يدل على انواعها ، وان

---

١ ديوان ق ، ١١ ، ١٩٧ .
٢ ديوان ق ، ١٤ ، ٢٦٠ .
٣ ديوان ق ، ٢٩ ، ٤٢٥ .
٤ ديوان ق ، ٧ ، ١٥٢ .

كان هناك من اصابته العلة فعولج منها ، وقصيدته الواحدة والخمسون تتحدث عن علة اصابت جعفراً وأبل منها ، فهنأه الشاعر بهـــذه المناسبة ، ولكن لا نعرف اية علة أصابت جعفراً هذا وكيف عولج منها . وأصيب بمرض ايضـاً فقال الشاعر بهذه المناسبة :

فمن كبد لما اعتللت تقطعت ومن اذن صمت ومن ناظر كفا [1]

ويصاب يحيى اخو جعفر بمرض فيعالج بالفصد ، وهو العلاج الوحيد الذي يتحدث عنه الشاعر ، فنعرف انه مألوف في بيئته ويذكر المبضع الذي يستعمل للفصد .

مـــا حق كفك ان تمد لمبضع من بعد زعزعة القنـــا الاملود

* * *

اجرى مبـــاضعه على عاداتها فجرت على نهج من التسديد [2]

وهو كشاعر رثى بعض من ماتوا ، ويهمنا ان نعرف ماذا كانوا يلبسون حداداً على من يفقدون ، اذ الواضح من كلام ابن حيان ، كما يقـــول هانري بيريس ، انهم كانوا يلبسون ثياباً بيضاً في حدادهم [3] ، كما جاء في القرآن الكريم « وابيضت عيناه من الحزن » [4] ، ولا تزال عادة ارتداء الثياب البيض في الحزن

---

١ ديوان ق ٣١ ، ٤٥٣ .

٢ ديوان ق ، ١٧ ، ٢٨٧ .

٣ Henri Pérés : La poésie Andalouse en arabe classique Au s p. 298.

٤ قرآن كريم ، ١٢ ، ٨٤ .

مألوفة في شرقنا العربي في البيئات الاسلامية . اما ابن هانيء فيذكر ان السواد كان لباس الحزن الرسمي في بيئته وزمنه ، وربما كانوا يزيدون سوادها بالصباغ.

ترى الفجر منها تحت ليل مسبج كان حداداً منه بالنقس يلطخ [1]

وفي مناسبة اخرى يذكر ان السواد يلازم الحداد .

وخضبت مسود الحداد عليكم لو انني اجد البياض خضابا [2]

ونحن لا نزال نذكر ان شعار العباسيين الرسمي كان السواد ، وعلى كل فلا نجد في شعر ابي هانيء وصفاً لمواكب الموت ، ولا تفصيلا لما يجري في مثل هذه المناسبات .

٤ – الاعياد والحفلات ، الاندية والمجالس ، مجالس الشرب ، الزهور في المجالس : ان ابن هاني كشاعر اختص بالمعز كان يشاهد احتفالاته بالاعياد فقط دون ان يذكر احتفالات اخرى ، فهو يتحدث عن عيد الفطر ، وخروج المعز للاحتفال وقد اجتمع الناس حوله، ورفعت فوق رأسه المظلة التي كان يستعملها الخلفاء الفاطميون ، كما رفعت الاعلام ، وشرعت الرماح ؛ يرى الشاعر كل هذا فيسجله ولكن ليس بالدقة التي كنا نأملها ونرجو من ورائها معرفة ما يحدث بالتفصيل ، وفي هذا يقول :

لبس العيد منه ما يلبس الايمان من نصل سيفه البراق

---

١ ديوان ق ، ١١ ، ١٩١ .

٢ ديوان ق ، ٦ ، ١٠٧ .

وجـــلا الفطر منه عن نبوى ابيض الوجه ابيض الاخـــلاق
ساحبا من ذيـول مجر لهـام تؤذن الارض تحته باصطفاق
ليس في العارض الكنهور شبه منه غير الارعـــاد والابراق

* * *

فوقـه خيطة اللجين تهـــادى بيدي كل بهمـــة مصداق [1]

ويخرج المعز للاحتفال بعيد الاضحى، او عيد النحر، فيهنئه الشاعر ويصف ركوبه لهذه المناسبة وقد رفعت فوق رأسه المظلة التي يشبهها الشاعر بالغمامة .

في موسم النحر السنيـع يروقني فاغض طرفاً عن سنـاه كليلا
والجو يعثر بالأسنـــة والظبى والارض واجفة تميـــل مميلا

* * *

وعـلى امـير المؤمنـين غمامـة نشأت تظلل تاجـه تظليـلا [2]

ثم لا نراه بعد ذلك يتحدث عن اعياد اخرى او احتفالات رسمية ، وكأني به لم يحضر الا فطراً واحداً ، ونحراً واحداً ، مـع المعز ، وكأن ليس هنـاك أعياد اخرى مألوفة في هذا المجتمع ، كعيد رأس السنة الهجرية او عيد النيروز او عيد عاشوراء .

وثمة شيء آخر نلاحظه في هذا المجتمع ، هو ان الناس كانوا يجتمعون في مجالس يسمونها الندى او النادي يتحدثون ويسمرون ويلهون .

---

١ ديوان ق ، ٣٥ ، ٤٨٤ .
٢ ديوان ق ، ٤١ ، ٥٦٥ .

انا اجتمعنـا في الندىّ عصابة نثني عليـك بـألسن النعماء [1]

وكانوا يعقدون مجالس للشرب ، ريفضلون ان يكون في مثل هذه المجالس الازهار والرياحين مما يدل على مدى تذوقهم للجمال الطبيعي ، والشاعر اذ يصف مجلس جعفر للمنادمة ، يحدثنا عن انواع الزهور التي كانت في هـذا المجلس من ورد ونرجس وياسمين .

وثلاثـة لم تجتمع في مجلس الا لمثلك والاديب اريب
الورد في رامشنة من نرجس والياسمين وكلهن غريب [2]

اما مجالس الشراب ، والاباريق ، والاقـداح ، والسقـاة ، فليست كثيرة الورود في شعره ، وهناك قصيدة واحدة افردها للحديث عن الشرب والخمرة سبق ان تحدثنا عنها في شعر شبابه في الاندلس . ويصف الاباريق في المجلس فاذا هي كالظباء ، تطل باعناقها اذ تسمع وقع حوافر الخيل .

والاباريق كالظباء العواطي اوجست نبأة الجياد العتاق [3]

وكانوا يستمعون في هذه المجالس الى المغنين والقينات ، ولذا يقول عن هذه الاباريق الطويلة الاعناق كانها مطرقة تستمع الى الغناء .

مصغيات الى الغنـاء مطلا ت عليه كثيرة الاطراق [4]

---

١ ديوان ق ، ٢ ، ٤١ .
٢ ديوان نشر كرم البستاني ، ص ١١٩ .
٣ ديوان ق ، ٣٥ ، ٤٨٠ .
٤ ديوان ق ، ٣٥ ، ٤٨٠ .

ثم انه اذا ما دعا صديقه للشراب فانه يحرص على ان يطلب من هذا الصديق ان يصطحب معه نديماً ومغنياً ومجلساً وشراباً .

فاذا مـــا جئتنا فجيء بنديم وسماع ومجلس وشراب [1]

وربما كانوا يستعملون في شربهم اقداحاً من ذهب يحتسون بهـــا الخمرة ، كما يستدل من قوله .

كان حبابهـا خرزات در علت ذهباً باقداح النضار
بكف مقرطق يزهو بردف يضيق بحمله وسع الازار [2]

وكانوا يستعملون العود من الآلات الموسيقية للغناء ، وفي هذا يقول .

وبربط ناطق باربعـــة في خـــلوات اوتاره تصعد
اهزاجـــه تستلذ لا سيما عـــن نغمات النواعم الخرد
في حجرها مثل قحدها فاذا غردت الطير حولها غرد [3]

كما كانوا يستعملون المزمار في الغناء .

يلهيهم زمر المثـاني كلما الهـــاكم المثني والمزمار [4]

هذا كل ما استطعنا ان نتوصل لمعرفته عن الحياة اللاهية من شعره .

٥ – المرأة . الحلى وادوات الزينة ، العطور ، التطيب والمجامر ،

---

١ ديوان ص ، ٤٢٤ ، نشر كرم البستاني .
٢ ديوان ض ، ٣٣٤ ، نشر كرم البستاني .
٣ ديوان ق ، ٦١ ، ٨١٢ .
٤ ديوان ق ، ٢٤ ، ٣٧٧ .

الرجال وملابسهم . كانت المرأة وما زالت احدى غايات الرجل ، تجتذبه من حيث لا يستطيع ان يقاوم ، وكأنه لا يمكنه ان يتناسى هذا النصف الجميل ، وشاعرنا ايضاً لم يهمل المرأة، بل تحدث عنها ، وذكر ادوات زينتها ، وما كانت تتجمل به من لباس وحلي ، فقد ذكر انها كانت تتحلى بالاساور التي ، ربما ، كانت تصنع من زجاج لانه يتحدث عن امكانية كسرها ولو كانت من ذهب لما امكنه ذلك .

لكسرت دملجها يضيق عناقها ورشفت من فيها البرود رضابا [1]

كا كن يتزين بالعقود والخلاخيل والدمالج .

انافس في عقد يقبل نحرها واحسد خلخالا عليها ودملجا [2]

ويعلقن في آذانهن اقراطاً وشنوفاً .

اليلتنا اذ ارسلت واردا وحفا وبتنا ترى الجوزاء في اذنها شنفا [3]

وكن يضعن في ايديهن الخواتم تجملا .

وولت نجـــوم للثريا كانها خواتم تبدو في بنان يد تخفى [4]

كا كانوا يزينون الخيول بالخلاخيل .

---

١ ديوان ق ، ٦ ، ١٠٦ .
٢ ديوان ق ، ٨ ، ١٣٥ .
٣ ديوان ق ، ٣١ ، ٤٣٨ .
٤ ديوان ق ، ٣١ ، ٤٤١ .

كأن خلاخيل المطايا اذا غدت تجاوب اصداء الفلا تترجع [1]

او قوله .

اذا شهد الهيجاء مدت له يدا كان عليها دملجا منه او وقفا [2]

وكانوا ، نساء ورجالا ، يستعملون الامشاط في ترتيب الشعور .

خابت امية منه بالذي طلبت كما يخيب برأس الاقرع المشط [3]

وتصفف الشعور باشكال مختلفة جميلة كهيئة العقرب يترك متدليا فوق صفحة الخد .

وكان صفحة خده وعذاره تفاحة رميت لتقتل عقربا [4]

او كالصولجان .

لمن صولجان فوق خدك عابث ومن عاقد في لحظ طرفك نافث [5]

وزيادة في التجمل كان النساء يستعملن الكحل ، وما زلن يستعملنه في عصرنا هذا .

كان الشقيق الغض يكحل اعينا ويسفك في لباته الدم سافك [6]

---

١ ديوان ق ، ٢٧ ، ٤٠٢ .
٢ « « ، ٣١ ، ٤٤٧ .
٣ « « ، ٢٦ ، ٣٩٤ .
٤ « « ، ٤ ، البيت ٤٦ .
٥ « « ، ٧ ، ١٢٢ .
٦ « « ، ٣٧ ، ٦٠٩ .

او قوله :

حسبوا التكحل في جفونك حلية تالله مـــا باكفهم كحلوك [1]

ويظهر ان الوشم كان مألوفاً في عصر ابن هانيء ، كما لا يزال مألوفاً في ايامنا هذه وخاصة في البادية ، والوشم معروف ايضاً في البلاد الغربية .

أسف عليه المسك والنقع مثلما أسف نؤور فوق جلد موشم [2]

وواضح من هذا انهم كانوا يضعون فوق الوشم النيلج حتى يخضر ، وكان النساء يكثرن من الحلي ، حتى ان الشاعر يتوهم ان من يتغزل بهـــا ترتاع لجرس تسمعه ، فتتلفت ، ولكنها لا تلمح الا حليها .

وما ذعرت الا لجرس حليها وما لمحت الا برى في مخدم [3]

وكانوا يستعملون الطيب وخاصة النساء اللواتي كن يستعملن ماء الورد .

شرقت بماء الورد بلل جيبها فسرت ترقرق دره المنضوحا [4]

وكانوا يتطيبون بالكافور والند ،

سيعبق في ثوب الخليفة طيبها وما نم كافور عليه ولا ند [5]

---

١ ديوان ق ، ٣٩ ، ٥٣٢ .
٢ « « ، ٤٧ ، ٦٧٨ .
٣ « « ، ٤٧ ، ٦٥٧ .
٤ « « ، ٩ ، ١٤٤ .
٥ « « ، ١٦ ، ٢٧٨ .

وربما تبخر النساء بالمندل او الكباء ، يحرقن العود ويتطيبن بالرائحة .

طرقت تحيد عن الصباح تخفرا فوشى الكباء بها ونم المندل [١]

وكانوا يستعملون لحرق هذه الاعواد مجامر ،

كأن المجامر اذكينه او اغتبق الخمر حتى انتشى [٢]

ويظهر ان الرجال كانوا يستعملون الخضاب يسترون به الشيب ، ويتقربون بذلك الى النساء .

لخضبت شيبا في عذارى كاذبا ومحوت محو النقس عنه شبابا [٣]

ويبدو ان النساء كن يسترن شيئا من وجههن باللثام وخاصة الفم ،

ولوى مقبلك اللثام وما دروا ان قد لثمت به وقبل فوك [٤]

او قوله .

ووراء ما يحوي اللثام مقبل رتل بمسواك الاراك مقبل [٥]

وكانوا يستاكون بالسواك او بالمسواك ، ينظفون به اسنانهم ويستعملونه من شجر الاراك .

---

١ ديوان ق ، ٤٤ ، ٦١٤ .
٢ « « ، ٥٨ ، ٧٧٤ .
٣ « « ، ٦ ، ١٠٧ .
٤ « « ، ٣٩ ، ٥٣٢ .
٥ « « ، ٤٤ ، ٦١٣ .

ووراء ما يحوي اللثام مقبل رتل بمسواك الاراك مقبـــل

وملابس الرجال كانت مختلفة ، منهـــا ما كان موشى متعدد الالوان كريش الطائر .

تكنك لي موشيـــة عبقرية كريشك الا انهن جلابيب [1]

ويرتدون للقباطيّ وهو نوع من الثياب موشى ايضاً .

محجلة غـرا وزهرا نواصعـا كان قبـــاطيا عليها منشرا [2]

او قوله :

ما حال جسم تحملت السلاح به وانت تضعف عن حمل القباطي [3]

كما كانوا يعرفون نوعاً خاصاً من الثياب يسمى القرطق يصنع بشكل معين ،

تهادى بعطف ناعم جاذب النقا منطقه حتى تشكى مقرطقه [4]

او قوله :

صنم تردى الحسن منه مقرطق ومشى على البردىّ منه مخلخلا [5]

ويلبسون ايضاً قمصاناً ليس لها كان يسمونها الخيعل .

---

١ ديوان ق ، ٣ ، ٥١ .
٢ « « ، ٢٣ ، ٢٠٤ .
٣ « « ، ٦٠ ، ٧٩٧ .
٤ « « ، ٣٢ ، ٤٥٧ .
٥ « « ، ٤٤ ، ٦١٣ .

وعجاجة شقت سيوف الهند من اكامها فكانما هي خيعل [1]

وكانوا يلبسون نوعاً من القباء المحشو تحت الدروع يسمونه اليلمق .

لبسوا الحديد على الحديد مظاهرا حتى اليلامق والدروع سواء [2]

٦ – **الخليفة ولباسه – زيه الخاص وميزاته** – للخليفة الفاطمي ميزاته الخاصة ، فثيابه غير ثياب الآخرين لانها محلاة بالذهب ، ومزخرفة بالالوان المشرقة ، حلل لا يلبسها غيره .

له حلل الاكرام خص بفضلها نسائج بالتبر الملمع تلمع [3]

ويتكرم بها على من يريد ، زيادة في اكرامه ، ونحن لا نرى في ديوان ابن هانيء اشارات الى ان آخرين كانوا يلبسون ثياباً محلاة بالذهب ، مع انهم كانوا يوشون ثيابهم بالوان مختلفة ، ولكنهم لم يستعملوا الذهب ، فكأن هذا كان من ميزات الخليفة الذي كان ينظر اليه انه فوق المستوى العادي من الناس ، كما انه كان يمتاز ايضاً بالمظلة التي كانت ترفع فوق رأسه عندما يريد الخروج ولهذه المظلة مهابة وجلالة في نفوس تابعيه ، لانها تعلو رأس الخليفة ، وتصنع هذه المظلة بشكل خاص ، وتحلى بالذهب ، ويكلف اناس برفعها فوق رأس الخليفة يشرف عليهم مدير ولهذا يقول الشاعر :

---

١ ديوان ق ، ٤٤ ، ٦٢٣ .

٢ « « ، ١ ، ٢٨ .

٣ « « ، ٢٧ ، ٤٠٣ .

فوقه خيطة اللجين تهادي بيدي كل بهمة مصداق [1]

ويشبهها بالغمامة التي تظلل تاج الخليفة وقد ضوعف نسجها بالدر والعسجد ،

وعلى امير المؤمنين غمامة نشأت تظلل تاجه تظليلا
نهضت بثقل الدر ضوعف نسجها فجرت عليه عسجدا محلولا [2]

ويحيي الناس الخليفة وقد رفعت فوقه المظلة فاذا هو افضل من يلقى عليه السلام .

ولانت افضل من تشير تجاهه تحت المظلة بالسلام يمين [3]

ويستقبل الناس الامام بالسجود اذا ما بدا لهم ، تهيباً لمرآه واحتراماً له ، اذ انه شمس الهدى ، فيعجب الشاعر لهذا المشهد .

ومشهد الملك طلقا والسجود الى شمس الهدى واتصال الشمس بالحمل [4]

هذا ما كان يمتاز به الخليفة عن الناس كما يبدو من شعر ابن هانيء فيه .

٧ – الحياة الاقتصادية : لا يمكننا ان نعلم شيئاً من شعر ابن هانيء عن الصناعات والحرف التي كانت معروفة في المجتمع الافريقي في زمنه ، بيد ان الاموال التي كانت ترد خزانة الدولة في اكثرها ، كما يستدل من شعره ، كانت

---

١ ديوان ق ، ٣٥ ، ٤٨٥ .
٢ « « ، ٤١ ، ٥٦٦ .
٣ « « ، ٥٣ ، ٧٤٢ .
٤ « « ، ٤٤ ، ٦١٢ .

من الغنـائم الحربية ، وهذه كانت غير ثابتة ، فقد تقل او تكثر تبعاً للحروب والانتصارات ، وهناك الجزية التي كان يدفعها غير المسلمين وخاصة الروم ، وفي هـذا يقول ابن هانيء متحدثاً عنهم .

اذ لا يزال لهم اليك تغلغل وسرى ووخد دائم وذميل
وانابة منقادة واتاوة ورسالة معتـادة ورسول [1]

وهناك الخراج يشترك فيه المسلمون وغير المسلمين ، واما المسلمون فقد كانوا يدفعون ضرائب متنوعة كالزكاة والصدقات وغير ذلك وكانت تجبى هذه الضرائب بشكل منظم ، لا يتأخر عن تأديتها الا القبائل الثائرة ، وفي هـذا يقول الشاعر متحدثاً عن كيفية جبـاية هذه الضرائب من القبـائل التي ثارت فاخضعها ابو الفرج الشيباني ، وجبى منها ما كان متوجباً عليها .

وفرت امواله اذ ضعن فاجتبيت منها القناطير من بعد الاواقيّ .
وصنت منه الى ما لم تصنه يد سواك من كل راع ثم مرعيّ
من بعد ما دك سور غير ممتنع منه وضاع خراج غير مجبيّ [2]

ومن هذا نستدل على ان القبائل التي كانت تمتنع عن تأدية هذه الضرائب ، كانت توجه لها الحملات حتى تخضع وتدفع ما عليها ، وكانت تدفع هـذه الاموال الى قيمين عليها ، فتحفظ تحت الخواتم حتى لا تضيع .

اليك امير المؤمنين حملتهـا ودائع كالاموال تحت الخواتم [3]

---

١ ديوان ق ، ٤٠ ، ٥٥٥ .
٢ « « ، ٦٠ ، ٨٠٨ .
٣ « « ، ٤٦ ، ٦٥٧ .

اما مصادر ثروة البلاد الاخري من تجارة وزراعة ، وصادرات وواردات ، فالشعر لا يمكن ان يكون ديواناً لها ولو تتطلبنا ذلك من ابن هاني ، لكنا نفترض في ابن هاني مؤرخاً لا شاعراً ولذلك فنحن لا نرى الشعر في الا لماً لا تفصيلاً كما نرغب في التاريخ .

٨ – الحركة العمرانية ، القصور وفرشها ، القباب وزينتها

يتحدث ابن هاني في ديوانه عن اهتمام ابناء علي ابن حمدون بتشييد القصور ، وتزيينها وفرشها ، ولا نراه يتحدث عن ميل كهذا عند غيرهم ، وكأنه لم يشهد المعز يبني قصرا ، او يشيد بناء ، او غير المعز ممن اتصل بهم .

فعندما بنى ابراهيم بن جعفر قصراً مدحه الشاعر ، ووصف القصر ، وقابل بينه وبين ايوان كسرى ، فاذا هذا القصر اعظم من ذلك الايوان ، ويتعجب الشاعر لهذه القباب البيضاء التي تعلو القصر ، والاروقة الممتدة ، والبرود الموشاة التي تغطي ارضه ، حتى يكاد الرائي يعتقد ان هذا القصر بناه الجن او السحرة لما فيه من نقوش ذهبية وفضية ، وان دل هذا على شيء ، فانما يدل على ذوق اصحاب القصر ، وثرائهم ، واهتمامهم بتشييد القصور ، وفي هذا يقول الشاعر :

تغدو القصور البيض في جنباته صوراً اليه يكل عنه عيانها
والقبة البيضاء طائرة به تهوى بمنخرق الصبا اعنانها
ضربت باروقة ترفرف فوقها فهوى بفتح قوادم خفقانها
....
بطنانها وشي البرود وعصبها فكأنما قوهيها ظهرانها
نيطت اكليل بها منظومة فغدا يضاحك درها مرجانها

وتعرضت طرر الستور كأنها عذبات اوشحة يروق جمانها
وكأن افواف الرياض نثرن في صفحاتها فتفوفت ألوانها
فأدر جفونك واكتحل بمناظر غشى فرند لجينها عقيانها
لترى فنون السحر ماثلة وما يدري الجهول لعلها اعيانها [1]

ولما بنى جعفر قصراً ، مدحه الشاعر ، ووصف القصر ، وتحدث عن ضخامته واتساعه فاذا الناس يكادون يضلون فيه

الكنى الى القصر المشيد تحية فقد حدث الركبان عنه فاكثروا

....

ولم يبق الا ان يضل به الورى وتشركه من بعد هاروت يسحر [2]

....

وهو وان لم يتحدث عن قصور المعز فقد تحدث عن القباب التي كانت تضرب له ، وترصيعها بالذهب والرسوم المختلفة :

رفعت له فيها قباب لم تكن ظعناً باجراع الحمى وحولا
ايكية الذهب المرصع رفرفت فيها حمام ما دعون هديلا [3]

والبيت الاخير يدلنا على ان الناس كانوا يستبيحون نقش صور الحيوان على القباب وخاصة الطيور ، كما ينقشون صور الاشجار ، فقبة الخليفة المرصعة بالذهب والمحلاة بمختلف الرسوم والنقوش ، عليها صور الاشجار فوقها الحمائم وكأنها تتداعى .

---

١ ديوان : ق ٥٧ - ٧٦١ .
٢ ديوان : ق ٦٢ - ٨١٢ .
٣ ديوان : ق ٤١ - ٥٦٧ .

ولفرش الارض كانوا يستعملون بسطاً ذات خمل كوبر الجمال يسمونها الدرانك ، ومفردها درنوك ، فيها مختلف النقوش بمختلف الالوان ، مما يؤكد لنا ميلهم الى الزخرفة وتلوين الاشياء حتى تخلب اللب وتسر النظر

وقد بسطت فيها الرياض درانكا من الوشي إلا انها ليس ترفع [1]

٩ – الحياة الحربية ، الجيش وسلاحه . الخيل ولباسها . الحرب في البحر . الاسطول

كانت الحقبة التي عاشها ابن هاني في افريقيا تمتاز بكثرة الحروب التي كانت تدور بين الفاطميين واعدائهم من امويين وعباسيين او روم ، او بين الفاطميين والقبائل الثائرة عليهم ، اذ ان الفاطميين بالنظر لوجودهم في نقطة وسطى بين الامويين من الغرب والعباسيين من الشرق ، والروم من الشمال كان عليهم ان يبقوا دائماً على استعداد تام لهجوم او لرد هجوم ، كما كان عليهم ان يقابلوا الثورات الداخلية بحزم وكان ابن هاني بوصفه شاعرهم يرى كل هذه الاستعدادات ، فتتردد اصداؤها في نفسه ، فيتحدث عنها ، ولكن يظهر من حديثه انه لم يحضر حرباً ولم يشهد قتالاً ، غير انه شاهد كيف تجهز هذه الجيوش وتعد للقتال فحدثنا عن كل ذلك ، ووصف لنا لباس المقاتلين فاذ هم

شم العوالي والانوف تبسموا تحت القنوس فاظلموا واضاؤوا [2]

انهم يعتمرون البيض او يلبسون تحت القلانس مغافر وهي عبارة عن حلق تستر العنق

---

١ ديوان : ق ٢٧ - ٤٠٩ .

٢ ديوان ق ١ - ٢٨ .

من كل اهرت كالح ذي لبدة او كل ابيض واضح ذي مغفر[1]

ومع القنوس والمغافر كانوا يرتدون الدروع ويتقنعون بالفولاذ

لبسوا الحديد على الحديد مظاهرا حتى اليـــلامق والدروع سواء

وتقنعوا الفولاذ حتى المقلة النجلاء فيهـــا المقلة الخوصاء الخوصاء[2]

بل كانت عدة المحارب كما يقول الشاعر :

فأداته فضفاضة وتريكة ومثقف ومهند بتـــار[3]

وكانوا ينسبون الدروع الى النبي داود

مضاعف نسج العرض يمشي كأنما يلوث بـه سربال داود لائث[4]

وكانوا يصقلون السيوف بآلة تسمى المدوس

وهب المداوس صنعته فحسبه سنخ يؤيده وحد مقصل[5]

ولهذا الجيش رايات واعلام كثيرة بعضها كبير لو انها رفعت فوق الجيش لبدت كجبل عليه اشجار من نخيل بدت اكامها

اذا اخذت اعلامه صدر مقنب رأيت شروري تحت نخل مكمم[6]

وللقائد ا والامير اعلام كثيرة وقباب وحجاب

---

١ ديوان ق ٢٠ - ٣٢٦ .
٢ ديوان ق ١ — ٢٨
٣ ديوان ق ٢٤ — ٣٧١
٤ ديوان ق ٧ — ١٢٧
٥ ديوان ق ٤٤ — ٦٢٠
٦ ديوان ق ٤٧ — ٦٧٨

واعلامه منثورة وقبابه وحجابه تدعى لامر فتسرع [1]

والجيش يحتاج في القتال الى الخيل اذ انها اكبر عدة للمقاتلين في البر لذا لم يهمل ابن هاني الحديث عن الخيل بل راح يتحدث عنها ذاكراً نسبها فاذا هي افضل الخيل نسباً ، واجودها اصلا

من آل اعوج والصريح وداحس فيهن منهـا ميسم ونجار

ويحدثنا عن العناية التي تلقاها هذه الخيول من اصحابها ، فهم يكرمونها ويزينونها ويلبسونها الديباج الملون فترفل فيه كالحسان ،

مرفلة يسحـبن اذيال يمنة ويركضن ديباجا ووشيا محبرا [2]

ويقلدونها الياقوت الاحمر ، والزمرد الاخضر ، والدر ، وهـذا دليل على ترف الفاطميين وشدة ولعهم بالخيل ،

وقلدها اليـاقوت كالجمر احمرا يضيء سنـاه والزمرد اخضرا
وقرطهـا الدر الذي خلقت له وفاقاً وكانت منه اسنى واخطرا [4]

كان هذا بالنسبة للجيش البري ، واما جنود البحر فلهم الاسطول ، والظاهر انه كان للمعز اسطول عظيم يضاهي احسن الاساطيل في ذلك الزمن ، وان معارك عديدة كانت تجري بين اسطول المعز واسطول الروم ، لذا كان الشاعر يتحدث عن المعز الذي يملك هذه الجواري المنشآت تمخر عباب اليم وتعينها الرياح ،

---

١ ديوان ق ٢٧ – ٤٠٤
٢ ديوان ق ٢٤ – ٣٧٠
٣ ديوان ق ٢٣ – ٣٥٢
٤ ديوان ق ٢٣ – ٣٥٧

ولك الجواري المنشآت مواخرا تجري بامرك والرياح رخـــاد
والحـاملات وكلها محمولة والناتجات وكلها عذراء [1]

وكانت هذه السفن تطلى بالقار فتبدو سوداء ، وتوقد فيها النيران فتحمل الظفر الى اصحابها ،

وسفن اذا ما خاضت اليم زاخرا جلت عن بياض النصر وهي غرابيب
تشب لها حمراء قان اوارها سبوح لها ذيل على الماء مسحوب [2]

او قوله :

لو كنت سائلهم في اليم ما عرفوا سفع السفائن من غبر الملاحيد [3]

حتى اذا ما رأى ملك الروم اعلامها منشورة وبنودها مرفوعة ارتاع قلبه واضطرب فؤاده .

وما راع ملك الروم الا اطلاعها تنشر اعلام لهـــا وبنود

...

مواخر في طامي العباب كأنها لعزمك بأس او لكفك جود

ثم انها كالجبال الراسيات تنتقل في البحر

من الراسيات الشم لولا انتقالها فمنها قنان شمخ وربود
من الطـير الا انهن جوارح فليس لهـا الا النفوس مصيد

ويظهر ان هذه السفن كانت تجهز بمدافع من حديد تبصق النيران ،

---

١ ديوان ق ١ – ٢٦
٢ ديوان ق ٣ – ٥٩
٣ ديوان ق ١٢ – ٢٢١

من القادحات النار تضرم للطلى فليس لها يوم اللقاء خمود
اذا زفرت غيظاً ترامت بمارج كما شب من نار الجحيم وقود
فانفاسهن الحاميات صواعق وافواههن الزافرات حديد

وكانوا يعنون بهذه السفن فيجعلون لها ستائر مفوفة بالذهب ،

لها من شفوف العبقري ملابس مفوفة فيها النضار جسيد
ويصفحونها بالحديد وقاية لها من الموج فتبدو كأنها تلبس برودا ،
لبوس تكف الموج وهو غطامط وتدرأ بأس اليم وهو شديد
فمنها دروع فوقها وجواشن ومنها خفاتين لها وبرود [1]

فاذا اعملت فيها المجاذيف سارت على الماء فبدت كالعقرب

اذا اعملوا فيها المجاذيف سرعة ترى عقرباً منها على الماء ماشيا [2]

فكان هذا الاسطول اذا ما غمر البحر بقطعه ، واستقبل العدو بمدافعه ،

زخرت غواشي الموت نارا تلتظي فأرت عدوك زندك المقدوحا
فكأنما فغرت اليه جهنم منهن او كلحت اليه كلوحا [3]

وفي اشتداد المعركة تبدو كأنها شعلة .

كما التهبت في ناظر البرق شعلة تلقى سناها من فم الريح منفخ [4]

---

١ ديوان - ق ١٣ - ٢٣٣
٢ ديوان - ق ص ٨١٨
٣ ديوان - ق ٩ - ١٥٦
٤ ديوان - ق ١١ - ١٩٠

وهكذا نرى ان ابن هاني لم يغفل الحديث عن الحرب والجيش والاسطول فكان وصفه وصف من شاهد ، لا من خاض غمار المعركة وساهم بالنصر .

١٠ – الليل والنجوم والاستضاءة بالشموع

لقد تحدث ابن هاني عن الليل في مناسبات مختلفة وكان يشبهه بالزنخي

وما ان خبا حتى حسبت من الدجى على الافق زنجياً تكشف يلمقه [١]

ويصف تصرم الليل واقبال الصباح، فيتحدث عن النجوم وكأنه عالم فلكي او كأني به يريد ان يتيه على الناس بمعارفه الواسعة في علم الفلك فيقول :

وقد ولت الظلماء تقفو نجومها وقد قام جيش الفجر لليل واصطفا
وولت نجوم للثريا كأنها خواتيم تبدو في بنان يد تخفى
ومر على آثارها دبرانها كصاحب ردء كمنت خيله خلفا
وأقبلت الشعرى العبور مكبة بمرزمها اليعبوب تجنبه طرفا
تخاف زئير الليث يقدم نثرة وبربر في الظلماء ينسفها نسفا
كأن السماكين اللذين تظاهرا على لبدتيه ضامنان له حتفا
فذا رامح يهوى اليه سنانه وذا اعزل قد عض انمله لهفا
كأن رقيب النجم اجدل مرقب يقلب تحت الليل في ريشه طرفا
كأن بني نعش ونعشاً مطافل بوجرة قد اضللن في مهمه خشفا

---

١ ديوان ـ ق ٣٢ ـ ٤٥

كأن سهيلاً في مطالع افقه مفارق الفق لم يجد بعده الفا
كأن سهاها عاشق بين عود فآونة يبدو وآونة يخفى
كأن معلى قطبها فارس له لواآن مركوزان قد كره الزحفا
كأن قدامى النسر والنسر واقع قصصن فلم تسم الخوافي به ضعفا
كأن اخاه حين دوم طائرا
اتى دون نصف البدر فاختطف النصفا [1]

فهذا الوصف المسهب للنجوم مع تسميتها باسمائهـا يدل على ان الشاعر كان على شيء من الالمام بمعارف عصره الفلكية ، ويظهر ايضاً انهم كانوا يستعملون الشموع للاستضاءة ليلاً ، يقطون ذبالتها متى احتاجوا الى ذلك ، او يطفئونها عندما لايحتاجون الى نورها

وبات لنا ساق يقوم على الدجى بشمعه نجم لا تقط ولا تطفى [2]

١١ – الحج ومناسكه

من خلال شعر ابن هاني يمكن ان نعرف بعض مناسك الحج كرمي الجمار والنحر والاحرام ولكن دون ان يفصل ، ومعنى هذا اننا لا نعرف كيف تتم هذه المناسك فيقول في قصيدة متغزلاً :

ذا موقف الصب من رمي الجمار ومن مشاخب البدن قفراً غير معهـــود
وموقف الفتيات الناسكات ضحى يعثرن في حـــبرات الفتية الصيد

---

١ ديوان ـ ق ٣١ ـ ٤٤٠
٢ ديوان ق ٣١ – ٤٣٨

يحرمن في الربط من مثنى وواحـــدة وليس يحرمن الا في المراعيد [1]

١٢ – الاطعمة والتوابل

اما عن الاطعمة والتوابل فلا يتحدث ابن هاني الا في قصيدة واحدة يصف فيها اكولا نهماً يلتهم الطعام بشراهة ، والاطعمة التي يذكرها مصنوعة كلها من اللحوم .

كأنما الحمل المشوى في يده ذو النون في اليم لما عضه النون
لف الجداء بايديها وارجلها كأنما افترستهن السراحين
وغادر البط من مثنى وواحدة كأنما اختطفتهن الشواهين
يخفض الوز من قرن الى قدم وللبلاعيم تطريب وتلحين

ويتحدث بعد ذلك عن التوابل التي كانت معروفة في بيئته

كأنما في الحشا من خمل معدته قرنفل وجواريش وكمون
فمثل رقادة في كفه وسط ونحن مقدونس فيها وطرخون [2]

١٣ – الحيوانات والطيور

يذكر ابن هاني في شعره الخيل وبعض الحيوانات والطيور ، ويذكر الحملان والجداء من الحيوانات المجترة والبرازين من الحيوانات الاليفة

قوموا بنا فلقد ريعت خواطرنا وجاذبتنا الاعنات البرازين [3]

---

١ ديوان ق ١٢ – ٢٠٦
٢ ديوان ق ٥٦ – ٧٥٨
٣ ديوان ق ٥٦ – ٧٥٩

ومن الحيوانات المفترسة الأسود والسراحين ، ومن الطيور يذكر الاوز والبط من الدواجن ، ومن الطيور الجارحة يذكر الشاهين والصقر والباز ، ومن الطيور البرية القطا ، وذلك في مناسبات مختلفة

او عن جلاد وفرسان ومعركة وصولجان وشاهين وبازيّ
فلو تراه غدا بالصقر اشبه من جوانحي بقطا في الجو كدري [٤]

١٤ – دلائل اخرى

والمرأة لا تحتل مركزاً لائقاً في نظر ابن هاني ورأيه هذا يمثل رأياً شائعاً متناقلاً من زمن قديم ، لم يستطع الدين ان يمحوه من عقلية العربي ، اذ من السائد في البيئة العربية ان المرأة دون الرجل وانها عالة عليه ومع ذلك قليلة وفاء لا تعرف الاخلاص ، ولعمري ان ابن هاني في ذلك ليظلمها ، فهي عنده متلونة لا تبقي على عهد ، تتلون كما « تلون في اثوابها الغول » على حد قول كعب بن زهير في قصيدته « بانت سعاد » في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويراها ابن هاني كالليالي لا عهد لها . تتقلب وتتغير متى رأت ذلك لصالحها .

ولا كالليالي ما لهن مواثق ولا كالغواني ما لهن عهود [٥]

وابشع من ذلك ان يصورها خائنة لبعلها ، مستسلمة لخليلها ، ترضى باللوم وتتحمل العقاب وربما القتل على الرغم من ان زوجها يغار عليها ويتربص بعشيقها الدوائر .

---

١ ديوان ق ٦٠ - ٧٩٩
٢ ديوان ق ١٣ – ٢٢٦

وقد احكم الغيران في سوء ظنه فما شك في قتلي وان كان قد حلم[1]

وعلى كل فهذه اقوال شاعر ، وقد لا تكون الا من باب الخيال الشعري وان وافقت فكرة عامة .

وكانوا يسمون القابلة داية وربما عهد اليها بتربية الوليد

عهدي به والشمس داية خدره توفي عليه كل يوم مرقبا[2]

ويشير ابن هاني ايضاً الى نوع من الحجارة النارية يسمونه حجر الزناد

لو لم تكن حزماً اناتك لم يكن للنار في حجر الزناد كمون[3]

كما يشير ايضاً الى السد الذي يعتقد ان الاسكندر ذا القرنين بناه فيقول :

لم يبق الا السد تخرق ردمه فلقد اطاعك في الورى العصران[4]

وهكذا نرى ان ديوان ابن هاني ذو قيمة حضارية لانه يعرفنا الى شيء وان كان ضئيلا من الحضارة التي كانت معروفة في زمنه في افريقية تلك التي ساهم الفاطميون في تشييدها وهو من هذه الناحية قد يكون عوناً للتاريخ في تعريفنا على حضارة الفاطميين في افريقية ، ومعارفهم في ذلك الزمن مما بني على الحقيقة او الخيال والتوهم .

الفصل الخامس

الفنون الشعرية عند ابن هاني

المدح

المدح هو الفن الشعري الذي قامت عليه شهرة ابن هاني ، واما الفنون الشعرية الاخري فلم يولها اهمية ، مما يجعلنا لا نرى في شعره كبير فائدة ، وكأني به لم يعش الا متذلفاً متزللا ، يطرق الابواب مستجدياً يبيع شعره ، بل يبيع ذاتيته في سبيل ما يحصل عليه من الممدوح ، او كأن العزة لم تعرف الى نفسه سبيلا ، فعاش حياته طارقاً بابا وسائلا نوالا . قد يكون حكمنا هذا عليه قاسياً ، ولكن ما حيلتنا وبين أيدينا ديوانه ونحن نحكم عليه من خلال هذا الديوان الذي لم يحفظ لنا جامعوه ما يحملنا على ان نخفف من قسوة هذا الحكم ، وكيف نستطيع ذلك ونحن لا نرى ان الشاعر خلا لنفسه فتحدث عن امانيها ورغائبها ، ووصف مطامحها وآمالها ، فكانت نظرته الى الحياة من خلال هذه النفس ، بل نرى ان حب المال صرفه عن كل جمال في الدنيا ، فاغرق

في المديح، والحف في السؤال، فخفيت معالم نفسه في التذلل، ودرست مظاهرها في التزلف، فقلت بذلك قيمة الديوان، من حيث الفائدة الشاملة، الا ما كان من تعريف بالعقيدة الاسماعيلية، وكان ان دفعه ذلك الحرص على جمع المال الى المبالغة المقيتة، والغلو المشين.

كنا رأينا ان الشاعر خرج من الاندلس مضطراً، وجاء الغرب هارباً - كما يقول هو - من الامويين وعمالهم الذين نقموا عليه تشيعه، خرج الى عدوة المغرب حيث اتصل بجوهر قائد المعز ومدحه [1] كما يقولون، بيد ان ابن الآبار لا يذكر ان ابن هاني اتصل بجوهر عند خروجه الى عدوة المغرب، بل يقول: واتصل بجعفر بن علي بن حمدون الاندلسي وبأخيه يحيى [2]. اما انا فارى ان ابن هاني لم يتصل اولاً بجوهر، لاسباب منها ان جوهراً هذا لم يغزه المعز إلا عندما ثار ابن واسول محمد بن الفتح على المعز وتلقب بأمير المؤمنين [3]، وهو من سلالة سجلماسة ميمون بن مدرار بن اليسع من بني واسول المكناسي، تغلب على سجلماسة ودعا لنفسه، وأرى الناس انه يدعو لبني العباس واخذ بمذهب اهل السنة، ورفض الخارجية، ولقب نفسه بامير المؤمنين الشاكر بالله، واتخذ السكة باسمه ولقبه، وبقي الى ان قبض عليه جوهر سنة ٣٤٧ بعد ان بعد ان تغلب على سلجماسة المدينة التي اتخذها الخوارج مركزاً لهم بعد ان بعد ان اختطوها سنة ١٤٠ هجرية [4] والى هذا الحدث يشير ابن هاني في قصيدته

---

١ ياقوت معجم الادباء ج ١٩ ٩٢. ابن الخطيب الاحاطة ج - ٢ - ٢١٢. ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٣ - ٤٩

٢ ابن الآبار: تكملة ج ٤ - ١٠٣

٣ ابن خلدون: تاريخ ج ٤ ٦٤

٤ زاهد علي: تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني ص ٣٩ - ٤٠ من المقدمة

التي مدح بها جوهرا (القصيدة العاشرة من الديوان) وقد كنا رأينا ان خروجه من الاندلس كان حوالي سنة ٣٤٤ ، فهل يعقل ان يبقى ثلاث سنوات تائهاً قبل ان يتصل بجوهر ؟ لذلك اعتقد ان اتصاله كان اولاً بجعفر بن علي بن حمدون واخيه يحيى قبل ان يتصل بجوهر بل ربما اتصل بقيصر الصقلي الذي خلفه المعز على الجيش بعد جولته الاولى في سنة ٣٤٢ الى بني كملان ومليلة وهوارة [1] قبل ان يتصل بجعفر او بيحيي ابني علي بن حمدون ، ولكن ليس في الديوان ما يثبت ذلك ، وعلى هذا فنحن سنقسم مدحه بالنسبة للمدوحين ، ونبتدىء بمدح الشاعر لابناء علي بن حمدون على اعتبار انه اول شعر له قاله في المغرب ، وربما كان اول مدح عرف ودون له ، غير انه لا يجب ان نفهم من ذلك ان كل مدحه لهما كان قبل ان يتصل بالمعز ، بل انه مدحهما ايضاً بعد اتصاله بالمعز ، لخلال اعجب بها كانت بهم ، من فهم للعربية ، واريحية قحطانية . وابناء علي بن حمدون هم جعفر واخوه يحيى وابراهيم بن جعفر « وقد دخل جدهما الاندلس من الشام وسكن بكورة البيرة ، ثم تنقل حفيده حمدون جد جعفر هذا الى الى بجاية ، وصحب ابا عبدالله الشيعي الداعي ، ودخل في مذهبه ، فلما تغلب الشيعي على افريقية ، ظهر علي بن حمدون ... ثم ازداد ظهوراً في ايام عبيد الله المهدي ... وخرج معه الى ارض المغرب فامره ببناء مدينة المسيلة وولاه عليها وتولى ابنه جعفر المسيلة من بعده، فلم يزل متولياً لها، رفيع المنزلة عند سلطانه الى ان قتل محمداً ابن خزر الزناتي القائم بدعوة بني امية ، زيرى بن مناد ، فخاف جعفر من صاحب افريقية، فبادر الى الفرار بنفسه مع اخيه يحيى وجميع اهله وماله سنة ٣٦٠ ، فصار عند بني خزر امراء زناتة ، فشق جعفر الصحراء معهم قاصدين لزيري، فالتقوا معهم، ودارت بينهم حرب صعبة انجلت عن قتل

---

١ ابن خلدون : تاريخ ج ٤ - ٤٦

زيري ... ولما تم الامر لامراء زناتة ، وجعفر بن علي ، بادر جعفر بمراسلة الحكم الى الاندلس ملقياً بنفسه عليه ، معتصماً بدعوته ، ثم ارسل اليه اخاه يحيي ثم سار اليه بنفسه . فحظي عنده [1]. وهنا لا بد لنا من الاشارة الى خلاف تاريخي بين صاحب البيان المغرب ابن عذارى وابن خلدون اذ ان الاول يقول بان الذي قتل محمدا بن خزر الزناتي الذي كان جباراً عاتياً طاغياً هو زيري ابن مناد بينما يقول بن خلدون بان المعز امر بلكين بن زيري بن مناد بغزوه فغزاه في بلاده...وذلك سنة ٣٦٠ [2] وزيري من قبيلة افريقية تعرف بصنهاجة، استقدمه المعز الى حضرته سنة ٣٤٣ فاكرمه واستخدمه في بعض المهام ، ونحن لا نستطيع ان نثبت ايهما الذي قتل محمدا بن خزر الزناتي الا اذا اعتبرنا كتب التاريخ اصدق من كتب الادب في النواحي التاريخية ، ونحن يهمنا فقط ان نؤكد ان جعفراً واخاه يحيى انتقضا على المعز وايدا بني امية وذلك عندما بعد المعز عن المغرب واصبح في مصر بعيداً عن المغرب ومتوجهاً بكليته الى الشرق .

هذان الرجلان اتصل بهما ابن هاني فاجزلا صلته واحلاه منزلة طيبة ، فمدحهما واغرق في المبالغة اغراقاً فاحشاً . وعلى كل فنحن نري ان ابن هاني لم يكن يبحث عن مثال اعلى للرجل العربي ، حتى اذا وجده ، اعجب به وانصرف اليه يمدحه ، لانه تجسيد للصورة التي كان يتخيلها ، كما كان شأن المتنبي مع سيف الدولة ، بل هو يسعى ، ويريد ان يعيش ، همه ان ينال جزاء مدحه ، ويحظى ببحبوحة من العيش يسعد بها ، واني لموقن انه لو لم يكرمه

---

١ ابن عذارى: البيان المغرب ج ٠ – ٢٤٢ – ٢٤٣

٢ ابن خلدون تاريخ ج ٤ – ٤٨

هذان لانصرف عنهما الى غيرهما ولمدح كل من يمد له يداً بعطاء ، ويأمل عنده خيراً ، ولذا فلا نكاد نمر بقصيدة له في المديح الا وفيها تلميح الى الطلب ، او حض على البذل .

الشاعر وابنا علي بن حمدون

عرفنا ان جدهما الاعلى جاء الى اسبانيا ، وسكن كورة البيرة، وان جدهما حمدون انتقل الى افريقية ، وصحب ابا عبدالله الشيعي ، واحتل مركزاً حسناً ، وكذلك ابنه علي من بعده ، وحفيده جعفر ، ولكن الشاعر يحاول ان يعرفنا بنسب جعفر اذ اننا لم نتوصل من التاريخ الى معرفة اصلها ، ويظهر ان الشاعر لم يكن متأكداً من ذلك ، فهم في نظره يعودون في اصلهم الى الفرس وفي هذا يقول :

ما زال يعلق في منابت فارس حتى ظننت النوبهار له ابا
ولئن سطا بسرير ملك اعجم فلقد امدتـه لساناً معربا

او قوله

من آل ساسان منار للصبـــا قد بت اسأل عنه انفاس الصبا [1]

وواضح من هذه الابيات الثلاثة أن الشاعر يعتقـد ان جعفراً يعود بنسبه الى الفرس ، والى الســادات منهم اي الى بني ساسان ، وان كان عربي اللسان ، وينتقل بعد ذلك الى وصف الممدوح ، فاذا به يصفه بما توصف به المرأة من قد ، ورشاقة قوام ، وخجل ، فقوامه يخجل الرمح ، ولحظه كالسيف ، وفتكة

---

١ ديوان : ق ٤ – ٧٦

دله اعظم من فتكة الشجاع ، وكلها اوصاف اقرب الى الغزل منها الى الوصف البطولي الذي يجب ان يوصف به الرجل فاسمعه يقول:

ويكلف الارماح لين قوامه فيذم ذا يزن ويظلم قعضبا

ثم هل هناك شيء اقوى من لحاظه كسلاح للفتك لذا يطلب الشاعر ان يصنع له من هذا اللحظ سيفا

قم فاخترط لي من حواشي لحظه سيفاً يكون كما علمت مجربا
وأعر جناني فتكة من دله كيما اكون بها الشجاع المحربا

وفوق كل هذا يأمل ان يعطي تعلة من ريق هـذا الممدوح حتى يقبل منه ذلك الثغر البارد واني لا ارى ان في الغزل الفاظاً ارق من هذه الالفاظ

وأمدني بتعلة من ريقه حتى اقبل منه ثغراً اشنبا

ثم ان هذا الممدوح اذا ما سار يتمايل كالغصن حتى يكاد يسقط نصفه، واذا ما نظر اليه تورد وجهه خجلا وكان يصفف شعره كما يصففه النساء ، بأن يجعله كالعقرب على صفحة الخد

قد ماج حتى كاد يسقط نصفه والين حتى كاد ان يتسربا
خالسته نظراً وكان مورداً فاحمر حتى كاد ان يلتهبا
وكأن صفحة خده وعذاره تفاحة رميت لتقتل عقربا

ولعمري ليس هناك في الفاظ الغزل الفاظ ارق من هذه واني لارى ان ان الشاعر لم يحسن اختيار الالفاظ الجديرة بالمدح الموجه للرجال حيث الكلام يجب ان يدل على القوة والشدة ، لا ان يكون جديراً بالنساء ، والالفاظ القليلة التي تدل على معاني الرجولة لا تكفي لان تجعلنا نعجب بمثل هذا المدح فقوله:

قد واجه الاسد الضواري في الوغى غرا وقارن في الكناس الربربا

فاذا رأى الابطال نص اليهم جيدا واتلع خائفاً مترقبا

لا يكفي بان ينفي عن هذا المديح صفة الغزل ، ثم يعرض بعد ذلك بكرم الممدوح ويشكر له عطاءه مشبهاً هذا العطاء بالمطر الوسمي .

لم امطر الوسمي الا بعدما سبق الولي له وقد غمر الربى

كما يشكر له تقليده إياه سيفا

ان يكرم السيف الذي قلدتني من غيرها فلقد تخير منكبا[1]

ولا ينسى ان يذكر ممدوحه بالبذل ، ويتصور ان الناس يلومونه لتبديده ماله وليس لهم حق في ذلك لان الكرم جبلة فيه

عذلوه في بذل التلاد وانما عذلوه ان يدعي الغمام الصيبا
لا تعذلوه فلن يحول عاذل ما كان في طبع النفوس مركبا

وكأني بابن هاني يرمي من وراء كل ذلك الى ان يثير في الممدوح اريحيته ، ويحرك فيها عنجهيته للبذل ، فصاحبه كريم يهب الكتائب والمها والجياد ، حتى كأن المزن يغار منه فيقلده بالعطاء

يهب الكتائب غانمات والمها مستردفات والجياد عرابا
قد بات صوب المزن يسترق الندى من كفه فرأيت منه عجابا

وهو الى ذلك شجاع ماضي العزيمة ، لا يخشى الحرب ، ينتهب النفوس ، وذكره يطيب الافواه ، فاذا كان كل ثغر يتلفظ باسمه عذباً

---

١ ديوان ق ، ٤ ، ٧٦ - ٩٣ .

ماضي العزائم غـيره اغتنم اللهى في الحرب واغتنم النفوس نهابا
قد طيب الافواه طيب ثنائه فمن اجل ذا تجد الثغور عذابا

ثم يقسم انة بعد ان خبر الناس فلم يكرموه اكرام جعفر له ،لن يصدر عن بحر جعفر هذا لان كل البحار غيربحره سراب .

قد كنت قبل رضاك ازجي عارضاً فاشيم منه الزبرج المنجابا
آليت اصدر عن بحارك بعدما قست البحار بها فكن سرابا

ونظراً لشجاعة جعفر وحنكته وقـــدرته على تسيير الامور فقد اختاره الامام لسد الثغور .

سد الامام بك الثغور وقبله هزم النبي بقومك الاحزابا
انتم ذوو التيجان من يمن اذا عد الشريف اروءة ونصابا [٢]

وفي البيت الاول يشير الى ان النبي استعان بالانصار ليهزم الاحزاب والانصار يمانون والممدوح ايضاً يمان وهذا تراجع صريح من ابن هاني عن رأيه الاول ، فقد رأيناه ينسب ممدوحه هذا الى الفرس، وهنا يعود فينسبه الى عرب الجنوب من القحطانيين ، بل ومن ملوك اليمن فهم لذا اقرباء الشاعر لانـه من الازد ، والازد من عرب من الجنوب ، وفي هذا يقول :

فمهلا بني عمي واعيان معشري واملاك قومي والخضارم من نجري [٣]

ويذهب التملق بابن هاني الى ان يجعل ملوك اليمن حجاباً في قصور اجداد

---

٢ « « ، ٦ ، ١٠٨ .
٣ « « ، ١٨ ، ٣١٩ .

جعفر .

ان تمتثل منها الملوك قصوركم فلطالما كانوا لها حجابا

ولا يكفي هذا التراجع عن الخطأ ، بل عليه ان يعتذر ، فيعتذر ويضرب مثلا لهذا الاعتذار بداود النبي ، مشيراً الى الآية القرآنية « وهل اتاك نبأ الخصم اذا تسوروا المحراب ، اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ...[1] وهو يتخذ من هذا مثلا على موقفـــه هو من جعفر وان الله غفر لداود خطأه فليغفر اذن جعفر خطا الشاعر

هبني كذي المحراب فيك ولومي كالخصم حين تسوروا المحرابا
فانا المنيب وفيه اعظم اسوة قد خر قبلي راكعاً وانابا

واني لأشعر ان اناساً قد لاموا ابن هاني على ما قاله اولاً في ابناء علي بن حمدون إذ انه نسبهم الى الفرس ، فهو هنا يشير الى هؤلاء اللوم ، ويتخذ من مثل داود عذرا وهذه المعاني تدل على مدى ثقافة ابن هاني القرآنية ، وتظهر في هذه القصيدة فكرة اسماعيلية ينقلها ابن هاني الى ممدوحه

ولئن خرجت عن الظنون ورجمها فلقد دخلت الغيب بابا بابا[2]

وصاحبه يدق عن الافهام والرغبة في التعرف عليه محاولة لمعرفة الغيب ، وهذا اثر من آثار التعـــاليم الاسماعيلية ويعد غلوا بنظر اهل الظاهر ،

---

١ قرآن كريم ، ٨ ، ٢٠ ، ٢٤ .
٢ ديوان ق ، ٦ ، ١٠٨ .

والاسماعيليون يقولون بان في الامام شيئاً الهياً لا يمكن ان يدركه العوام .

ويلوك ابن هاني هذه الاوصاف ويرددها في مناسبات شتى ، وبقوالب مختلفة ، فجعفر حصن الامامة يسد ثغور الملك ويدافع عن البيت الهاشمي ، شجاع ، مقدام ، وهو ايضاً

سريع الى داعي المكارم والعلى اذا ما استريث النكس والنكس رائث

كريم لم يعرف الجود الا في ايامه

وما الجود شيئاً كان قبلك سابقاً بل الجود شيء في زمانك حادث [1]

وهذا القول مع جمال تعبيره وحسن تركيبه غير مقبول ، لانه تقرير لما لا ينطبق على واقع . وكذلك تبدو في بعض قصائده في مدح جعفر اصداء تعاليم الشيعة الاسماعيلية كقوله :

شهدت له ان الملائك حوله مسومة والله من خلفه رد

ويدفعه التملق والحرص الى ان يجعل ملوك قحطان خولاً لجعفر .

واحرى بن اقيال قحطان كلها له خول ان لا يكون له ند [2]

وله في جعفر هذا قصيدة جميلة ، فيها من نفس المتنبي الشيء الكثير وجمالها في هذه الالفاظ الفخمة والتراكيب الحلوة القوية مع دقة في الوصف واصابة في تأدية المعنى .

---

١ ق ٧ ، ١٢٠ .

٢ ق ٣ ، ١٦ ، ٢٨ .

القائد الخيل العتاق شوازبا خزرا الى لحظ السنان الاخزر
شعث النواصي حشرة آذانها قب الاباطل ظاميات الأنسر

....

في فتية صدأ الدروع عليهم وخلوقهم علق النجيع الاحمر
لا يأكل السرحان شلو طعينهم مما عليه من القنا المتكسر
انسوا بهجران الانيس كأنهم في عبقري البيد جنة عبقر

....

قوم يبيت على الحشايا غيرهم ومبيتهم فوق الجياد الضمر

....

حي من الاعراب الا انهم يردون ماء الامن غير مكدر

....

فاذا عفا لم تلق الا ملكا واذا سطا لم تلق غير معفر
وكفاك من حب السماحة انها منه بموضع مقلة من محجر
فغمامه من رحمة وعراصه من جنة ويمينه من كوثر [1]

ويستحسن صاحب كتاب **رايات المبرزين وغايات المميزين**، ابن سعيد المغربي[2] قصيدة ابن هاني التي يصف فيها النجوم والتي مطلعها

أليلتنا اذ ارسلت واردا وحفا وبتنا نرى الجوزاء في اذنها شنفا

فيقول لم يسمع في وصف النجوم احسن من قصيدته ... وهذا الشعر وان جمع من التشبيهات ما لم يجمعه غيره، فانك لا تجد فيه من حلاوة اللفظ،

---

١ ديوان ق ٢٠ .

٢ ابن سعيد المغربي رايات المبرزين وغايات المميزين ص ٢٠٤، ٢٠٧ .

وسهولة الحفظ ، ما تجدة في رائية ابن عمار» [1] وهذه ملاحظة قيمة ، ذلك ان شعر ابن هاني يكاد يخلو من حلاوة اللفظ لكثرة الغريب ، وسهولة الحفظ لنبوه عن الذوق فجميله القليله تذهب لذته هذه الاطالة المملة على غير طائل والمألوف في الشعر العربي هو الايماء والاشارة والتلميح خاصة في المدح ؛ ويعاب على الشاعر الاطالة في المديح ، ويزرى عليه الاسهاب في الوصف لان الاسهاب في الوصف من خصائص النثر ، ولهذا قال احدهم

واذا امروء مـــدح امرءاً لنواله واطـال فيه فقد اطال هجاءه
لو لم يقدر فيه بعد المستقى عند الورود لما اطال رشاءه

وابن هاني يطيل ويطيل حتى يمل القارىء والسامع ، ولو كان هذا السامع الممدوح ذاته ، ويمج الذوق هذه المبالغات المقيتة ، وتلك الصور الباهتة الألوان ، فاسمع اليه يقول :

كان لواء الشمس غرة جعفر رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا
وقد جاشت الدأماء بيضاً صوارما ومارنة سمرا وفضفاضة زعفا
وجاءت عتاق الخيل تردى كأنها تخط لها اقلام اذانها صحفا
هنالك تلقى جعفراً غير جعفر وقد بدلت يمناه من رفقها ضعفا [1]

فلنقف قليلاً عند البيت الثالث ، نجد ان معنـاه : ان الخيل العتاق جاءت ترجم الارض بحوافرها وكان اقلام آذانها تخط للمدوح صحفـاً ، ولنتصور ، مقدار ما توحي لنا به هذه الالفاظ ولنحاول ان نربط بين هذه الحوافر واقلام الآذان فماذا نستنتج اذن؟ لا شيء إلا ان تكون هذه الخيل قد وقعت على رأسها

---

١ ديوان ق ، ٣١ ، ٤٧٤ .

فآذانها تحفر الاوض اذ تحاول النهوض فلا تقدر وكأنها تكتب في الارض خطوطاً وهذا معنى لا عناء فيه ، ثم ان وصف غرة جعفر بالاصفرار في المعركة فمعنى هذا اما ان يكون الرجل مريضاً، او خائفاً، وانما يوصف الجبين بالاشراق مثلا ، وهو في كل قصيدة لا ينسى ان يذكر كرم الممدوح

وتأتي عطاياه عداد جنوده فما افترقت صنفاً ولا اجتمعت صنفا

وهذا الممدوح

هو الدهر الا انني لا ارى له على غير من ناواه خطباً ولا صرفا

ولعمري هذا هو الوفاء الذي يرجوه الانسان في من يرجو وداده ، ويستمر ابن هاني في مدح جعفر حتى يطمئن الى أن اريحيته قد تحركت فيشتد في الطلب

ابا احمد قد كان في الارض موئل فلم ابغ لي ركناً سواك ولا كهفا
أمنت بك الايام وهي مخوفة ولو بيديك الخلد امنتني الحتفا [1]

وفي قصيدة اخرى يمدحه ويصفه بانه وحده يحمل اعباء الخلافة كلها ، وانه لشجاعته قد تكون له الأسنة مضجعا

ملك اذا صدئت عليه دروعة فلها من الهيجاء يوم صاقل
فانهض باعباء الخلافة كلها ان المحملهن عود بازل
ولقد تكون لك الاسنة مضجعا حتى كأنك عن حمامك غافل [2]

وكأني به قد أخذ المعنى من قول المتنبي في سيف الدولة

وفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

---

١ ديوان ق ، ٤٥ ، ٦٣٨ .

تمر بك الابطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم [1]

ويذهب ابن هاني كل مذهب في مدح جعفر ، ويعتبره عمود الخلافة وسيد العرب اذ

ما العرب لولا انت الا اينق زمت لطيتها وحي راحل
ما الملك دون يديك الا عروة مفصومة وعمود سمك زائل

ولا عجب في ذلك فالخصب حيث يحل جعفر والجدب حيث لا يكون

فاذا حللت فكل واد ممرع واذا ظعنت فكل واد ما حل [2]

ثم هو الى ذلك مليك الملوك ، يجود حتى لا يرى لغيره جود معه

يميناً لانت مليك الملوك فمن شاء خص ومن شاء عم
واني لاعجب من خلتين جود يديك وبخل الامم
فعان يرجى لديك الفكاك وعاف يشيم لديك الديم
فمن اين ساروا فانت السبيل ومن اين حلوا فانت العلم

وجعفر لا يعد له كريم

فمن حاتم ثكلوا حاتماً ومن هرم حيث عدوا هرم
اذا هو اعطى البعير الفريد برمته ظن ان قد كرم
وانت رأيتك تعطي الالو ف فتنهب نهباً ولا تقتسم
وكان اذا ما قرى بكرة تفرد بالجود فيما زعم

---

١ « « ، متنبي ، نشر عبد الوهاب عزام ص ٣٧٧ .
٢ « « ، ٤٥ ، ٦٤٥ .

وانث تجود بمثل البـــكا ر من التبر في مثلها من ادم

ويدفعه الحرص على المال والامل في عطاء الممدوح الى ان يصرح علانية كأنه يخاف ان يغضي جعفر عنه او يتغاضى فينصرف ولم ينله شيئاً فيقول :

ابا احمد دعوة حرة لحر المواثيق حر الذمم
حمدت لقاءك حمد الربيـــع وشمت نوالك شيم الديم
وما الغيث أولى بأن يستهل وما الغيث اولى بأن ينسجم
ومن حق غيري ان يجتدى ومن حق مثلي ان يحتكم
وانت مليء بدر الفعـا ل واني مليء بدر الكلم
اذم اليك اعتوار الخطو ب وصرف الحوادث فيما اذم
ومما اعان علي الزمان عفاف يد وعلو الهمم
فلا بالعجول ولا بالملو ل ولا بالسؤل ولا المغتنم[1]

ونحن نعجب بحلاوة الوزن وخفته ، ولكننا نأخذ على الشاعر هذه المغالاة وهذا التذلل ، وعلى كل فهو يبدو على حقيقته دون ان يحاول اخفاء ما يجول في نفسه من طمع ورغبة وحرص ، فهو يرجو العطاء ، ويعتذر لذلك بجور الايام التي اضطرته لمثل هذا الموقف مع عفته . فالخطوب التي اعتورته لا يمكن ان تقاوم وتقلبات الليالي لا يستطيع الصمود امامها . اضف الى ذلك عفاف يد الشاعر ، وعلو همته — وهذا ما نشك به — ، كل هذا اجبره على الطلب بل والالحاف في الطلب ، فكان منه هذا الموقف مع جعفر حيث ظهر فيه بمظهر الملح الذي لا يرى هماً إلا بالحصول على المال ، ولا همة إلا بكسب النوال .

---

١ ديوان ق ، ٥٠ .

هذه كانت حاله مع جعفر ، يمدحه لنواله ، ويغالي في مدحه ارضاء له ، وإثارة لأريحيته ، فكيف كانت حـــاله اذن مع يحيى اخي جعفر ، وابراهيم ابن جعفر ؟

لم يقتصر ابن هاني في مدحه على جعفر ككبير اسرة آل علي بن حمدون ، وكأمير للزاب ، بل راح يتصل بأخيه يحيي كما اتصل بابراهيم بن جعفر ، يمدحهما ويرجو نوالهما ، وهما شابان يقاربانه سناً ، وهذا ما يتيح له ان يجد معهما مجـالاً للهو والتسلية ، ويستسهل اثارة كبريائهما . ثم انه لم يـترك جعفراً لينصرف الى احدهما ، بل مدح كل واحد منهم لينال جائزته ، فيغنى حاله ، ويزول ضيقه ، وكأني به شديد الحرص على المال وطلب الرزق ، ولو باراقة ماء الوجه ، وعلى كل فهو شاعر وهذه هي مهنته .

ان نظرة شاملة لمديحه في يحيى ترينا ان الشاعر يسلك معه طريقة اخرى غير تلك التي سلكها مع جعفر ، فمدحه ليحيى فيه دعوة صريحة الى مبادرة اللذة ، واغتنام الشباب ، مما لا تجد له شبيهـــاً في مدحه جعفرا ، وهو لا يجد ليحيى عذراً اذا ما تخلف عن ذلك ، أليس أن له في شبـــابه النضر ووضعه الاجتماعي ما يؤهله لمثل هذه اللذات الدنوية ؟ هل الحياة الدنيا الا فرصة يجب ان يغتنمها الانسان ؟

غضارة دنيا واعتدال شبيبة فما لك في اللذات واللهو من عذر
ولا خير في الدنيا اذا لم يفز بها مليك مفدى في اقتبال من العمر

ويخشي الشاعر ان لا يفطن ممدوحه الى هذه اللذائذ فيعددها له ويحصرها بالخمرة والتنعم بالنساء وارتداء اللباس الفاخر ، فأشعر وكأنها اماني يرجو تحقيقها الشاعر .

وما زلت تروي السيف في الروع من دم فحقك ان تروي الثرى من دم الخمر
وتنعم بالبيـــض الاوانس كالدمى وترفل من دنيـــاك في حلل خضر

ويشكره بعد ذلك على حبائه ، ويقر بانه لم يعد يستطيع ان يوفي ما لهم في عنقه من منن .

لعمري لقد اجرضتموني بنيلكم وحملتموني منه قـاصمة الظهر
اسرت بما اسديتم من صنيعـــة وما خلتكم ترضون للجار بالاسر

وفي قصيدة اخرى جميلة المعاني ، لولا بعض الغلو ، حلوة الوزن ، يجعل يحيي سيد الخلق في كفه حوض الرزق يقسم منه بين الناس ؟ وفي يمينه آجالهم يمد لهم بها او يقصر .

لكل قوم سيد ماجد لكن يحيى سيد الخلق
كأنمـــا في كفه للورى مفاتح الآجال والرزق
الحوض حوض الله في كفه يطفح من ملء ومن فهق

ولا ينسى الشاعر ان ممدوحه رجل عظيم ومحـــارب بطل ، يطعن الطعنة النجلاء فيردي الكمي ، ويخوض الحرب غير هياب ولا وجل

ذو الطعنة الصدقاء والضربة الهبراء ذات اللجج العمق
يلج في البأس واعداؤه في الذعر والرايات في الخفق
كأنمـــا في الدرع ذو لبدة اخرق من مأسدة خرق

وهو في نظر الشاعر مساو للعالم ، وفي هذا المعنى اثر لعقيدته الاسماعيلية ، ولذا يطلب الشاعر منه ان يعمر حياة الناس باسم الدعوة الاسماعيلية

انت الورى فاعمر حيـــاة الورى باسم من الدعـــوة مشتق

وفي نهاية القصيدة لا ينسى ان يشكر يحيى على عطائه له، وتفضله عليه ، ومنعه من اراقة ماء وجهه على اعتاب غيره

اطفأت عني زمني بعـــد ما اوقفت من جمر على حـــرق
وكنت كالشيء اللقى مـــاله غـــير يـــد الايام من ملق
فاليوم بدلت سبى من دجى واعتضت صفو العيش بالرنق
حقنت في صفحة وجهي دمي من بعد ما اوفى على الهرق [1]

وتذهب به المبالغة احيانا مذهبا عقيما ويدفعه التملق الى الخروج عن حد المعقول كأن يقول:

ان السماء لدون مـــا ترقى له والنجم اقرب نهجك المسلوك [2]

ولست ادري الى اين سيرقى هذا الممدوح اذا كانت السماء دون ذلك المكان ، ولن نعجب اذا ما عرفنا ان صاحبه هذا يجبير الدهر ويتصرف بالآجال

ستفخر ان الدهر ممن تجيره وان حيـاة الخلق مما تسالم

وهل في هذا عجب وهو البطل المقدام الذي يخوض صفوف العـدو فينتظمهم برمحه نظما

وكم جحفل مجر قرعت صفاته بصاعقة يصلي بها وهو جاحم
اتوك فما خروا الي البيض سجـدا ولكنما كانت تخر الجمـــاجم

سبقت المنـــايا واقعا في نفوسهم كما وقعت قبل الخوافي القوادم

ثم يذكر ان يحيي هو حوض الله ، من ورده كان آمنا

---

١ ديوان – ق – ٣٦
٢ ديوان ق ، ٥٣ ، ٧٤١ .

هو الحوض حوض الله من يك واردا فقد صدرت عنه الغيوث السواجم [1]

ويتردد في مدحه ليحيي اصداء التعاليم الاسماعالية ، حيث يجعله بعيدا عن ان يدرك او ان يوصف

ولقد بعدت عن الصفات وكنهها ولقد قربت فكنت غير بعيد
فكانك المقدار يعرفه الورى من غير تكييف ولا تحديد
كل الشهادة ممكن تكذيبها الا ببأسك والعلى والجود [2]

فهذا الذي بعد عن الصفات والادراك ، لا بد انه فوق البشرية ، وهذ من اثر التعاليم الاسماعيلية فيه ، ومظهر من مظهر ثقافته الباطنية

اما عندما يمدح ابراهيم بن جعفر فانه يراه سهماً يريشه جعفر ليرمي به الاعداء ، فهو بطل يخوض الصفوف ويتخطى المخاطر الى نهب النفوس ، فصيح قوي الحجة ، شديد العارضة .

يصيب بيان القول يوفي بحقه على باطل الخصم الالد فيمحقه

ولا عجب في ذلك فهو شبل اسد من بيت سمكه عال ، شيد بالمأثرات والمكارم ، وهو كريم جداً ، ولذا لا ينسى الشاعر ان يشكره على هباته .

لك الخير قد طالت يداي وقصرت يدا زمن الوى بنحضي يزقه
كفى بعض ما اوليت فأذن لقافل بفضلك زمت للترحل اينقه
افضت عليه بالندى غير سائل بحارك حتى ظن انك تغرقه
وما كحميد القول ينمي مزيده ولا كاليد البيضاء عندي تحققه [3]

---

١ ديوان ق ، ١٦ ، ٢٧٨ .
٢ ديوان ق ، ٢٤ ، ٣٧٧ .
٣ ديوان ق ، ٣٢ ، ٤٦٦ .

ولست اراه في هذه الابيات الا كالسائل اذا ما امتلأت يداه ، عاد الى بيته ليفرغها ويعود ثانية ، وكأني به لم يكن اتصاله بآل علي بن حمدون اخلاصاً منه لهم ، فهو كما قلت لم يكن عنده فكرة عن مثل اعلى للرجل الكريم يتعشقه ، ويسعى وراء تحقيقه ، حتى اذا وجده في انسان انصرف اليه بكليته ، كما فعل المتنبي مع سيف الدولة ، وقد اساء اليه هذا الاخير فلم ينسه الشاعر بل كان يحن اليه ، واكثر من ذلك فان معاني الابيات السابقة جميلة والفاظها حلوة ولكني أشعر ان في البيت الاخير شيئاً من عدم اللياقة ، بل هو تصريح صادر عن نفس تتعشق المال ولا قيمة عندها لغيره ، وتطلب الرزق وتقبل به من اي طريق كان ، فكأنه يقول لابراهيم وذويه : اعلموا يا هؤلاء انه اذا اردتم ان يزداد مدحي لكم فاعطوني مالاً كثيراً ، وازرعوا عندي ايادي بيضاء ، فان هذه المنح تحقق لكم ما تطلبون اما اذا لم تكرموني فان لساني لن يجد ما يحركه . واني لاستطيع ان اتصور انه لو لم يعطه ابناء علي بن حمدون ، لانصرف عنهم الى غيرهم ، فالرجل تحرك لسانه الرغبات ، وتشحذ قريحته الهبات ، اما الوفاء واما الاخلاص والمثالية ، فاسماء لم تكن لتخطر في باله ، وقد يكون على شيء من العذر لان الجائع لا يفكر الا بالطعام فاذا شبع كان عليه ان ينصرف في تفكيره الى غير ذلك ، ثم ألم تشبع الشاعر هبات آل علي بن حمدون الذين يقول عنهم بأنهم اغرقوه في بحر كرمهم ؟ لا ادري بيد ان ما نلمسه هو ان نفسية شاعرنا نفسية نهمة جشعة ، ترى المال كل شيء في الحياة ، او كان الاباء العربي لم يعرف سبيله اليها . ويدفعه هذا الشعور الى التملق فاذا ابراهيم .

فهو فينا خليفة البدر ما استحلك ليل اذا تجلى بحلك
حتى اذا وطىء الثرى كانت لؤلؤاً رطباً وكان ماؤها مسكا

يطأ الثرى فالثرى لؤلؤ رطب وماء الثرى مجاجة مسك

ولا ينسى ان يشكره على انعامه عليه

انا لولا نواله آنفاً لم يك لي من شكاية الدهر مشك
سح شؤبوبه فاجرى شعابي وطما بحره فاغريق فلكي [1]

والمعاني جميلة والوزن موسيقى لذيذ ، ان شكاية الشاعر من الدهر لم تكن الا لانه لم يعد يستطيع النهوض بما اغدق عليه من عطاء ، بيد ان استعماله « انفاً » يوحي بانه يريد تجديد العطاء . ومن جميل ما قاله في مدح ابراهيم مع بعض التعابير الاسماعيلية قوله :

متهلل والبدر فوق جبينه يلقاك بشر سماحه من دونه
والدين والدنيا جميعا والندى والبؤس طوع شماله ويمينه
جذلان فالآداب في حركاته والحلم في اطراقه وسكونه
بادي الرضاء حذار منه معاودا غضبا يريك الموت بين جفونه
لين تساس به الخطوب وشدة والنصل شدة بأسه في لينه

ويندفع في غلوه المألوف ، فاذا صاحبه يعرف الغيب ، وهو الى ذلك علة خلق هذا الكون .

يجلو له الغيب المستر هاجس ثقف النباهة ظنه كيقينه
ما ذاك الا ان كونك ناشئا سبب لهذا الخلق في تكوينه

وهذا المعنى يرددة كثيرا في مدح المعز ولا نعجب من ذلك فالامام في العقيدة الاسماعيلية كالنبي او اعلى درجة منه ، ولكن ان يكون ابراهيم ، احد ابناء عمال المعز ، سببا لهذا الخلق في تكوينه ، فذلك من باب التزلف والتملق وصغار النفس الذي يدفعه لان يظهر بمظهر الرقيق لابراهيم فيقول :

---

١ ديوان : ق ٣٨ — ٥٢٨ ه

واسعت عبدك من اياد شكرها حظان من دنيا الشكور ودينه [1]

وهكذا نلاحظ ان مدحه لآل علي بن حمدون يصطبغ بصبغة المبالغة والتزلف والتملق ، وعليه سمة الصغار ، اذ يعد الشاعر نفسه عبدا لهؤلاء ، وخادما امينا إن احسنوا فلهم شكره ولكنه لا يجعلنا نلمس اخلاصه في ما يقول .

ولم يقصر ابن هانيء مدحه على هؤلآء فقط ، بل راح يمدح غيرهم من القادة والامراء فهل كانت ايضا طريقته مع هؤلاء كطريقته مع ابناء علي بن حمدون ؟ لقد اتصل الشاعر بجوهر ، وهو مملوك رومي رباه المعز لدين الله وكناه بابي الحسين واعلى قدره وسيره في رتبة الوزراء وجعله قائد الجيوش وبعثه في صفر سنة ٣٤٧ ٩٥٨ ومعه عساكر كثيرة الى المغرب فافتتح مدنها ودوخ بلادها ثم جهزه المعز الى مصر ففتحها ولما تمكن بمصر سير جعفر بن فلاح الذي كان معه الي بلاد الشام في العساكر ففتحها وبقي معززا عند الفاطميين حتى توفي سنة ٣٨١ ٩٩٢ . مدح الشاعر القائد وذلك بمناسبة انتصاره على ابن واسول الذي ثار على المعز فارسل هذا له جوهرا فانتصر على الثائر وهنأه الشاعر فقال

وابيض من سر الخلافة واضح تجلى فكان الشمس في رونق الضحى
اريك به نهج الخلافة مهيعا يبين واعلام الخلافة وضحا
ولما اجتباه والملائك جنده لمهلكهم درت على قطبها الرحى

فقلدها جم السياسة مدرها اذا شاء رام القصد اوقال افصحا [1]

ومع ذلك فلا يمكن ان نستخلص من كل هذه القصيدة صورة واضحة الخطوط لجوهر وجل ما هنالك انه ينفذ اوامر الخليفة بدقة ويصدر عن ثاقب نظر وخبرة

---

(١) ديوان – ق ٥٤ – ٧٤ .

وعندما غادر هـا القائد القيروان الى مصر شيعه المعز ومدحه الشاعر بقصيدة اعتبره فيها انه سيف بني هاشم

الى ان تبدى سيف دولة هاشم على وجهه نور من الله يسطع

ثم وصف الجيش والخيول المجنوبة والرايات والقواد يحفون بجوهر فيبدون له الطاعة ويظهرون له الخضوع وهو كأنه

مليك ترى الاملاك دون بساطه واعناقهم ميل الى الارض خضع
قيام على اقدامها قد تنكبت صوارمها كل يطيع ويخضع
وسل سيوف الهند حول سريره ثمانون الفـا دارع ومقنع

والبيت الاخير يرينا ان عدد جيش المعز الذي غزا مصر كان ثمانين الفاً من من الفرسان . وبعد ذلك يصف الشاعر ترحل الجيش وقد ثار الغبـار ، ثم يتأسف لعدم تمكنه من مصاحبة هذا الجيش في هذا الفتح ، وهنـا ايضاً تبقى صورة جوهر مبهمـة الخطوط غير واضحة ، مع اننا نقدر على تصور الجيش ووقوف الناس حول جوهر هذا ، بايديهم السيوف، اما الممدوح فلا يكاد يبين ، ولا ينسى الشاعر ان يصف الممدوح بالكرم ، وسخاء الكف ، وحسن الدراية، وكلها ملامح باهتة الالوان ، لا تثير في النفس شيئاً ، فهو يزيد في نعمة الناس ، ولا يسلبهم ارزاقهم ، ويكفكف الجور عن المعتـدى عليهم ، ويؤمن الخائف ، ويغيث المستجير ، وهو الى ذلك جـدير بان ينسي سكان مصر الاخشيديين وحكمهم الغاشم .

وانساهم الاخشيد من شسع نعله اعز من الاخشيد قدرا وارفع[٢]

---

٢ ديوان ق ، ٢٧ ، ٤٠٤ .

وثمة رجل ثان هو محمد بن عمر الشيبـــاني ، وكنيته ابو الفرج ، اتصل به الشاعر ، وكان هذا الرجل صاحب اعمال الصعيد – كما يظهر من قول الشاعر – قبل اتصاله بالمعز ، كما كان رجلاً خبيراً مجرباً وكريماً ، مدحه الشاعر فاكرمه كثيراً وفي هذا الرجل يقول ابن هاني :

لكن سيدنا الاعلى وسيدكم على الملوك اذا قيست به سوق
الواهب الالف الا انها بدر والطاعن الالف الا انها نسق
ومن مواهبه الرايات خافقة والعاديات الى الهيجاء تستبق
جم الاناة كثير العفو مبتدر المعروف مدرع بالحزم منتطق[٣]

وليس لنا من مآخذ عليه في هذه القصيدة ، فهي جميلة في معناها ومبناها اذ الممدوح عالم باللغة العربية ، فهو شيباني ، وشيبان من العرب في القمة ، يدرك الغريب ، ويفهم عويص اللغة ، وهو الى ذلك بطل كمي ،

تؤنسه الهيجا ويطرب سمعه صرير العوالي في صدور الجحافل[٤]

وهو كريم معطاء لا يتبع عطاءه منا ولا اذى

عطاء بلا من يكدر صفوه فليس بمنان وليس بباخل[١]

واني لاشعر ان الشاعر يبدو شديد الحذر مع هذا الممدوح بالذات ، من حيث اللغة ذلك لان صاحبه شاعر كما هو بطل .

---

٣ ديوان ق ، ٣٣ ، ٤٦٧ .
٤ « « ، ٤٢ ، ٥٩٢ .
١ ديوان ق ، ٤٢ ، ٥٩٢ .

ليث الكتيبة والابصار ترمقـــه وبيضة الخدر في الليل الدجوجي
ثقفت منه اديباً شاعراً لسنا شتى الاعاريض محذور الاحاجي
مستطلعـــاً لجوابي من بديهته فما يجـــاوبه مثل النوامي
قريب عهـد باعراب الجزيرة لم ينطق بدارا ولم ينسب الى عي
لا يشرح القوم وحشي الغريب له ولا يساءَل عن تلك الاحاجي

ويتعرض لوصف كرم الممدوح ، فيسأل الله ان لا يفجع الناس به

لا يفقـــدنك ذو سمع وذو بصر فانت اكرم مسموع ومرئي
تغضي على الذنب احياناً فاحسبني اشك في احنف الحلم التميمي
ماكنت احسب ان الدهر يزلف لي بحـــاتم في الليالي غير طائي

ويحرك حب المال نفسه ويستبد بها ، فيعمد الى التزلف كعادته ، طمعاً بشي يناله ، ويذهب به الى التملق الى ان يفضل ممدوحه على عدنان ومن ولد عدنان ، بل يفضل شسع نعل الممدوح على اشرف القبائل العربية .

بل شسع نعلك عدنان وما ولدت بل انت وحدك عندي كل انسي[1]

ولا ادري اين يضع النبي ، ومن هم من سلالته ، بل اين وضع الامـام المعز الذي يدعي وراثة اهـــل البيت وهم عدنانيون ، ولكن هو الطمع حرك لسان الشاعر فكان هذا الغلو في المدح وكان هذا التملق .

ولنا عليه في هذه القصيدة مآخذ ذوقية ذلك انه مـــدح ابا الفرج فوصفه بالهزال والضعف والخور وهذا قول اقرب الى الهجاء منه الى المدح قال :

---

١ ديوان ق ، ٦٠ .

ضع السلاح فهل حدثت عن رشأ في مشرفي صقيل او رديني
ما حال جسم تحملت السلاح به وانت تضعف عن حمل القباطي

لقد جعله رشأ ، وهذا ما توصف به المرأة دون الرجل ، ثم انه يطلب اليه ان يلقي السلاح وهو الكمي الشجاع وكأني بهذا القول يشبه قول الحطيئة في الزبرقان بن بدر

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

وفي هذا ابلغ الهجاء مما حمل حسان بن ثابت الانصاري على ان يقول لما سئل عن هذا القول .— ما هجاه ولكن سلح عليه .

وعندما توجه جيش المعز لفتح مصر بقيادة جوهر الصقلي ، كان ابو الفرج في جملة القواد ، فمدحه الشاعر في هذه المناسبة قائلاً :

حلفت بالسابغات البيض واليلب وبالاسنة والهندية القضب
لانت ذا الجيش ثم الجيش نافلة وما سواك فلغو غير محتسب
انت السبيل الى مصر وطاعتها ونصرة الدين والاسلام في حلب
واين عنك بارض سستها زمناً وازدان باسمك فيها منبر الخطب
ألست صاحب اعمال الصعيد بها قدماً وقائد اهل الخيم والطنب

****

ان لا تقد عظم ذا الجيش اللهام فقد شاركت قائده في الدر والحلب
فالناس غيرك اتباع له خول وانت ثانيه في العليا من الرتب
ايدته عضدا فيما يحاوله وكنتما واحداً في الرأي والادب
فليس يسلك الا ما سلكت ولا يسير الا على اعلامك اللحب

فقد سرى بسراج منك في ظلم وقد اعين بسيل منك في صبب

والشاعر هنا يعطى ابا الفرج اهمية كبرى في هذه الغزوة لفتح مصر، فيجعله ثانياً لجوهر ، بل ان جوهراً يعمل بما يشير عليه ابو الفرج، ويعود الشاعر ليجعل الممدوح مساوياً لجوهر فيقول :

جريتما في العلى جرى السواء معا فجئتما اولاً والخلق في الطلب
وانتما كغرارى صارم ذكر قد جردا او كغربي لهذم ذرب[1]

وقد عرف الشاعر رجلاً اخر كان عاملاً للمعز على برقة، اسمه افلح الناشب، وهو الذي قد وطأ البلاد ، واستعمل الجهاد ، لمن خالف المعز من البربر وغيرهم[2] فمدحه بقصيدة واحدة يصفه فيها بالعلم والكرم حتى ان الناس

يردون جمة علمه ونواله فكأنهم حيث التقى البحران

ويذكر اخلاصه للمعز فيقول :

واذا الذين اعدهم شيعـاً اذا قيسوا اليه كعبد الاوثان
نضحت حرارة قلبـه بمودة ضربت عليها سرادق الايمان[3]

هذا هو مدح ابن هانى لمن كانوا عوناً للمعز ، وزراء او عمـالاً او قادة ، وقد رأينا كيف ان الشاعر يستعمل احياناً من الغلو ما يجعل الشعر مقيتـاً ، ومن التعابير الاسماعيلية ما يجعلها مغلقة على الافهـام ، او غير مقبولة ، وقد بقي علينا ان نرى مدحه للمعز ، علنا نستخلص لهذا صورة ، واود ان اشير

---

١ ديوان ق ، ٥ ، ١٠٢ .
٢ تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني ص ٥٠ مقدمة .
٣ ديوان ص ، ٤١٦ .

قبل ذلك اشارة خاطفة الى ان ابن هاني لا يتوكأ على الآيات القرانية في مدح هؤلاء ، مما سيجعلنا نستطيع التمييز بين مدحه للمعز ومدحه لغيره .

الشاعر والمعز لدين الله الفاطمي

اقترن اسم ابن هاني الاندلسي باسم المعز الفاطمي ، ذلك لانه كان شاعره اراد ان يفاخر به شعراء المشرق وكنيـة المعز « ابو تميم » واسمه « معد بن المنصور ، ابي الطاهر اسماعيل بن القائم بامر الله ابي القاسم محمد بن المهدي بالله ابي محمد عبيد الله بن محمد ابن ابي الحسن بن احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن علي بن ابي طالب [1] وانهذه نسبتهم التي ينتسبون اليها ، والنسابون ينكرون ذلك ، وسيما اهل بغداد ، ولاسيما المرتضي اخي الشريف الرضي [2] ولست ابيح لنفسي ان اناقش صحة نسب المعز او عدم صحته ، لان هذا لا يهمني في هذا البحث وان انقسم الناس حول ذلك بين مؤيد وخصم ، وكل ما نود معرفته هو ان المعز تولى الامر بعد ابيه سنة ٣٤٢/٩٥٣ ، وانه رحل الى المشرق بناء على دعوة تلقاها من بعض قواد مصر [3] سنة ٣٦١/

---

(١) شرح لمحـة من اخبار المعز – مخطوط في الاسكوريال – رقم ١٧٦١ ، مجهول المؤلف ص ٢

(٢) شرح لمحة من اخبار المعز – مخطوط في الاسكوريال – رقم ١٧٦١ ، مجهول المؤلف ص ٣

(٣) شرح لمحة من اخبـار المعز – مخطوط في الاسكوريال – رقم ١٧٦١ ، مجهول المؤلف ص ٤

٩٨١ وتوفى سنة ٣٦٥/٩٧٥ [٤] وسنة ثلاث وستين وثلاثمائة [٥] وليس هذا الا من قبيل الاخبـــار ، اذ المهم هو ان نعرف ان وفاة ابن هاني قد سبقت وفاة المعز ، وان الشاعر لم يصحب سيده الى مصر ، بل توفي في الطريق عندما كان يحاول اللحاق به ، بعد أن استخضر عياله ، وقد رأينا فيما سبق ان اتصال ابن هاني بالمعز قد تم حوالي سنة ٣٤٤ او ٣٤٥/ ٩٥٥ – ٩٥٦ على ابعد تقدير كما استطعنا ان نستدل على ذلك من بعض قصائده في الخليفـة التي حوت بعض الاشارات الى احداث تاريخية معينة وخلوها من الاصطلاحات الاسماعيلية ، الا من مبالغات مألوفة لدى الشعراء .

ومن يتصفح ديوان بن هاني وهو كما نعلم شاعر المعز الخاص ، يعجب اذ لا يقع فيه الا على احدى وعشرين قصيدة من اصل ستين قصيدة في الديوان الذي نشره للشاعر ، زاهد علي ، مع بضع قصائد اخرى نسبت اليه وبعض المقاطع في موضوعات مختلفة ، ونحن كنا نؤمل ان يكون اتصال الشاعر بالمعز ، سبباً في انصراف الشاعر الى المعز انصرافاً كلياً وهو قدعاش في افريقية ما يقرب من ثماني عشرة سنة ، ولكن ارى ان الشاعر لم يشبعه عطاء المعز فراح يتطلب المال من مظانه ، فمدح من مدح سعياً وراء الرزق وتحقيق رغبات نفسه .

ونحن في درسنا مدح الشاعر للمعز يهمنا ان نتعرف الى افكاره وتعابيره في تطور هذه الافكار وتلك التعابير ، اذ ان بعض قصائده – كما المحت سابقاً – تخلو من مظاهر تفكيرية تسترعي الانتباه ، ومن اصطلاحات تستلفت النظر ،

---

(٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ج ١ – ٢٢٨

(٥) ابن زرع : الانيس المطرب القرطاس في اخبار ملوك المغرب ومدينة فاس ، مخطوط في المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد – رقم ١٨٩٤ ص ٦٧

وتدعو الى التعجب ، الا من مبالغات لا ننكرهـا على الشعراء ، وقد عمدت تسهيلاً لهذه الغاية الى تأريخ مدائحه في المعز بقدر الاستطاعة معتبراً ان ذلك يسهل لي السبيل الى تتبع افكاره في تطورها ، مستعيناً على ذلك بالتاريخ ، اذا امكن الوصول الى تعيين حدث لم يهمله التاريخ .

لقد مدح ابن هاني المعز بقصيدة مطلعها :

اقول دمى وهي الحسان الرعابيب ومن دون استار القباب محاريب

وفي هذه القصيدة يشير الى معارك خاضها جيش المعز مع الروم وانكسار بني امية امام جيش المعز الذي اغار على بلادهم .

لقيت بني مروان جانب ثغرهم وحظهم من ذاك خسر وتتبيب

وقد وقعت هذه المعركة في سنة اربع واربعين وثلاثماية ٣٤٤ – ٩٥٥ عندما اغزى المعز عامله على صقلية ساحل المرية [٢] ، ونتابع قراءة القصيدة فلا نقع فيها على فكرة نستنكرها فهو يمدحه ويصفه بالشجاعة والكرم وشدة البأس وطيب المحتد .

ولا مـدح الا للمعز حقيقـة يفصـــل درا والمديح اساليب
نجار على البيت الامامي معتل وحكم الي العدل الربوبي منسوب
يصلي عليه اصفر القدح صائب وعوجاء مرنان وجرداء سرحوب
واسمر عراص الكعوب مثقف وابيض مشقوق العقيقة مخشوب

****

ولم ار زواراً كسيفك للعدى فهل عند هام الروم اهل وترحيب

---

١ ابن خلدون تاريخ ج ٤ – ٦٤ .

اذا ذكروا آثار سيفك فيهم فلاالقطرمعدود ولا الرمل محسوب

ونعجب لابن هاني كيف يتصنع هذا الموقف للمعز الذي يخوض غمار الحرب ضد الروم ، ويضرب بسيفه هاماتهم ، حتى انهم لو ارادوا ان يحسبوا اثار سيفه فيهم لاعياهم ذلك ، لكثرة هذه الآثار التي لا تحصى ، ثم يصف جيشه واسطوله بسفنه العديدة التي

تشب لها حمراء قان أوارهـــا سبوح لها ذيل على الماء مسحوب

ريعيب على بني اميه تقاعسهم عن الدفـاع عن اراضيهم ضد الغزاة ويعيرهم بالتخاذل ويتطرق الى بني العبـاس في الشرق فيرميهم بالقعود عن نصرة الدين وتخاذلهم امام جيوش الروم التي تهـاجم الثغور في البلاد الاسلامية وصرفهم اوقاتهم في الشرب والسماع .

ونوم بني العبـاس فوق جنوبهم ولا نصر ألا قينـة واكاويب

لذا لا يبقى الا المعز وحده يدافع عن الدين ، ويحفظ حرمة المسلمين ، ويرد عادية المغيرين ،

ولا عجب والثغر ثغرك كله وانت ولي الثأر والثأر مطلوب
وانت نظام الدين وابن نبيه وذو الامر مدعو اليه فمندوب

واعجب ما في هذه القصيدة انك لا تقع فيها على بيت واحد تشتم منه رائحة العقيدة الاسماعيلية ، الا بيتاً واحداً لا ارى فيها كبير غناء هو

ولله علم ليس يحجب دونكم ولكنه عن سائر الناس محجوب [٢]

---

٢ ديوان ق ٥ .

واحب ان اشير هنا ألى ان الشيعة ، بكامل فرقهم، يعتقدون بعصمة الامام، وهم يرون العصمة للامام كما يرونها للانبياء[1] ومعنى ذلك انه لا يعصى الله مـــا امره : ولا يفعل ما قبح ، حتى قبل بعثه،ولا يخطيء في شيء ، وهو في سلوكه يصدر عن هدى وبصيرة ، واما الآيات التي تدل بظاهرها على وقوع المعصية منهم[2] فلا بد من تأويلها بما يتفق مع بلاغة الكتاب وإعجازه[3] . ويذهب الاسماعيلية الى ان محمدا بن اسماعيل اظهر العلوم ، وبين الحقائق وكشف لخلصائه منها السر المكتوم ، فظهرت منه حقائق ومعجزات ، ودلائل وايات[4] والشيعة يرون وجوب الاخذ عن العترة ، لانهم ادري بفهم اسرار القرآن ، ظاهره وباطنـــه ، ويذهب الاسماعيليون الى القول بقدرة المهدي – وهو احـــد ائمتهم ومؤسس دولتهم – على الاخبار بالغيب والتنبوء بالاحداث ... ويزعمون ان الامام عليا، ترك كتابا صغيرا فيه ما كان وما يكون ، وان الائمة من بعده اعتمدوا عليه ، وسموه الجفر[5]، وفي بيت ابن هاني السابق دلالة على ان علم الغيب غير محجوب عن الائمة ، وهو محجوب عن غيرهم ، وهذه الفكرة لا تبيح لنا ان نعتقد بان ابن هاني كان على اطلاع واسع على كل عقائد الشيعة ، بل ان هـــذه الفكرة فكرة معروفة عند الشيعة وان كانوا من ذوى الثقافة القليلة .

وفي قصيدة اخرى لاحقة في التاريخ الى السابقة ، يشير الى اخفاق بني امية في النزول على الساحل الافريقي ردا على الغزوة التى ذكرت في القصيدة المتقدمة اذ جوابا على هجوم عامل المعز على ساحل المرية اخرج الناصر ،صاحب الاندلس،

---

(١) هاشم معروف ، عقيدة الشيعة الامامية ص ٨٩ .
(٢) و (٣) هاشم معروف ، عقيدة الشيعة الامامية ص ٧٩ .
(٤) حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف ، عبيد الله المهدي ، ملحق رقم ٢ ص ٣٢٤
(٥) احمد امين ، المهدي والمهدية ، ص ٣٢ .

اسطوله الى ساحل افريقية ، مع غالب مولاه ، فمنعهم العساكر ، واقلعوا ثم عادوا سنه خمس واربعون في سبعين مركبا ، فاحرقوا مرسى الخزر ، وعاثوا في جهات سوسة[1] والشاعر يذكر اخفاق بني امية في النزول على الساحل الافريقي

خابت امية منه بالذي طلبت كما يخيب برأس الاقرع المشط
وحاولوا من حضيض الارض اذ غضبوا كواكبا عن مرامي شاوها شحطوا

ونقرأ هذه القصيدة بيتاً بيتاً فلا نقع فيها على ما يدل على عقيدته الاسماعيلية ، بل نرى مدحاً مألوفاً ، من وصف لشجاعة الممدوح وكرمه ، وحكمته .

تالله لو كانت الانواء تشبهه ما مر بؤس على الدنيا ولا قحط
امام عدل وفى في كل ناحية كما قضوا في الامام العدل واشترطوا
لا يغتدى فرحاً بالمال يجمعه ولا يبيت بدنيا وهو مغتبط
يزرى بفيض بحار الارض لو جمعت بنان راحته المغلولب الخمط
الناس غيركم العرقوب في شرف وانتم حيث حل التاج والقرط
يا افضل الناس من عرب ومن عجم وآل احمد ان شبوا وان شمطوا
ليهنك الفتح لا أني سمعت به ولا على الله فيما شاء اشترط
ولست اسأل الا حاجة بلغت سؤل الامام بها الركاضة النشط[1]

وهكذا يختتم قصيدته بسؤال الامام حاجة لا يجهلها الامام : لانه قد تبلغها من الرسل المسرعين ». وجلى ان لا اثر فيها للتعاليم الاسماعيلية ولا لعقيدته ، وفي قصيدة غير هذه ، خفيفة وزنا ، جميلة معنى ، وسايمة مبنى ، لا تظهر فيها ايضا عقيدته الاسماعيلية ، بيد ان هناك فكرة عامة عن العقيدة الشيعية وفيها يؤيد

---

(١) ابن خلدون ، تاريخ ج ٤ - ٤٦

المعز في طلب حقه بالخلافة ، اذ ان الخلافة حق من حقوق الفاطميين، لانهم احفاد النبي ، وابناء وصيه ، وطاعتهم واجبة على الناس

افيقوا فما هي الا اثنتان امـا الرشـاد وامـا العمى
لكـل بني احمـد فضله ولكنـك الواحـد المجتبى
وما لا يرى من جنـود السما ء حولـك اكثر ممـن يرى
ليعرفك من انت منجـاته اذا مـا اتقى الله حق التقى
كان الهدى لم يكن كائنـا الى ان دعيت معـز الهـدى
ولم يحكك الغيث في نائل ولكـن راى شيمـة فاقتـدى
شهدت حقيقة علم الشهيـد بانـك اكـرم من يرتجـى
فلو يجد البحر نهجـا اليك لجاءك مستسقيا من ظما
الى مثل جدواك تنضي المطي ومن مثـل كفيـك يرجى الغنى

وهذه القصيدة كاللتين سبقتا ، خالية من الاصطلاحات الاسماعيلية ، ومظاهر العقيدة الباطنية ، مما يجعلنا نقدر ان ابن هاني لم يكن متعمقا في التعاليم الباطنية يوم خرج من الاندلس ، وانه تلقاها تدريجا في المغرب ، ونستمع اليه في قصيدة رابعة فلا نصطدم بما يلفت انظارنا فليس هناك الامدح مألوف عند الشعراء كقوله

كل اسـرار راحتيـه غمام مستهـل بوابـل غيـداق
فاذا مـا سقـاك من ظما جاوز حد السقيـا الى الاغراق

---

(١) ديوان – ق – ٢٦
(٢) « – ق – ٥٨
(٣) ديوان – ق – ٣٥
(٤) هاشم معروف – عقيدة الشيعة الامامية ص ٢٣٥
(٥) « « « « « ص ٢٣٨

في يديه خزائن الله في الار ض ولكنهـــا على الانفـــاق

ومهما حاولت ان تتلمس مظهرا من مظاهر العقيدة الاسماعيلية في هذه القصائد ، فلن تجد الى ذلك سبيلا ، وفي قصيدة اخرى نجد صدى لتشيعه ، ولكن ليس لعقيدته الاسماعيلية ، اذ يقتضي البحث ان نفرق بين التشيع وهوحب آل البيت وتفضيلهم على غيرهم ، واعتبارهم احق من غيرهم بالخلافة ،لانهم الاصلح والافضل وبين العقيدة الاسماعيلية الباطنية التي تقول بها الشيعة الامامية ، ولهم عقائـد اخرى لا ترتكز على الاسس الاسلامية ، ولا صلة لهم بعقائد الشيعة الامامية ؛ وهم عند الشيعة اسوأ حالا من الفلاة والخوارج ومن الظلم نسبتهم الى الاسلام ،فضلا عن اتشيع لاهل البيت[٥] . في هذه القصيدة نرى نفحة شيعية كالتي نجدها عنـد قدماء شعراء الشيعة ، وفي هذه القصيدة يقول ابن هاني

شهدت لاهل البيت ان لا مشاعر ذا لم تكن منكم وأن لا مناسك
وان لا امام غير ذي التاج تلتقي عليه هوادي مجـــده والحوارك
له نسب الزهراء دنيـــا يخصه وسالف ما ضمت عليه العواتك
امام رأي الدنيـــا بمؤخر عينه فمن كان منهـا اخذاً فهو تارك
وما كنه هذا النور نور جبينه ولكن نور الله فيهـــا مشارك

****

ترد الى الفردوس منكم ارومـة يصلي عليكم ربكم والملائك
ثنائي على وحي الكتاب عليكم فلا الوحي مأفوك ولا انا آفك

ثم يعرض ببنى امية الذين نقموا عليه تشيعه ، وحاولوا قتله ، فهرب والتجأ الى المعز يحتمي به ، كما يحض المعز على المطـالبة بثأر الحسين ، لاستعادة الحق الذي سلبته بنو امية من اصحابه الشرعيين ، من احفـاد رسول الله ، وابناء

وصيه ، وبعد ذلك يستجدي كعادته .

فحمل وريدي منك صقل صنيعة فاني لمضبور الفرا متلاحسك
ابعد التماحي التاج ملء محاجرى يسلوك اديمي فم الدهر لائك
خمول واقتار وفي يدك الغنى فمحيا فاني بين هاتيك هالك [1]

ولا اعجب لهذا السلوك الذي اتبعه ابن هاني في الدور الاول من اتصاله بالمعز ، يوم لم يكن بعد قد تعمق في فهم العقيدة الاسماعيلية ، وحيث لم يكن له من هدف غير كسب المال واستدرار العطاء ، وكل ما يفعله ايما هو محاولات لتحريك اريحية الممدوح للعطاء ، ومع ان في هذه القصيدة مسحة من التشيع ، فليس فيها اي اثر للتعاليم الاسماعيلية التي — — كما اعتقد لم تكن بعد قد تسربت تماماً الى نفس الشاعر وعقله وما يحسها احساساً يتجاوب مع نفسيته وتفكيره . وثمة شيء اخر نلاحظه في هذه القصائد هو قلة الاستعمال للايات القرانية وعدم استغلال الشاعر لبعض المعاني القرانية ، ليطلقها على ممدوحه .

لقد اطلقنا على هذا الدور الطور الاول الذي لم تظهر فيه اثار التعاليم الاسماعيلية ، وما كان للشاعر بد من ان يمر بهذا الطور ، حتى يثقف بالثقافة الاسماعيلية ويتشبع بتعاليمها ، مع العلم بان فكرة التشيع بمعناه الاصيل قديمة عند الشاعر ، بيد ان معرفته بالتعاليم الاسماعيلية الباطنية ، وتاميل ظاهر الكتاب بما يتثق وغاية ناشري هذا المذهب ، كانت حديثة عنده ، ذلك لان هذه التعاليم لا يمكن اعطاؤها للمريد الا بعد ان يتاكد المشرف من صحة عقيدة المريد ونلاحظ ان تطور ابن هاني العقدي لم يكن سريعا ، فقد راينا ان اتصاله

---

[1] ديوان ق ، ٣٧ .

بالمعز كان في حدود سنة ٣٤٤ ـ ٩٥٥ ثم انه في سنة ٣٤٨ ـ ٩٥٩ يمدح المعز ويهنئه بانتصار قائده جوهر ، ويصف هدية هذا الى الخليفة ، وخاصة الخيول التي تهدى الى خير هاشم .

الا انها تهدى الى خير هاشم وافضل من يعلو جوادا ومنبرا

ثم يذكر جوهر ويمتدحه بما هو اهل له ويقول للخليفة

هو الرمح فاطعن كيف شئت بصدره فلن يسأم الهيجا ولن يتكسرا
لقد انجبت منة الكتائب مدرها سريع الخطى للصالحات ميسرا

ويختمها بامتداح المعز بالكرم

فانك لم تترك من الارض جاهلاً وانك لم تترك على الارض معسرا
الا انظر الى الشمس المنيرة في الضحى وما قبضته او تمد على الثرى
فاثقب منها نار زندك للقرى واشهر منها ذكر جودك في الورى [١]

وليس في مذه القصيدة اشارة الى ما يعتقده في المعز مما تعلمه العقيدة الاسماعيلية بالنسبة للامام

وننتقل الى قصيدة اخرى يقال عنا انها اول قصيدة مدح الشاعر بها المعز ، ولست ارى هذا الراي لسببين مهمين في نظري، اولهما انه يشير في هذه القصيدة الى فقد الامويين رجلهم ، ويحض المعز على اغتنام الفرصة ، ونحن نعلم ان رجل الامويين في ذلك الوقت كان عبد الرحمن الناصر الخليفة الاموى الذي توفي سنة ٣٥٠ ـ ٩٦١ ، في هذا يقول الشاعر

---

(١) ديوان ق ٢٣

لبسوا معائبهم ورزء فقيدهم كاللابسات على الحداد مسوحا

والثاني هو ظهور اثار التعاليم الاسماعيلية جلية واضحة ، وما كنا رأينا لها من قبل اثرا ، ولذا لا يمكننا ان نقبل هذ القول

ولنستمع بعد ذلك الى الشاعر يقول في مدح سيده ، ولنلاحظ الافكار الجديدة التي لم نألفها من قبل عنده

حجت بنا حرم الامام نجائب ترمي اليه بنا السهوب الفيحا
فتمسحت لمم به شعث وقد جئنا نقبل ركنه الممسوحا

ويتابع على هذا النحو ، حتى اذا استيقظت في نفسه التعاليم الأسماعيلية ، راح يشرك ممدوحه بالصفات التي يطلقها ظاهر الدين على الله ويقول

ندعوه منتقما عزيزا قادرا غفار موبقة الذنوب صفوحا

وهذا شيء جديد بالنسبة لما الفناه من قبل عند الشاعر ، ويتابع قوله في مدح المعز

اوتيت فضل خلافة كنبوة ونجي الهام كوحي يوحى

وفي اعتقاد الاسماعيلية ان الامامة كالنبوة ، وأن الائمه يجمعون عندهم بين الرتبتين[٢] وذهب الى ان الامام معصوم حتما على حين لا يعصم غيره حتى الانبياء انفسهم[٣] ، والخليفة في نظر ابن هاني هو خليفة الله ومناره وكتابه المشروح.

اخليفة الله الرضى وسبيله ومناره وكتابه المشروحا

---

(٢) حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف: عبيد الله المهدي ص ٢٧.
(٣) حسن ابراهيم حسن الطه احمد شرف عبيد الله المهدي ص ٢٨٣ .

ويذهب به الغلو مذهبا لم نالفه عنده في مدائحه الاول ، فاذا المعزذات لا تدرك حقيقتها ، تحدثت عنها فاتحة الكتاب ، تراه العيون ، ولا تدركه الافهام ولا الظنون ، صوره الله من الملكوت ، ونفث في هذه الصورة علما ، فكان الروح ، وما جاء القرآن الا مدحا له . هذه الافكار الجديده هي من التعاليم الاسماعيلية القائلة بحلول الله في ذات الامام ، لذا لا نعجب اذا راينا ابن هاني ، وهو شاعر الاسماعيلية يقول في الامام

ماذا نقول جللت عن افهامنا حتى استوينا اعجما وفصيحا
نطقت بك السبع المثاني السنا فكفيتنا التعريض والتصريحا
وجد العيان سناك تحقيقا ولم تحط الظنون بكنهه تصريحا
صورت من ملكوت ربك صورة وأمدها علما فكنت الروحا
شهدت بفخرك السماوات العلى وتنزل القرآن فيك مديحا [1]

ونحن نرى الشاعر الان يجعل الخليفة فوق مصاف الانبياء ،وحتى من يرى الشاعر ان الخليفة من نسله . وهو يجعل اتباع الامام، والايمان به سببامن اسباب الخلاص والفوز بالجنان ، فهو حوض الشفاعة الذي اباح له الله ان يشفع بمن يريد

هدى واعتصاماقبل تطمس اوجه تشاه بلعن اللاعنين وتمسخ
معز الهدى لله حوض شفاعة يسلسل تحت العرش ريا وينفخ [2]

ولسنا نشك في ان الاسماعيلية بخاصة والشيعة بشكل عام، يعتقدون بان الامام سبب نجاة الذين يعتقدون به . وابن هاني يقول في قصيدة اخرى انه حاول ان يعرف

---

(١) ديوان ق – ٩
(٢) « « ١١

حقيقة المعز فلم يستطع ان يهتدي الى تحديده اوتكييفه ، وفي هذا اشراك للمعز بصفات الله

اتبعته فكري حتى اذا بلغت غاياتها بين تصويب وتصعيد
رأيت موضع برهان يبين وما رأيت موضع تكييف وتحديد
وكان منقذ نفسي من عمايتها فقلت فيه بعلم لا بتقليد [٣]

أليس في هذا القول دليل على ان الشاعر لم يكن مهتديا قبل ان يعرف المعز ويؤمن به ، ويعلم حقيقة العقيدة الاسماعيلية في الامام ، حتى اذا عرف كل هذا . عد نفسه منقذا من الضلال . ثم ان في هذه القصيدة اشارة الى معركة مع الروم انتصر فيها جيش المعز ، فاحرقوا واغرقوا قطعا من اسطول الروم وذلك في وقعة عرفت بوقعة المجاز حدثت سنة ٣٥٤ – ٩٢٥ [٤] وهذا تاريخ القصيدة ، وفي هذه السنة ذاتها وردت رسل الروم على المعز ، تعرض عليه الجزية والصلح فمدحه الشاعر وهنأه بذلك ، وقال ، ان الله الذي ارادك خليفة ، جعل القضاء طوع بنانك ، وسخر لك البر والبحر والجواري المنشآت فيه كالاعلام ، وارسل لك جنودا من السماء لا ترونها وقفت خلف الصفوف ردودا ، وسخر لك الرياح الذاريات تجري بامرك ، ومع ان هذه قيلت في زمن كان قد ظهرت فيه عقيدته جلية منعكسة على شعره فانه لا يبدو فيها غلوه الذي عهدناه في السابق وكاني به اراد ان لايطلع الروم على حقيقة عقيدة الاسماعيلية بالامام، فتجنب ما يدل على الغلو المقيت وتلطف وتستر ، وكان ان قال

وان الذي سماك خير خليفة لمجرى القضاء الحتم حيث تريد

---

(٣) ديوان ق – ١٢
(٤) ابن خلدون تاريخ ج ٤ – ٤٦

لك البر والبحر العظيم عبابه فسيان اغمار تخاض وبيد
ولله معا لا يرون كتائب مسومة تحدو بها وجنود
وان الرياح الذاريات كتائب وان النجوم الطالعات سعود[1]

وقد هنأه ايضا بقصيدة بهذا النصر ، وذكر ورود الرسل عليه يخبرونه به فخشع المعز لذلك فيقول

لو ابصرتك الروم يومئذ درت ان الآله بما تشاء كفيل

وبعد ذلك يقول فيه

ولقد اتيت الارض من اطرافها ووطأتها بالعزم وهي ذلول

فاستغل بذلك قول الله « او لم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها »[2] ثم يتابع قائلا

واستشعرت اجبالها لك هيبة حتى حسبنا انها ستزول
لا تعدمنك امة اغنيتها وهديتها تجلو العمى وتنيل
من يهتدي دون المعز خليفة ان الهداية دونه تضليل
من يشهد القرآن فيه بفضله وتصدق التورات والانجيل
والوصف يمكن فيه الا انه لا يطلق التشبيه والتمثيل
وارى الورى لغوا وانت حقيقة ما يستوي المعلوم والمجهول
والله مدلول عليه بصنعه فينا وانت على الدليل دليل[3]

---

(١) ديوان ق ١٣
(٢) قرآن كريم ، الرعد ، ١٣ ، ٤١
(٣) ديوان ق ، ٤٩

ومدحه بعيد هذا التاريخ فوصفه بالشجاعة والكرم والفضيله اذ هو قد

فرغ الاله له بكل فضيلة ايام ايات الكتاب تفصل

وهو ايضا

متقلد بيض الشفار صوارما منها نهاه ورايه والمنصل
فله الندى لا يدعيه غيره الا اذا كذب الغمام المسبل

وبعد ذلك يصفه الشاعر بما علمه من مزاياه الخاصة ، فيقول

اما العيان فلا عيان يحده لكن رواؤك في الضمير ممثل

وقد اخذ هذا المعنى من قوله تعالى «لا تدركه الابصار»[٤] وهذا يعني ان الشاعر يطلق على الخليفة ما وصف الله به نفسه ، اضف الى ذلك ان هذا الخليفة يأمر القضاء فيطيعه ، ويصرف القدر كيف يشاء

يجري القضاء بما تشاء فنازح ومقرب ومؤجل ومعجل
ولك الشفاعة كأسها وحياضها ولك المعين تعل منه وتنهل

ولا عجب في ذلك فالشاعر يعترف بان مهجته ترفض تشيعا للمعز

لي مهجة ترفض فيك تشيعا حتى تكاد مع المدائح تهمل[١]

وكيف لا ترفض تشيعا للامام وهو يعلم ان في اليوم المعاد

فكل امامي يجيء كانما على خده الشعرى وفي وجهه البدر

---

(٤) قرآن كريم ، انعام ٦ ، ١٠٣
(١) ديوان ق ، ٤٤

لذا يؤمن الشاعر بالامام ايمانا لا يحده عقل، ولا يكبح قيه جماح عاطفة ، اليس ان الامام هو صاحب الشفاعة والحوض ، والذي يعد مدحة كالمدح لله ؟ وهل من فرق بينهما كبير ؟ اليس ان الله يحل في الامام ؟ لذا يرى الشاعر انه

امام رأيت الدين مرتبطا به فطاعته فوز وعصيانه خسر
ارى مدحه كالمدح لله انه قنوت وتسبيح يحط به الوزر
ويا رازقا من كفه نشأ الحيا والا فمن امرارها نبع البحر [٢]

وتتجلى بوضوح عقيدة الشاعر بالامام من حيث انه سبيل الغفران به يتقرب الى الله فينجو المذنب ويثاب المحسن

وسالت رب البيت بابن نبيه وجعلتك الزلفى اليه فازلفا
وهربت منه اليه في حرمانه ادعوه مبتهلا واسال ملحفا
وكانني بك قد بلغت مآربي وقضيت من نسك المودع ما كفى [٣]

وهكذا نرى ان مدح ابن هاني للمعز في الطور الثاني ، امتاز بوضوح العقيدة واطلاق الصفات التي اطلقها الله على ذاته في القرآن على الامام ، بشكل ينم عن مخالفة لعقيدة السنة والشيعة الامامية ، كما يناقض ظاهر الدين وبساطته ،فالامام في نظر الشاعر

هو علة الدنيا ومن خلقت له ولعلة ما كانت الاشياء

وقد صاغ الله الامام

---

(١) ديوان ق ، ٢٢
(٢) ديوان ق ، ٣٠

من صفو ماء الوحي وهي مجاجة من حوضه الينبوع وهو شفاء
من ايكة الفردوس حيث تفتقت ثمراتهـا وتفيأ الافيـاء
من شعلة القبس التي عرضت على موسى وقد حارت به الظلماء
من معدن التقديس وهو سلالة من جوهر الملكوت وهو ضياء
من حيث يقتبس النهار لمبصر وتشق عن مكنونها الانبـاء
هـذا الشفيع لامة يأتي بها وجدوده لجدودها شفعاء
نزلت ملائكة السماء بنصره واطاعه الاصباح والامساء
والفلك والفلك المدار وسعده والغزو في الدأماء والدأمـاء
والدهر والايام في تصريفهـا والناس والخضراء والغبراء
ولك الجواري المنشات وؤحرا تجري بامرك والرياح رخـاء

وقد اخذ هذا من قوله تعالى « ومن آياته الجوارى في البحر كالاعلام »[1] او من قمله تعالى « وله الجواري المنشات في البحر كالاعلام »[2] وهذا اقرب لوجود كلمة منشات » في الآيه ، والبيت ثم يضيف الشاعر الى ذلك قوله

فعنت لك الابصار وانقادت لك الا قـدار واستحيت لك الانواء[3]

وهذا المعنى اخذه ايضاً من قوله تعـالى « وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما »[4] وباختصار فان هذه الصفات هي في نظر المؤمن البسيط

---

١ قرآن كريم : الشورى ٤٢-٣٢
٢ قرآن كريم : الرحمن ٥٥-٢٤
٣ ديوان : ق ١
٤ قرآن كريم : طه ٢٠ - ١١١

الآخذ بالظاهر لا يمكن اطلاقهـــا الا على الله ، ولا يمكن ان يشاركه فيها انسان .

وكثيراً ما يغلو ابن هاني في مدحه للمعز ، وانما يفعل ذلك لانه ابن اسماعيل الذي ادناه الله اليه وقربه ، فورثه المعز الذي يتوجه اليه الشاعر قائلاً :

وعلمت من مكنون علم الله ما لم يؤت جبريـلا وميكائيلا
لله منك سريرة لو اعلنت أحيا بذكرك قاتل مقتولا
لو كان اعطى الخلق ما أوتيته لم يخلق التشبيه والتمثيلا
لولا حجاب دون علمك حاجز وجدوا الى علم الغيوب سبيلا
لو لم تكن سبب النجاة لاهلها لم يغن ايمـان العباد فتيلا
لو لم تعرفنا بذات نفوسنـا كانت لدينا عالمـا مجهولا [٥]

ويتابع الشاعر وصفه للمعز بما يناقض بساطة الدين وظاهر العقيدة الاسلامية ، ولكن هذه النعوت تجيزها التعاليم الباطنية اذا اطلقت على الامام . وفي قصيدته التي مطلعها

هل من أعقـة عـالج يبرين ام منهما بقر الحدوج العين

يذهب الى القول بأن الله ما خلق العـالم الا بسبب المعز الذي كان علة هذا الكون ، وان لاجله تاب الله على آدم ، وفاء اليقطين على يونس فهو يقول به

هذا ضمير النشأة الاولى التي التي بدأ الآله وغيبه المكنون
من اجل هذا قدر المقدور في ام الكتاب وكون التكوين

---

٥ ديوان : ق - ٤١

وبذا تلقى ادم من ربه عفوا وفاء ليونس اليقطين

وبهذا يشير الى الاية الكريمة « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم »[1] وفي عجز البيت يلمح الى موضوع الاية « فنبذناه بالعراء وهو سقيم ، وانبتنا عليه شجرة من يقطين »[2] . وبعد ذلك يتابع كلامه متجهاً الى المعز بالخطاب ، قائلا

النور انت وكل نور ظلمة والفوق أنت وكل فوق دون
لو كان رأيك شائعاً في أمة علموا بما سيكون قبل يكون

. . .

الله يقبل نسكنا عنا بما يرضيك من هدى وأنت معين
فرضان من صوم وشكر خليفة هذا بهذا عندنا مقرون
فارزق عبادك منك فضل شفاعة واقرب بهم زلفى فأنت مكين[3]

واقرا قصيدته التي قالها في سنواته الاخيرة ، يوم كان المعز يتجهز للرحيل الى مصر لان الشاعر يرى ان مصر اصبحت تفخر بالمعز والاقطار تحسدها عليه.

ها ان مصر غداة صرت قطينها احرى لتحسدها بك الاقطار

والذي يهمنا في هذه القصيدة هو هذه الافكار التي يبلغ فيها ذروة الغلو الاسماعيلي ، واعتقد ان هذا يعود الى انه كان قد نضج تماماً ، وفهم العقيدة فهماً كاملا ، فاذا بالمعز يأمر الاقدار فتطيعه ، ويتصرف بها كيف يشاء ، وكيف لا

---

١ قرآن كريم : بقره ٢ – ٣٧
٢ قرآن كريم : الصافات ٣٧ – ١٤٦
٣ ديوان : ق – ٥٣

يكون ذلك وهو الواحد القهار الذي يتصرف بالكائنات

ما شئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار
وكأنما انت النبي محمد وكأنما انصارك الانصار
انت الذي كانت تبشرنا به في كتبها الاحبار والاخبار
هذا الذي ترجى النجاة بحبه وبه يحط الاصر والاوزار
هذا الذي تجدى شفاعته غدا حقا فتخمد ان تراه النار

ويتابع مديحه حتى نشعر اننا لسنا امام رجل عادي بل امام آله متأنس ، به يرجو الناس الخلاص والفوز، فهو احد ابناء فاطمة، وكل ابناء فاطمة له مكانته، وهو ملجأ الناس وكهفهم وحبيب الاله وخليفته في ارضه وابن الوصي ومن اهل الوحي والتأويل يستطيع ان يحرم او يحلل حتى ما احل الله او حرمه

ابناء فاطم هل لنا في حشرنا لجأ سواكم عاصم ومجار
انتم احباء الآله وآله خلفاؤه في ارضه الابرار
اهل النبوة والرسالة والهدى في البينات وسادة اطهار
والوحي والتأويل والتحريم والتحليل لا خلف ولا انكار
ان قيل من خير البرية لم يكن الا كم خلق اليه يشار
لو تلمسون الصخر لانبجست به وتفجرت وتدفقت انهار

وهنا يلمح الى الاية الكريمة «واذ استسقى موسى لقومه، فقلنا اضرب بعصاك الحجر»[1] او الاية : «واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك

---

١ قرآن كريم : بقرة ٢ ٦٠

الحجر »[2] ولا يكتفي الشاعر بهذه المعجزة ، بل يؤكد انهم لو كلموا ميتاً ، للبى وعاد الى الحياة

او كان منكم للرفاة مخاطب لبوا وظنوا انه انشار

ثم يعرض بالامويين وبالعباسيين ، ويطلب اليهم ان يردوا الحق الذي سلبوه من اصحابه الشرعيين ، وينتهي به المطاف الى الاقرار بان المعز لا يمكن ان يوصف بصفة ، او ان يحد بحدود

جلت صفاتك ان تحد بقول ما يصنع المصداق والمكثار

وما ذلك الا لان الله خصه بالقران وقد وصفه الله فيه ، فهل يستطيع شاعر بعد ذلك ان يبلغ مع هذا غاية

والله خصك بالقران وفضله واخجلتي ما تبلغ الاشعار[3]

وتتردد هذه الاوصاف في قصيدة اخرى بعث بها الشاعر وهو في المغرب الى المعز وهو في القاهرة ، وفيها تتجلى عقيدته بوضوح لا يحتمل الشك ولا غرابة في ذلك فقد قالها بعد نضج ووعي وادراك واذا الناس يغضون من ابصارهم عند هذا الخليفة العليم بسر الله والذي هو روح هدى في جسم نور

غدوا ناكسي ابصارهم[4] عن خليفة عليم بسر الله غير معلم
وروح هدى في جسم نور يمده شعاع من الاعلى الذي لم يجسم

---

٢ قرآن كريم : اعراف ٧ - ١٦٠
٣ ديوان ق - ٢٤
٤ راجع قرآن كريم - سجدة ٣٢ - ١٢

وهذا يرينا ان جسم المعز لم يعد مادة ترابية ، بل هو نور يمده شعاع لا ينقطع من الاعلى [٥] والنور لا يمكن ان يدخل في حيز ، ولا يكيف ولا يحد ، ثم ان بين هذا الامام وبين الله حبلا لا ينقطع

ومتصل بين الاله وبينـه ... ممر من الاسباب لم يتصرم
اذا انت لم تعلم حقيقة فضله ... فسائل به الوحي المنزل تعلم
فاقسم لو لم يأخذ الناس وصفه ... عن الله لم يعقل ولم يتوهم
ومدره غيب لا معنى تجارب ... ولابس علم لا معار تحلم

. . . .

إلا انما الأقدار طوع بنانه ... فحاربه تحرب او فسالمه تسلم

. . . .

لك الدهر والايام تجري صروفها ... بما شئت من حتف ورزق مقسم

ثم يهجو اهل العراق من العباسيين ، ويرميهم باللؤم ، ويعير العباسيين ، بضياع ملكهم ، ويذكر تقتيل ابناء علي على ايدي الامويين ، ويحضه على طلب الثار ويؤيد حقه بالخلافة ، ويعتذر باهله عن اللحاق به

ولولا قطين في قصي من النوى ... لما كان لي في الزاب من متلوم [٦]

هذه كانت طريقته في مدح المعز وتلك هي اوصاف الله التي جاءت في القران.

يتبين لنا من استعراضنا لمدح ابن هاني المعز ، ان ابن هاني ، بالنسبة لعقيدته ،

---

٥ راجع البحث عن الاسماعيلية « مبدأ الحلول »

٦ ديوان ـ ق ـ ٤٧

مر في طورين او دورين ، ففي الطور الاول نلاحظ ان الشاعر لم يكن بعد قد تثقف بالثقافة الاسماعيلية ، ولم يعرف حقيقة العقيدة ، ولذا لا نرى في مديحه في هذا الطور غلواً ، ولا نلحظ شيئاً جديداً من التفكير يصبغ اقواله ويلونها بلون غير مألوف عنده من قبل ، اذ اننا مطمئنون جداً الى انه كان شيعياً ، محباً لآل البيت ، يدافع عنهم بلسانه حتى « قبل ان ترفض مهجته فيهم تشيعاً » على حد تعبيره ، وفي الطور الثاني تظهر ملامح العقيدة الاسماعيلية في شعره ، حتى اذا قارب الاربعين من العمر ، كانت آثارها اشد وضوحاً في نفسيته وشعره ، فراح يطلق على المعز النعوت الالهية من قدرة ورحمة وعلم يدرك به الغيب ، ومشاركة في تصريف هذا الكون وتقسيم الارزاق ، والعفو عن المذنبين ، والشفاعة بمن يريد يوم الحساب ، وغير ذلك مما اختص الله به ذاته من صفات ، ومن كل هذا ترى ان مركز الامام يفوق مركز النبي ، ولا غرابة في ذلك اذا ما عرفنا ان العقيدة اتخذت الفلسفة اساساً للتفكير ، وراح اصحابها يقارنون بين الامام والنبي ، فكان محمد بن اسماعيل عندهم افضل الانبياء على الاطلاق ، لانه اتى بشريعة نسخ بها شريعة جده محمد -- كما يقولون -- ، فاباح ما حرم الله في الكتاب الذي انزل على محمد ، وحرم ما اباح بشكل وافق اهواء اتباعه ، وهم يعتبرون انه قد جمع بين النطق والامامة [1] ، ما لم يحصل للنبي ، لانه كان ناطقاً فقط ، وهذه الافكار تبدو بجلاء في شعر ابن هاني في الطور الثاني من اتصاله بالمعز .

وثمة شيء آخر أود ان اشير اليه ، هو ان ابن هاني يستغل كثيراً من الآيات القرآنية في الطور الثاني ويطاقها على المعز وقد اشرنا الى بعض ذلك في الابيات التي استشهدنا بها ، وهذا يدل على ان الشاعر كان متشبعاً من معرفة

---

١ حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف ـ عبيد الله المهدي ص٢٨٣

القرآن ، وخاصة بعد ان حل في المغرب حيث اخذ يتعلم معاني القرآن على الطريقة التي يعلمها علماء الاسماعيلية ، من تأويل لظاهر القرآن تأويلا يتفق واهواءهم ، فكان ان ترددت اصداء هذه التعاليم في شعره بشكل دعا الى الشك في عقيدة الشاعر الدينية ، فراح علماء السنة يكفرونه لغلوه الذي لا يجدون له تفسيراً وتأويلا ، وربما كان قد قتل لهذا السبب الذي يكفر معه صاحبه فقال صاحب **خزانة الادب** « ولولا الاطالة وهو نظم غير مقبول لاوردت كثيراً من نظم الذين كانوا يتساهلون في هذا النوع كابي نواس وابن هاني الاندلسي والمتنبي وابي العلاء ... الخ »[٢]

الصدق والاخلاص في مدح ابن هاني

نحن لا يمكننا ان نقول عن ابن هاني انه كان مخلصاً في مدحه صادقاً في قوله ، بالنسبة لغير المعز واما في المعز فالمسألة هي اننا نرى ان مدحه في الطور الاول لا نكاد نلمس فيه الاخلاص والصدق اللذين نأملهما في مدحه لهذا الخليفة لانه لم يكن بعد قد تشبع بالتعاليم الاسماعيلية واما في الطور الثـــاني فالصدق باد ، والاخلاص ظاهر ، والتفاني في سبيل الامام لا يحتاج الى برهان ، فكل اقواله دليل عليه . ثم اننا نرى ان الشاعر مـــا كان يبحث عن مثل اعلى تتجسم فيه صفات مثالية ، بل ارى انه كان يبحث عن المال ينفقه في سبيل عياله او على ملذاته ، فهو يمدح من يؤمل عنده خيراً ، ويرجو منه مالا ، وما كان يمدح لتجاوب الممدوح مع مثال اعلى يتصوره الشاعر ، وهذ ما يجعلنا نعتقد ان نفسية الشاعر لم تعرف العزة ولا الكرامة ، وما شعرت يوماً بالاباء الذي نحسه عند المتنبي ، فاندفع يتذلل في

---

٢ ابن حجة الحموي ـ خزانة الادب ص ٢٣١

مدحه تذلل من اضرعته الحاجة ، واضطرته الفاقة ، وهذا ما حمل كامل كيلاني على ان يقول : « ان مدح المتنبي يشعرك انه مدح كفء لكفء ، فاذا تملقهم فهو ند يتملق انداده [1] . واما مدائح ابن هانيء فتشعرك بانه فرد عادي ، كان اقصى امله ان يمدح الملوك ويتملقهم ، حاسباً ذلك غاية الشرف ونهاية الرفعة فلا غرو اذا رأيته متزلفاً ، فنيت شخصيته فيهم ، ورأيت المتنبي شامخ الرأس ، دالاً عليهم ، يمدحهم بما يمدح نفسه به ، ويرى نفسه بينهم ملكاً غير متوج بين ملوك متوجين [2] . اما انا فارى ان المثل الاعلى الذي طمح اليه المتنبي ووجده في سيف الدولة ، لم يكن لابن هاني مثله لذلك اكتفى بالاشياء المألوفة لدى الشعراء ثم انه لم تكن له نفسية المتنبي المترفعة ، لذلك راح يتزلف ويتذلل في سبيل الحصول على ما يريد من مال ، حتى بدت مدائحه وعليها مسحة من الانحطاط لدرك السائلين المعتفين .

بيد انه في الطور الثاني من اتصاله بالمعز نشعر بحماسه في تأييد الدعوة الفاطمية ، واخلاصه لذلك ، وهذا يعود الى تعمقه بالتعاليم الباطنية الاسماعيلية ، مما غير مستوى تفكيره ، وحد من طمعه حتى اننا لم نعد نقع على ما يدل على الحافه في السؤال ، مما كنا قد الفناه في الطور الاول وهذا شيء يعود الى ايمانه القوي بصدق دعوة الفاطميين ، والتصديق بالامام على الشكل الذي تصوره العقيدة ، فكان ان مدحه على الطريقة التي تحدثنا عنها في هذا الفصل .

---

١ كامل كيلاني ـ نظرات في الادب الاندلسي ص ١٧٥

٢ كامل كيلاني ـ نظرات في الادب الاندلسي ص ١٨٦

اثر العقيدة الاسماعيلية في شعر ابن هاني

كنا رأينا ان شعر ابن هاني في المعز يمكن ان يقسم الى طورين ، طور اول كان الشاعر فيه مقلا من المديح ، ويمتد هذا الطور من تاريخ اتصاله به حتى سنة ٣٥٠ — ٩٦١ ، وقد راينا ان هذا الشعر يكاد يخلو تماماً من كل ومضة تمت الى العقيدة ، بصلة ورددنا ذلك الى عدم تشبعه في هذا الطور من العقيدة ، وطور ثان ، هو الطور الذي اصطبغ فيه شعره بالتعاليم الاسماعيلية بشكل لا يدع مجالا للارتياب ، فاصبح مع هذا شاعر العقيدة لا ينازعه في هذه الرتبة منازع ، وراح يطلق على المعز من الاوصاف ، ما يجعل المسلم العادي ينظر اليه بشك وريبة . ونحن لم نشك ابداً في كون الشاعر شيعياً قبل ان يتصل بالمعز ،وقد ادلينا برأينا في هذا الموضوع سابقاً ، واشرنا الى الفرق الكائن بين التشيع الهادىء ، والاسماعيلية كعقيدة مفلسفة ، وابن هاني في الواقع يمثل دوره كشاعر لهذه العقيدة خير تمثيل ، حتى ان ديوانه ليعد صورة واقعية لهذه التعاليم ، يؤمن بها ، ويبشر بها داعياً الناس لاعتناقها ، ولذا اصطبغ شعره بنظر المسلمين العاديين ، بصبغة الغلو الذي يكفر معه صاحبه لخروجه عن حد المعقول ، اذ انه يعتبر الامام علة هذا الوجود ومن اجله اوجد الله هذا العالم.

هو علة الدنيا ومن خلقت له ولعلة ما كانت الاشياء

واعتبار الامام علة هذا الوجود ، اشراك له مع الله الذي يعتبر علة العلل ، وهو موجد هذا الكون المعلول للعلة الاولى ، وهم يفسرون هذا القول تفسيراً فلسفياً اشرنا اليه في المقدمة عند الحديث عن الاسماعيلية ، ويعتبر ان الامام مخلوق يختلف عن بقية البشر لانه جبل

من صفو ماء الوحي وهو مجاجة من حوضه الينبوع وهو شفـــاء
من ايكة الفردوس حيث تفتقت ثمراتها وتفيـــأ الافياء
من شعلة القبس التي عرضت على موسى وقد حارت به الظلماء
من معدن التقديس وهو سلالة من جوهر الملكوت وهو ضياء[1]

فهل من انسان يشبه هذا الامام الذي صاغه الخالق من نوره الذي رآه موسى « فقال لاهله امكثوا . اني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى ، فلما اتاها نودي يا موسى . اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى[2] وهو الى ذلك يتصرف بالاقدار ويتحكم بالمصائر وتعنو له الابصار التي ما عنت الا للحي القيوم حتى ان الشاعر يحار في كنه هذا الخليفة ، لانه لا يتوصل الى فهم حقيقته ، ولا يدري كيف يحده .

رأيت موضع برهان يبين وما رأيت موضع تكييف وتحديد[3]

ولا غرابة بذلك ، فقد اعترف ابوه المنصور بفضله اذ

رأى ان سيسمى مالك الارض كلها فلما رآه قـــال : **ذا الصمد الوتر**

والصمد صفة من صفات الله يطلقها ابن هاني على المعز الذي ورث العلم الربوبي

ولكن موجوداً من الاثر الذي تلقاه من حبر ضنين به حبر

---

١ ديوان : ق – ١
٢ قرآن كريم : ٢٠ – ١٠ – ١٢
٣ ديوان : ق ١٢

وكنزا من العلم الربوبي انه هو العلم حقاً لا القيافة والزجر [1]

انه يعلم بعلم غير علم البشر ، هو علم الله الذي وهبه للائمة ، يتوارثونه ، ويشاركون الله بمعرفته ، حتى ان مشيئة الامام هي مشيئة الله ، لان الامام هو « الواحد القهار »

ما شئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار

والائمة يحلون ويحرمون والمعز كذلك يحل ويحرم لانه امام

اهل النبوة والرسالة والهدى في البينات وسادة اطهار
والوحي والتأويل والتحريم والتحليل لا خلف ولا انكار [2]

ثم ان علم الامام هو من مكنون علم الله

وعلمت من مكنون علم الله ما لم يؤت جبريلا وميكائيلا [3]

بامره يجري القضاء كما يشاء

يجري القضاء بما تشاء فنازح ومقرب ومؤجل ومعجل [4]

وجسم هذا الامام من نور ، وروحه من هدى ، يمده الله بشعاع لا ينقطع ولا يجسم

---

١ ديوان – ق – ٢١
٢ ديوان – ق – ٢٤
٣ ديوان – ق – ٤١
٤ ديوان – ق – ٤٤

وروح هـدى في جسم نور يمده شعـاع من الاعلى الذي لم يجسم
ومتصل به الآله وبينـــه ممر من الاسباب لم يتصرم [٥]

والله لم يخلق هذا الكون الا لاجل المعز ولم يتب على آدم الا بسببه

هذا ضمير النشأة الاولى التي بـدأ الآله وغيبه المكنون
من أجل هذا قدر المقدور في ام الكتاب وكون التكوين
وبـذا تلقى ادم من ربه عفواً وفاء ليونس اليقطين

والشاعر يرى ان الكتاب يجب تأويله ولذا يحمل على الذين يأخذون بظاهره

ماذا تريد من الكتاب نواصب وله ظهور دونهـا وبطون

وليس هؤلاء الناس غير عبيد للمعز فهو يرجوه ان يشفع بعبيده

فارزق عبادك منك فضل شفاعة واقرب بهم زلفى فانت مكين [٦]

هذه هي نظرة الشاعر الى الامام ، وهي صدى للتعاليم الباطنية الاسماعيلية ، وهي في اصولها اسلامية ولكنها في فروعها وغاياتها غريبة عن الاسلام ، وعندما تتمكن هذه التعاليم من نفسية الشاعر ، لا يستطيع ان يحتفظ بهـــا للمعز بل ينقلها الى غيره ، فهو عندما يمدح يحيى بن علي بن حمدون اخا جعفر يقول له

انت الورى فاعمر حياة الورى باسم من الدعـــوة مشتق [١]

---

٥ ديوان – ق – ٤٧
٦ ديوان – ق – ٥٣
١ ديوان – ق – ٣٦

فصدر البيت تعبير اسماعيلي خـــالص يجب ان يقصر على الامام وكذلك يقول في هذا ايضاً

ولقد بعدت عن الصفات وكنهها ولقد قربت فكنت غـير بعيد[٢]

وهذا شيء مألوف في مدحه للمعز ومن صميم العقيدة الاسماعيلية .

وعلى كل فابن هاني هو شاعر الاسماعيليين الوحيد في عصره لا يباريه في هذه الحلبة مبار ، وديوانه حافل بهذه التعاليم ، بيد ان المعري لم يره مخلصاً في معتقده ، فقال عنه : « وفي الناس من يتظاهر بالمذهب ولا يعتقده ، يتوصل به الى الدنيا الفانية ، وهي اغدر من الورهاء الزانية ، وكان منهم في المغرب رجل يعرف بابن هـاني وكان من شعرائهم المجيدين ...[٣] ولست ارى رأي المعري بالنسبة لكل شعر ابن هاني لان شعره كما راينا مر بطورين وهو في الطور الثاني ظاهر الاخلاص للمعز كما تقضي بذلك العقيدة ، ولم يكن في الطور الاخير يبغي الدنيا وحدها لاننا لا نستطيع ان نجرده من هذا الميل ، بل كان ايضاً يندفع في غلوه في مدحه بدافع من العقيدة وحدها ، كما يدل على هذا الراي الاختلاف البين بين نهجيه في الطورين من اتصاله بالمعز .

---

٢ ديوان – ق – ١٧

٤ المعري – رسالة الغفران ج – ١ – ٦٢

الفصل السادس

الغزل عند ابن هاني

اذا اردنا ان نبحث عن الحب والاخلاص للمحبوب ، والعشق والغرام في في شعر ابن هاني فسيذهب جهدنا سدى ، واذا رغبنا ان نرى النسيب والغزل فناً قائماً بنفسه ، طرقه ابن هاني ، واجاد فيه ، فلن تتحقق هذه الرغبة ، ذلك ان هذا الشاعر ، كما يبدو من شعره ، لم يعرف الحب ، ولم يتذوق لذائذه ومرارته ، ولم يشعر فؤاده بخفقان عند مرأى المحبوبة ، كما كان يحدث لبعض الشعراء ، اما اذا بحثنا عن الصنعة الشعرية ، والتقليد المتبع في القصيدة العربية ، من حيث ان الغزل ضرورة لا بد منها ، يوطأ بها للبدء في القصيدة ، فسنجد هذا ممكناً في شعر ابن هاني . وقد فطن لذلك القدماء فلم يروا في هذا الغزل روحاً حلوة ، ولا طلاوة يستسيغها الذوق ، وكل ما هنالك الفاظ وقعاقع مهولة لا تنم عن احساس مرهف ، وقلب يستشعر الجمال ويتعشقه ، فغزله غزل قفري لا عذري ، لا يقنع

منه بالطيف ، ولا يشفع بغير السيف [1] « وما هذه القعقعة ، وما يندرج فيها من عدم الطائل والفائدة ، الا ما نشير اليه من طنطنته بالالفاظ والاساليب الضخمة ، فاذا ما بحثنا هذه الاساليب ، لم نجد شيئاً غير التلفيق واللف ، واتيان المعنى من بعيد [2] . وقد عرض ابن رشيق في **العمدة** لنقده ، فوضعه مع الذين لا طائل تحت كلامهم ، على الرغم من ضخامة التعبير ، فقـــال : وفرقة اصحاب جلبة وقعقعة بلا طائل معنى الا القليل النادر ، كأبي القاسم ابن هاني [3] ويستشهد على ما يقول ببيتين من غزل الشاعر هما

اصاخت فقالت وقع اجرد شيظم وشامت فقالت لمع ابيض مخذم
وما ذعرت الا لجرس حليهـا ولا رمقت الا برى في مخـدم

ويضيف : وليس تحت هذا كله الا الفساد ، وخـــلاف المراد ، وما الذي يفيدنا ان يكون هذه المنسوب بها ، لبست حليها فتهومته بعد الاصاخة والرمق ، وقع فرس او لمع سيف ، غير انهـــا مغزوة في دارها ، او جاهلة بما حملته من زينتها ، ولم يخف عنا مراده انها كانت تترقبه في هذا كله [4] ».

وللغزل الفاظ خاصة ، وطريقة خاصة ، واوزان خاصة ، فالفاظه يجب ان ان تكون رقيقة حلوة جميلة موسيقية مصورة ، وطريقته هي الوسيلة التي يحرك بها العاطفة ، وافضل الاوزان الشعرية لمثل هذا الموضوع ، الاوزان التي

---

١ ابن بسام ـ الذخيرة القسم الرابع ج - ١ - ١٤٤
٢ شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٣٣١
٣ ابن رشيق القيرواني : العمدة ج ١ - ١٠٤
٤ ابن رشيق القيرواني : العمدة : ج ١ ـ ١٠٤

تصلح اكثر فاكثر للغناء ، وعلى الشاعر ان يتجنب الالفاظ التي تدل على القوة في مقام يصف حاله به بالضعف ، وان يكون حديثه عن حبه ، وان متصنعاً ، يثير العواطف ، ويوحي بالاشجان ، لا ان نرى من خلال حديثه الفاظاً اخرى تأخذ باذهاننا ، وتصرفها الى تصورات شتى ، لم يقصد اليها الشاعر ، لئلا تضيع الغاية التي اليها قصد والهدف الذي اليه رمي .

ومن الواضح ان ابن هاني لم يجدد في هذا الفن ، بل حبس نفسه في القوقعة التي صنعها شعراء الجـــاهلية لانفسهم ، ولم يخرج عن الطريقة المتبعة في القصيدة العربية منذ القديم .

ونلاحظ ان ابن هاني لم يحسن التقليد وان تغزل غير مدفوع بعاطفة حب ، فراح يتأرجح بين طريقة امرىء القيس فيصف نفسه بالبطل المقدام ، يدخل على على الحبيبة ، ويجتاز الحراس والاقوام ، وبين مذهب ابي فراس في رقته وقوة عاطفته ، فتحس ان ابن هاني يتناول معاني ابي فراس ليصوغهـا على اسلوبه الخاص ، متأثراً خطاه ، حتى تحار بين ما ألفته من جمود عاطفة الشاعر أحياناً ورقة هذه العاطفة أحياناً اخرى . واسمع اليه يتـــأثر امرأ القيس في مواقفه ، ويتصنع احواله ، وان لم يحسن الغزل القصصي الذي الفنـــاه عند الشاعر الجاهلي فيقول:

وخدور مثلك قد طرقت لقومها متعرضا ولارضها متعسفـــا
باقب لا يدع الصهيل الى القنـــا حتى يلوك خطامها المتقصفا [1]

ويقول ايضاً :

---

١ ديوان : ق ٣٠

فقد اطرق الحي بعد الهدوء تصل اسنتهم والظبى
فالهو على رقبة الكاشحين بمفعمة السوق خرس البرى
بسود الغدائر حمر الخدود بيض الترائب لعث اللثى [٢]

وكان هذا الحب المتصنع ، يدفعه لان يركب المخاطر ، ويرمي بنفسه في المهالك ، تلبية لنداء قلبه ، كما يزعم ، لا تمنعه الرماح ، ولا تحول دون حبيبه السيوف

سأروع من ضمت حجالكم وان غدت الاسنة دون ذلك غيلا
أعصي رماح الخط دونك شرعا واطيع فيك صبابة وغليلا

ويتمنى ان يطول الليل لانه يشعر بقصره

ولقد ذممت قصير ليلي في الهوى وحمدت من متن القناة طويلا [٣]

وكثيراً ما نقع على هذه المعاني التي ألفناه عند امرىء القيس ، تترد في شعر ابن هاني ، وأحياناً نقع على غزل رقيق ، حتى لا نصدق ان هذا الغزل لابن هانى كقوله

قامت تميس كما تدافع جدول وانساب أيم في نقا يتهيل
واتت تزجي ردفها بقوامها فتأطر الاعلى وماج الاسفل
صنم تردى الحسن منه مقرطق ومشى على البردى منه مخلخل
ووراء ما يحوى اللثام مقبل رتل بمسواك الاراك مقبل

---

٢ ديوان : ق ٥٨
٣ ديوان : ق ٤١

ما لي ظمئت الى جنى رشفاته وخلا البشام ببردها والاسحل

وهي البخيلة او خيال طارق فوشى الكباء بها ونم المندل
قل للتي اصمت فؤادي خفضي وقع السهام فقد اصيب المقتل[٤]

ومن غزله الجميل ، وان كان من الغزل التقليدي ، الذي يوطأ به للمدح قوله . يصف حاله وقد تحمل قوم لمياء ، وزمت ارحل اهلها ، فهو يبكي لهذا الفراق ويتأوه حتى يبكي الحمام لبكائه ، ويتساءل عما اذ كان باستطاعته ان يصل الى من يحب او هل يدنيه من مكانها اجرد سابح

اعدى الحمام تأوهي من بعدها فكأنه فيما سجعن رنين
باتوا سراعاً للهوادج زفرة مما رأيت وللمطي حنين
لاعطشن الروض بعدهم ولا يرويه لي دمع عليه هتون
أأعير لحظ العين بهجة منظر وأخونهم اني اذن لخئون
لا الجوجو مشرق ولو اكتسى زهراً ولا المـاء المعين معين
والعهد من لمياء اذ لا قومها خزر ولا الحرب الزبون زبون
عهدي بذاك الجو وهو اسنة وكناس ذاك الخشف وهو عرين
هل يدنيني منه اجرد سابح مرح وجائلة النسوع امين
ومهند فيه الفرنـد كانه ذمر له خلف الفرار كمين[١]

ارأيت اليه كيف مزج تلك الالفاظ الرقيقة الحلوة ، بتلك الالفاظ الجزلة القوية ، فنقلنا من جو العاطفة الى جو معركة ، فيها الاسنة والسيوف ، فكأنه

---

٤ ديوان : ق ٤٤
١ ديوان ق ٥٣

يخشى على نفسه ان يفتك به قومها فيشفع بالسيف ، وينسج احياناً على منوال ابي فراس ، فيقول مخاطباً طائراً يغني كأنه يبكي لفراق اليفه

ألا ايها الباكي على غير ايكة كلانا فريد بالسماوة مقلوب
فؤادك خفاق ووكرك نازح وروضك مطلول وبانك مهضوب
هلم على أني اقيك بأضلعي فأملك دمعي عنه وهو سكوب [٢]

ولا أرى في كل هذه المواقف التي يتصنعها الشاعر الا تزييفاً للعاطفة ، فمعالم الحب الخالص لا تبين ، فمشاعره متصنعة ، وعواطفه متكلفة ، وهو في كل هذا انما تدعوه الصنعة فيستجيب للتقليد المتبع ، فيجيد احياناً ، ويقصر احياناً اخرى . وهو عندما يتغزل على طريقة امرىء القيس ، يتحدث عن طروقه لمحبوبته ، فتخاف هذه ان يفتضح امرها ، ولكنه لا يأبه لهذا ، ويقضي الليل عندها ، بيد ان زوجها الغيران يقبل متتبعاً أثر ابن هاني ، ويشعر هذا به فيستل سيفه ، ويستل الزوج سيفه ، ويعلو الصياح فيتنبه الحي ، ولكن بعد ان انتصر على خصمه ؛ ويغتنم الشاعر فرصة انشغالهم بتحضير خيولهم ، فيعمد هو الى فرسه وينهزم . وفي هذه القصيدة غزل قصصي كالغزل المألوف عند امرىء القيس ، وعمر بن ابي ربيعة ، غير اني لا اراه في هذه المغامرة ، الا متصنعاً ، ولسنا نعرف من هي صاحبته ، ولا ابنة من ، او زوجة من ، فلنستمع اليه يقول :

فلما اجن الشمس ريب من الدجى ولف سوام الحي سيل من العتم
ولم يبق الا سامر الليل هادر من البزل او غريد سرب من البهم

---

٢ ديوان ق ٢

طرقت فتاة الحي اذ نام اهلها وقد قام ليل العاشقين على قدم
فقالت أحقاً كلما جئت طارقا هتكت حجاب المجد عن ظبية الحرم
فكنت من ارعادها وهي هونة ضعيفة طي الخصر في لحظها سقم
اضم عليها اضلعي وكأنها من الذعر نشوى او تطرقها لمم
أميل بها ميل النزيفة مسندا الى الصدر منها ناعم الصدر قد نجم

ويقبل زوجها وقد اوجس في نفسه ريبة ، يتبع أثر الطارق ، يدله عليه اثر توكئه على قوسه ، وقدح قد سقط من الشاعر على الثرى ، ومزقة من ثوبه علقت ببعض النبات ، وكل هذه الاشياء تؤكد ظن الزوج الغيور ، فيسرع الى بيته ويقابله ابن هاني وقد سل سيفه ، كما استل الآخر سيفه ،

فبادرت سيفي حين بادر سيفه فثار الى ماض وسرت الى خذم
ونبه اقصى الحي اني وترتهم وقد عل صدر السيف من ماجد عمم
فما اسرجوا حتى تعثرت بالقنا ولا الجموا حتى مرقت من الخيم
ومن بين بردى اللذين تراهما رقيق حواشي النفس والطبع والشيم[1]

واقرأ هذه الابيات وانعم النظر في هذه التعابير الجميلة ، فترى انها تدل على مقدرة ابن هاني في الصناعة الشعرية ، فوجه المحبوبة صحن عقيق ، وحمرة الخدود جداول عندم ، وقد بدت هذه الحمرة في ذهبي لون الوجه . وقد يتدلل المعشوق حتى انه يقبل موطىء قدميه ، ويعفر خديه على المكان الذي يدوس ، وفي هذا القول عشق وهيام مع شيء من التذلل مألوف عند العشاق

---

١ ديوان ق - ٤٩

لله موقف عاشق ومعشق من ظـــالم منا ومن متظلم
بادرت موطيء نعله حتى اذا عفرت خدي في الثرى المتنسم
اعتل من وجنـاته فاجال في صحن العقيق جداولا من عندم
اجرى على ذهبيها عصبيهـا ودنا لسفك دمي بورد من دم[1]

وعلى كل ، فهذا الشعر يجعلنا نحس ان الشاعر لم يحس الحب احساساً واقعياً ، بل خيالياً ، ذهب فيه مذهب التقليد ، لا الانطلاق الذاتي .

وقد يتطرق في غزله الى الحديث عن اللقاء والفراق ، وما يتبعها من عناق وبكاء ، ويتصنع هو هذا الموقف فيذكر انه بكى كثيراً ، وفي اللقاء نراه يصفه كأنه يصف معركة فيقول :

تكون لنا عند اللقاء مواقف ولكنها فوق الحشايا معارك
تنازل من دون النحور اسنة اذا انتصبت فيها الندى الفوالك
نشاوى قدود لا الخدود اسنة ولا طرر من فوقهن حوالك[2]

فهذه الالفاظ اجدر بوصف الحرب منها بالغزل ، اذ ان الفاظ الغزل يجب يجب ان تكون رقيقة تدخل الى القلب دون استئذان ، فتثير العاطفة ، واما في الفراق فيقول

مسعدي عج فقد رأيت معاجي يوم ابكي على الديار وتبكي
بحنين مرجـــع كحنيني وتشك مردد كتشكي

---

١ ديوان : ق ٤٦
٢ ديوان : ق ٣٨

وهو فوق ذلك يسفك دما ، اذ ان الدموع تكون قد نضبت في مثل هذا الموقف

فاتئد تسكب الدموع كسكبي ثم لا تسفك الدماء كسفكي[1]

وهكذا نرى ان ابن هاني خرج على المألوف في الغزل التقليدي ، من حيث رقة الالفاظ ، ولطافة وقعها ، فاستعمل الفاظاً احق بوصف معركة حربية من وصف حالة عشق .

وثمة شيء آخر احب ان ألفت اليه الانظار ، هو اننا لا نكاد نحس بصورة لمحبوبته فلا نعرف أطويلة هي ام قصيرة ، بيضاء او سمراء ، وما يتبع ذاك من اوصاف جسدية كما خلا غزله من الاوصاف المعنوية ، وكل ما هنالك ان صورة المحبوبة عنده ، صورة عامة تنطبق على كل عرائس الشعر دون تخصيص، مما يدل على انه لم يعرف الحب حقيقة لشخص معين بذاته ، بل كان هذا الغزل وسيلة يوطيء بها للمدح شأنه في ذلك شأن كل الشعراء القدماء ، وخاصة الجاهليين ، ونحس ايضاً ان ابن هاني لم يتدخل في هذا الصراع بين القديم والحديث ، الذي دار قرنه في العصور العباسية الاولى ، مما يجعلني اعتقد بأن اعلام الثورة على القديم لم يدرس شعرهم في الاندلس في عهد ابن هاني ، وكان اقتصارهم على تدريس منهجي لاعلام الشعر العربي المألوف ، المتحرك فقط ضمن اطار من التقاليد لا يتعداه ولا يثور عليه ، وليس هذا غريباً ، اذ اننا نعرف ان الاندلس ما حاولت ان تثور على ما يأتيها من الشرق مطابقاً لما كانت تؤمن به من نماذج قديمة ، فتبدع لنفسها طريقة ذات ميزات خاصة ، بل بقيت حركتها ضمن ما يرسمه الشرق ، تأخذه

---

١ ديوان : ق – ٣٨

هي بطرق التقليد والمحاكاة ، وابن هاني ليس غريباً عن هذه البيئة ، وان انتقل الى افريقية التي رافقت الاندلس في تحركها ضمن الاطار الشرقي المرسوم .

ثم انه ليت كل مدائح ابن هاني قد وطيء اليها بالغزل ، اذ ان منها ما خلا من الغزل التقليدي ، حيث دخل الشاعر الى الموضوع دون توطئة ، وعالجه دون مقدمة ، غير ان هذه القصائد قليلة ، ونحن نأخذ عليه في غزله مزجه الفاظ الغزل بالفاظ الحماسة ووصف المعارك حتى ان الغزل الرقيق يفقد رونقه فاسمع اليه يقول :

ما بانة الوادي تثنى خوطها لكنها اليزنية السمراء
لم يبق طرف أجرد إلا اتى من دونها وطمرة جرداء
ومفاضة مسرورة وكتيبة ملمومة وعجاجة شهباء
باتت تثني لا الرياح تهزها دوني ولا انفاسي الصعداء[٢]

وهكذا نرى ان ابن هاني لم يكن بذلك الصب الوله ، اذ لم يعرف الحب طريقه الى قلبه ، فلم يبك ، وانما تباكى ارضاء للعملية الشعرية ، وقد استعمل في غزله الفاظاً استعارها من اوصاف المعارك والقتال ، فمن السهام الى الرماح الى السيوف الى الخيل ، حتى اننا نشعر ونحن نقرأ غزله اننا في معركة نرى فيها الناس يتهيئون للقتال ، كما نلحظ ان صورة محبوبته غامضة لا تكاد تبين ملامحها ، ولا تظهر خطوطها ، بل كل ما هنالك خطوط مبهمة ، والوان باهتة ، ان دلت على شيء فانما تدل على انه لم يعرف طعم الحب ، ولم يذق حلاوته او مرارته .

---

٢ ديوان : ق - ١

الفخر عند ابن هاني

الفخر فن من الفنون المألوفة في الشعر العربي ، وهو عبارة عن مدح ذاتي لانه يدور حول ذات الشاعر ، او ما يعلق بها من قريب او بعيد ، فقد يفخر بنفسه وقد يفخر بذويه ، وغاية ذلك ان يعدد ما له او لقومه من صفات حميدة ، يتذاكرها الناس ، ومآثر طيبة باقية بينهم ، وقد لا يكون للشاعر ما يفخر به ، لوضاعة في نسبه ، أو لؤم في اصله ، فيخلق لنفسه مكارم يدعيها ، وينتحل نسباً يلتحق به ، وينطلق منه في فخره ، والفاظ الفخر يجب ان تكون جزلة فيها معاني القوة ، لان مدار الفخر ، الحديث عن الكرم والمروءة ، والبطش والقدرة والحلم ، حتى اذا اعوزت هذه الصفات الشاعر لجأ على الاقل للافتخار بشعره ، وقدرته على صياغة الكلام . ولم يهمل ابن هاني هذا الفن اهمالاً كلياً ، وان لم يفرد له قصائد خاصة بل جاء ذلك في قصائد مختلفة موجهة الى ممدوحيه . ونلاحظ ان الشاعر لم يذكر أباه ولم يعرض له ، فهل كان ابوه من الضعة بمكان لا يسمح للابن بالافتخار به ، كما كان شأن المتنبي مع ابيه فلم يعرض له ولا لقومه ، وان كان قومه ممن يفخر العرب بهم .

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجـــدودي
وبهم فخر كل من نطق الضاد وعوذ الجـــاني وغوث الطريد [1]

وكلاهما لم يجد مجالاً للفخر بأبيه ، ولم يحاول ان يعرض لهـذا الاب المسكين الذي تحمل اعباء هذا الابن العاق زمناً طويلاً ، حتى اذا اشتد ساعده وخرج الى الحياة ، نسى جهد ذلك الاب ، وراح يفكر بنفسه فقط .

وابن هاني كالمتنبي دار فخره حول ذاتـه ولكن كيف كانت هذه الذات ؟ هل كانت ابية كريمة اراد لها صاحبها العزة والكرامة ؟ ام انهـــا نفس شاعر وضيـ كضعة صاحبها ، تعرض لهـا فكرة فتكون شعراً ، غايتها الكسب ، ولو كان في هذا الكسب صغار وذل ؟

ونحن لو رحنا نقابل بين ابن هاني والمتنبي في هذا الفن الشعري لوجـدنا ان بين الاثنين فرقاً كبيراً ، ذلك ان المتنبي شاعر يرى نفسه مساوية لممدوحيه ان لم تكن اسمى مرتبة كما كان يراها اجدر بالملك من غيرها .

ففوادي من الملوك وان كا ن لساني يرى من الشعراء [2]

بل كثيراً ما كان يرى نفسه فوق بعض هؤلاء الذين يمدحهم ويرجو نوالهم ، ففي نفسه اباء ، وفي عزيمته مضاء ، والمجد غايته التي يريد . اما ابن هاني فيبدو ان نفسه كانت وضيعة لم تحدثه يوماً بمجد ، ولم تبرق لهـــا بارقة طموح لمركز كبير ، بل همه ان يمدح من يرجو عنده عطاء ، وكثيراً ما تدفعه هذه المواقف

---

١ ديوان المتنبي ص : ١٥ .
٢ ديوان المتنبي ص : ٤٤٥ .

الى التذلل في الاستجـــداء ، فهو احياناً عبد الممدوح ، واحياناً اخرى ارض الممدوح سماؤها وما عرض له من افكار نجد فيهـــا شيئاً من فخر ، فهي اقوال شاعر لم يصدر عن شعور حقيقي ، وانما كانت هذه الادعاءات تصنعاً وكلفة ، بينما نحس ان فخر المتنبي صادر عن احساسه القوي بقيمته الشخصية ، وتقديره نفسه حق قدرها ، فهو شاعر مجد لا طـــالب مال ، وانما المال عنده وسيلة لا غاية ، وسيلة للمجد الذي يتصوره كما يقول :

ولا تحسبن المجد زقـــا وقينة فما المجد الا السيف والفتكة البكر
وتضريب اعناق الملوك وان ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك في الدنيا دوياً كأنما تداول سمع المرء انمـــله العشر [1]

هذه هي غاية المتنبي ومن كانت هذه غـايته فنفسه لا شك كبيرة تأبى الذل وتكره الضيم اذ

لا افتخـــار الا لمن لا يضام مدرك او محـــارب لا ينام [2]

وليس المال هو ما يسعى اليه المتنبي ، واذا لم يكن من ذلك بد ، فليكن ، ولكن شرط ان يصان ماء الوجه ويجتنب التزلف والرياء .

ولسنا نجد لابن هاني غاية كان يسعى اليهـا ، إلا العيش الهادىء ، وهذا يقتضي المال ، ثم ان نفسه لم تحدثه يوماً بامارة ، ولم يخطر بباله ان يقود جيوشاً ، او يضرب اعناق الملوك ، كما لم يحلم بالسيطرة ، بل اني اعتقد انه لم يحمل سيفاً ، ولم يشهد معركة ، فضلاً عن ان يخوضهـا وهكذا لم تعرف القوة طريقها الى

---

١ ديوان المتنبي – ص ١٧٥
٢ ديوان المتنبي – ص ١٤٩

نفسه ، بيد انه اذا ما اراد ان يفخر ، نراه يتحدث عن همته الساعية للمجد ، والتي اذا ما بدت ، تكلف النجم افولا ، ثم انه كريم ، واذا تلومه امرأته على هذا الافراط ، فيجيبها بأن الكرم طريق المجد ، ويرجوها ان لا تخشى الفقر والمعز حي وهو مقصد الشاعر وكرم هذا الامام يخجل السحاب والبحار .

اني لتكسبني المحـــامد همة ... نجمت فكلفت النجوم افولا
بكرت تلوم على الندى ازدية ... تنمي اليه خضارماً وقيولا
يا هذه ان يفن فارط مجدهم ... فخذي اليك النيل والتنويلا
يا هذه لولا المساعي الغر ما ... زعموا اباك الماجد البهلولا
انا لينجدنا السماح علي التي ... تذر الغمام المستهـل بخيلا
وتظن في لهواتنـــا اسيافنا ... ونخال في تاج المعز رسولا [1]

ولكن ما هي هذه المحامد التي اكسبته اياها همته ؟ لم تكسبه شيئاً من كل ما ادعاه ، وانما هي اقوال شاعر ، وافكار عرضت لم يكن له منها سوى التصنع والتكلف والاختلاق ، وقد يصف نفسه بالرجـل الذي عركته الايام ، فظهر جوهره الخالص السبك نقياً لكثرة ما مر عليه من الخطوب ، ومـا انتابه من الاحداث ، فاصبح لا يتئد في طلب العلى ، ولا يتريث في التفتيش عن المحامد ، يشتريها غالية ، ويعرض عن الرخيص منها ، وقد رفعته همته الى السماء ، فعلا فوق المريخ ، ثم يتحدث عن شجاعته ، غير ان كل هـذا لا فضل له به ، بل الفضل يعود الى يحيى بن علي بن حمـدون ممدوحه ، لان يحيى يعينه وينصره ، ويلبي له ما يطلب ، فلا يشعر بحاجة ، ويدفعه فيجد في نفسه قوة ، وما كان

---

١ ديوان المتنبي ق ٤١ – ٥٦٣

ليدعي كل هذا لولا ان يحيى يسعفه ويمده ، فنفسه أعجز من ان تشعر بذاتها ، وتندفع بشعورها الخاص ، الناجم عن ما تحسه في داخلها ؟

لقيت نعماء الخطوب وبؤسها وسبكت سبك الجوهر المتخلص
فاذا سعيت الى العلى لم اتئد واذا اشتريت الحمد لم استرخص
شارفت اعنان السماء بهمتي ووطئت بهرام النجوم باخمصي
من كان قلبي نصله لم يهتبل او كان يحيى ردأه لم ينكص [1]

وهكذا نرى ان الفضل في كل ما يدعي ، يعود الى يحيى ، لانه رده الشاعر ، ومن كان يحيى ردأه يجب ان لا يتأخر او يخاف ، وكأنني احس به انه لا يحاول ان يلصق بنفسه محمدة الا كان الفضل بها الى غيره من اولئك الذين كانوا يعينونه على الدهر ، فهو طالب مال ، لا طالب مجد ، والعزة والكرامة لم يعرفا طريقهما الى نفسه ، والمجد لم يخطر بباله ، اذ ما الحاجة الى كل هذا وفي هذا تعب للنفس ، واضناء للجسم ، وسهر طويل ، وماذا يكسب من نفس كبيرة ، تتعب في تحقيق مطاليبها ، وتقض علية مضجعه بآمالها ، فهو يكفيه ان يجد لقمة العيش سائغة هينة ، فاذا احس بالحاجة زم رحاله الى رجل يستأنس منه كرما ، ويرجو عنده نوالا ، فلا عناء ولا مشقة ولا قتال في سبيل المجد ، وفي هذا أمن لنفسه تطمئن اليه لانه

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام [2]

يفضل الراحة مع العيش البسيط ، على التعب في سبيل المجد ، همه ان يسعى

---

١ ديوان - ق : ٢٥ - ٢٨٣
٢ ديوان المتنبي ص ١٤٩

لما يؤمن به حياته ، وهو يعلم ان هذا مطلب يمكن تحقيقه لان في الدنيا كراما يمدونه

لعمر الليـــالي ما دجى وجه مطلبي ولا ضاق في الارض العريضة لي ذرع
وتعرف مني البيد خرقاً كأنما توغل منه بين ارجائهـا سمع [1]

بيد ان البيد تعرفه ساعياً في سبيل الرزق، لا في سبيل المجد يفتش عن أناس يمدحهم لينال عطاءهم ، ومن كل ما قرأنا له من فخر ، لم نستطع ان نتصوره عزيزاً ابياً ، كريم النفس ، مترفعاً عن التذلل، متجنباً للسؤال ، ولذا لا نكاد نلمس الصدق في فخره ، الا في مجال واحد هو مجال الفخر في شعره وشاعريته ، فهو يدل ويتيه بشعره ، ونشعر انه معجب كثيراً بمـا كان يقول ، ويعتبر ما يقوله مثال البلاغة والفصاحة ، وهذا الاحساس بقدرته على النظم ، وجودة شعره ، ولد في نفسه زهواً واعجاباً ، وان لم يرتفع الى مقام الذين في نفوسهم عزة واباء .

احس ابن هاني بقدرته الادبية وسلطته على الكلام ، وانقيـاد اللغة له ، يتصرف بها كما يشاء ، وشعر ان ما من واحد من شعراء المغرب يستطيع ان يجاريه في هذا الميدان ، فزُهي بشعره الذي يرى ان صداه يـتردد في الشرق والغرب العربيين . ينشده في القيروان فيتردد صداه في بغداد حتى انه يعتبر نفسه ملهماً فيما يقول يرتل آيات هذا القول ترتيلاً ، ويزداد زهوه واعجابه حتى انه لا يعود يرى ان انساناً يستطيع ان يجاريه ، وما من شاعر يحسن

---

١ ديوان ق ٢٨

القول كما يحسنه هو ، فيقول:

طلعت على بغداد بالسير التي سيرتها غررا لكم وحجولا
اجلين من فكري اذا لم يسمعوا لسيوفهن المرهفات صليلا
ولقد هممت بأن افك قيودها لما رأيت المحسنين قليلا
حتى رأيت قصائدي منحولة والقول في ام الكتاب مقولا
ولئن بقيت لاخلين لغرها ميدان سبقي مقصرا ومطيلا
حتى كأني ملهم وكأنها سور ارتل آيها ترتيلا [1]

وهذا الموقف يشبه كثيراً مواقف المتنبي في بعض قصائده ، ولكن شعور ابن هاني بالتفوق في النظم لا يغادر مخيلته ، لذا تتردد هذه الافكار في مناسبات مختلفة ، وباشكال مختلفة ، فهو تارة يعبث بالياقوت والمرجان ، وكرائم الدرر ، فيسقي بذلك اعداء الممدوح سماً زعافاً ، اذ انه بالنسبة اليهم ينفث سماً

نظمت رقيق الشعر فيك وجزله كأني بالمرجان والدر عابث
سقيت اعاديك الزعاف مشملا كأن حباب الرمل في في نافث [2]

وطوراً ينسج مدائحه من لؤلؤ رطب ليشكر الممدوح على كرمه

هل اللؤلؤ الرطب الا الذي نظمت لكم عقده فانتظم
قواف لسؤددكم تقتنى وتحت سرادقكم تزدحم
قصرن عليكم كان الشآم وارض العراق عليها حرم [3]

---

١ ديوان – ق ٤١ .
٢ ديوان – ق ٧ .
٣ ديوان – ق ٥٠ .

ويؤكد الشاعر ان ما من شيء يدفعه لان يجيد في مدائحه كالعطاء ، فقوافي الشعر مطايا لا حادي لها الا العطاء ، ويعتبر شعره جوهراً يأبى ان يبيعه في سوق الكساد ، وهو يطلب ثمناً غالياً لشعره ، وهذا تلميح الى انه يرجو عطاء كثيراً على مدائحه

والقوافي كالمطـــايا لم تكن تنبري اذ تنتحي الابجـــاد
جوهر آليت لا اوقفه موقف الذلة في سوق الكساد[1]

لقد كان هذا ما افتخر به ابن هاني وهذه هي طريقته في الفخر ، اما المتنبي فقد كان فخره غير ذلك ، كان فخر نفس جبلت من عزة واباء ، وضعت المجد غاية وسعت اليه حثيثـــاً ، فاخفقت في الوصول اليه ، فطلبته بطرق اخرى فالتوى عليها ، وقد لا يكون من الانصاف ان نضع ابن هاني في مرتبة المتنبي في هذا الفن لأن ابن هاني لم يلحق له غبارا ، بل قصر عنه اشواطـاً بعيدة في هذا المضمار ، وكيف نساوي ابن هاني بنفسه الوضيعة ، برجل لا يرى في هذا الكون من هو جدير باحترامه ، بشاعر احس العزة قبل ان تصقله التجارب ، وارضع الكرامة فشب لا يرى انساناً يعدله ، او مكاناً جديراً به ، وقد يكون هذا غرور الشباب ، ولكنه غرور صحب المتنبي حتى القبر ، وبقي له في حياته ملأ براقاً ، فلنسمع اليه يقول :

اي محـل ارتقي اي عظـيم اتقي
وكل ما قد خلق الله ومـــا لم يخلق
محتقر في همـتي كشعرة في مفرقي[2]

---

١ ديوان - ق ١٥ .
٢ ديوان المتنبي - ص ٣٥ .

ودفعه هذا الشعور الى ان يطلب المجد ، ولا غرابة في ذلك وهو يرى من دونه يصل اليه فيسود ويتحكم بمصائر الناس ، غير ان المتنبي لا يجد الى هذا المجد سبيلا ، كأن الاقدار تعاكسه ، فيصطبغ شعره بالمرارة تظهر بقالب فلسفي جميل ، وليس عجيباً ان تنبع المرارة في نفس من يقول :

واقفاً تحت اخمصي قدر نفسي واقفاً تحت اخمصي الانام[1]

ولست ادري ما اذا كان من مدحهم من هؤلاء الانام واين هذا القول من قول ابن هاني ،

بل شسع نعلك عدنان وما ولدت بل انت وحدك عندي كل انسي[2]

اين العزة في البيت الاول الذي يجعلنا نحس بجبروت المتنبي ، من هذه الضعة نحسها في نفس ابن هاني ونشعر بضآلته وحقارته ، فالمتنبي ان مدح لا يتذلل ، وان هنأ فتهنئة اكفاء

انما التهنئات للاكفاء ولمن يدنو من البعداء
وانا منك لا يهنيء عضو بالمسرات سائر الاعضاء[3]

وقل ان تخلو قصيدة من دلائل العزة والاباء ، ذلك لان المتنبي لا يستطيع ان يتستر على ما في نفسه من آمال جسام ، واحلام كبار ، وشعور عظيم ، تكلفه نفسه كل غظيم من الامور فيتجشم المشاق ، ويتحمل المصاعب ، لا تهن

---

١ ديوان المتنبي : ص ١٤٩
٢ ديوان ق : ٦٠ - ٨٣١٠
٣ ديوان الكتبي : ص ٤٤٤

هي ، ولا يرضى هوان تهن ، ويعاكسه القدر ، فلا تنكسر قناته ولا تلين ، بل يستمر منشداً :

اهم بشيء والليالي كأنها تطاردني عن كونه واطارد
واورد نفسي والمهند في يدي موارد لا يصدرن من لا يجالد[1]

وفخر المتنبي فخر الرجل العزيز القوي الذي لا يعرف الصغار طريقه لنفسه ولنسمع اليه يقول :

مفرشي صهوة الحصان ولكن قميصي مسرودة من حديد
لامة فاضة اضاة دلاص احكمت نسجها يدا داود
اين فضلي اذا قنعت من الدهر بعيش معجل التنكيد
ابدا اقطع البلاد ونجمي في نحوس وهمتي في سعود
فاطلب العز في لظى وذر الذ ل ولو في جنان الخلود
لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي
وبهم فخر كل من نطق بالضاد وعوذ الجاني وغوث الطريد
إن اكن معجباً فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد
انا ترب الندى ورب القوافي وسمام العدى وغيظ الحسود
انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود [2]

هذا هو المتنبي عاشق القوة ، الصابي الى المجد ، يدفعه شعور الاعجاب

---

١ ديوان الكنبي : ص ٣١٠
٢ ديوان المتنبي : ص ١٤ – ١٤

بالنفس ، الى ان يرى نفسه فوق كل مخلوق ، فهو نسيج وحده

وقد احس المتنبي ايضاً بمكانته الادبية وقدرته في النظم ، فراح يفخر بهذا ايضاً ويقول :

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي وأسمعت كلماتي من به صمم[1]

ويغنى به من لا يحس الغناء، ويحدو من لا يقدر على السير وهو مسرع الخطى

فسار به من لا يسير مشمرا وغنى به من لا يغني مغردا[2]

ويتيه بشعره ، ويدل على الناس ، فيقول :

ليس قولي في شمس فعلك كالشمس ولكن في الشمس كالاشراق
شاعر المجد خدنه شاعر اللفظ كلانا رب المعاني الدقاق
لم تزل تسمع المديح ولكن صهال الجياد غير النهاق[3]

والواقع انه لو افتخر المتنبي بشعره لحق له ذلك فقد شغل الناس فانقسموا حوله بين مؤيدين وخصوم ، وتكونت حوله حلقات يتدارس فيها شعره ، اما ابن هاني فلم تكن له هذه المكانة في عالم الشعر ، وان انبرى قدماء مؤرخي الادب من المغاربة والاندلسيين الى تشبيهه بالمتنبي ، واعجب به بعضهم كثيراً ، فقد بقي دون المتنبي شاعرية وابداعاً وتفكيراً وجودة نظم ، وانه ليس من

---

١ ديوان المتنبي : ص ٣٢٣
٢ ديوان المتنبي : ص ٣٦١
٣ ديوان المتنبي : ص ٢٦٢

الحق ان نعدل ابن هاني بشاعر كبير كالمتنبي ، ولم احاول انا في هذه المقابلة الا ان أبين الفوارق ، وأدل على مكانة كل منهما ، وان كان لنا من كلمة نقولها ، فهي ان المتنبي شاعر القرن الرابع العظيم ، لا ينازعه هذه المكانة شاعر آخر .

الهجاء عند ابن هاني

ليس لابن هاني في هذا الفن الا قصيدة واحدة قائمة بذاتها هجا بها الوهراني كاتب جعفر بن علي بن حمدون ، وهناك قصيدة اخرى يصف فيها اكولاً بشكل مضحك ، وفيما عدا ذلك فقد جاء الهجاء في معرض المدح ، وهذا في القصائد التي مدح بها المعز لدين الله الفاطمي ، اذ انه كان مضطراً لان يذكر خصوم الامام ، بما يرضي عنه الامام ، ونحن سنعرض لقصيدته في هجاء الوهراني ووصفه للاكول بعد ان نستعرض هجاءه للامويين وللعباسيين .

وابن هاني عندما يعرض للامويين يهجوهم ، ويعتبرهم مغتصبي حق الفاطميين ، ويذكر مكانتهم في الاسلام ، ويتحدث عن عجزهم في حفظ ثغورهم ، ولا ينسى ان يتعرض الى مشكلة الخلافة الاولى ، ويعتبر ان ابا بكر وعمر قد تآمرا على علي لابعاده عن الخلافة ، ويذكر تنكيل يزيد بن معاوية بابناء الحسين بن علي ، فيعطينا لوحة شعرية ولكنها باهتة الالوان ، وان وضحت خطوطها ، شان الناظم الذي يتصنع المشاهد ولا يحسها

الا ان يوما هاشميا اظلهم يطير فراش الهام عن كل مجثم
كيوم يزيد والسبـــايا طريدة على كل موار الملاط عثمثم
وقد غصت البيداء بالعيس فوقها كرائم ابنـاء النبي المكرم
فما في حريم بعدهـا من تحرج ولا هتك ستر بعدها بمحرم

ويستعرض مشكلة الخلافة الاولى ، ويذكر الاجتماع الذي تم في سقيفة بني ساعدة ، يوم اختير ابو بكر خليفة للرسول ، وليس من حق لابي بكر بالخلافة – كما يرى الشاعر – ، لانه ليس وريثاً للنبي ، فكيف اذن يحق لهم ان يقدموه

على اي حـكم الله اذ يأفكونه احل لهم تقديم غير المقدم
وفي اي دين الوحي والمصطفى له سقوا آله ممزوج صاب بعلقم

ويؤكد انها كانت مؤامرة مدبرة لابعاد علي عن الخلافة .

ولكن أمراً كان ابرم بينهم وان قال قوم قلته غير مبرم

ويعتبر هؤلاء قتلة علي ، لا ابن ملجم ، فقـــد قتلوه يوم ابعدوه عن حقه المشروع ، وجردوا اسياف البغي ضده ، فلم يوفق لصدها ، لقد قتلوه معنوياً ، وهذا اشد من القتل المادي .

باسياف اهل البغى اول سلها اصيب علي لا بسيف ابن ملجم

وقد حملهم على هذا الامر ذلك الحقد الموروث من ايام الجاهلية ، والضغينة التي لم يستطع الاسلام ان يمحوها من صدورهم ، بل كتبها الى زمن ، حتى اذا وجدت منفرجاً ، خرجت قوية ، وعملت فاتكة غير راحمة ، فكأنهم ينتقمون لقتلاهم ببدر .

وبالحقد حقد الجـــاهلية انه الى الآن لم يظعن ولم يتصرم
وبالثأر في بدر اريقت دماؤكم وقيد اليكم كل اجرد شيظم [1]

ويغتنم كل مناسبة ليسب بها الامويين على اعتبـار انهم اول من اضطهد آل محمد ، وبهذا يضرب على الوتر الحساس الذي يخيف الامويين، ويرضي بذلك الفاطميين .

خـــلدتم في العبشمية لعنة خلقت وما خلقوا لها تعجيلا
في من يظنون الامامة منهم إن حصلت أنسابهم تحصيلا [2]

ولا غرابة في ان تكون فكرة الخلافة اساسية في تفكير الشاعر ، لانها الغاية التي يسعى اليها الفـاطميون ، مدعين ان هذا حقهم الذي اغتصب منهم ، فهم يسعون لارجاعه .

واما بنو العباس فليسوا اقل ايذاء لاحفاد علي فقد كانوا يطالبون بارجاع الخلافة الى ابناء علي ، حتى اذا انتصروا ، استـــأثروا بها دونهم ، وراحوا يتعقبونهم وينكلون بهم ، فشردوا في الارض او استكانوا على مضاضة ، ولذا راح الشاعر يطالبهم بارجاع هذا الحق الى اهـله ، لانهم ليسوا اهلاً له ، ويعيرهم عجزهم عن رد اعدائهم ، وتقاعسهم عن نصرة الدين ، واكتفائهم بشرب الخمرة وسماع الغناء كأنهم بذلك يرجون النصر .

---

١ ديوان : ق – ٤٧
٢ ديوان : ق – ٤١

ونوم بني العباس فوق جنوبهم ولا نصر الا قينة واكاويب[1]

وفي هذا القول سخرية مرة ، اذ يطلبون النصر من كوب يشربون به ، او قينة يسمعون اليها ، وهذا منتهى العجز ، بينما يذكر ان سيده المعز ، هو الذي يدافع عن الدين ، ويحفظ الشريعة ، ويعيرهم كون جدهم العباس من الطلقاء ، وان جدتهم أمة تدعى نتلة ، وليس ابناء الامة كابناء الحرة .

لستم كابناء الطليق المرتدي بالكفر حتى عض فيه اسار
ابناء نتلة مالكم ولمعشر هم دوحة الله الذي يختار
ردوا اليهم حقهم وتنكبوا وتحملوا فقد استحم بوار

فهو يدعوهم الى العودة الى جادة الصواب ، واعادة الحق الى اصحابه الشرعيين ، فهم الدوحة التي اختارها الله ، فكيف يجيزون لانفسهم الاستئثار بحق ليس لهم ، وكيف يساوون انفسهم بأناس هدى الله بهم الامم ، وهم منارة العلم ، ويذكرهم بأن العار سيلحق بهم حتى يأنف منهم ، اذ الفرق كبير بين قوم اختارهم الله لحمل رسالته وهداية العالم ، وبين قوم لا هم لهم الا الشرب والسماع

ودعوا الطريق لفضلهم فهم الالى لهم بجهلة الطريق منار
كم تنهضون بعبء عار واصم والعار يأنف منكم والنار
يلهيهم زمر المثاني كلما الهاكم المثني والمزمار[2]

ويقابل بين حياة الفاطميين التقية ، وحياة بني العباس اللاهية ، وكل ذلك

---

١ ديوان : ق – ٣
٢ ديوان : ق – ٢٤

ليبين للناس معايب خصوم الفاطميين السياسيين من عباسيين او امويين حتى يستطيع كل انسان ان يميز بين خير اولئك ، وشر هؤلاء .

وليس لابن هاني في الهجاء المستقل ، الا قصيدة واحدة ، وهناك اخرى في وصف اكول يصوره فيها تصويراً ساخراً وقد اهملناها في فن الهجاء ايضاً .

واذا كان الهجاء وصفاً للعيوب من تجسيمها حتى تظهر نافرة تحمل على الاشمئزاز او الاحتقار ، فان قصيدة ابن هاني في هجاء الوهراني تحوي الشروط التي يقتضيها فن الهجاء . والوهراني هو كاتب الامير جعفر ، ممدوح الشاعر ، واسمه احمد ، ويكنى بأبي جعفر ، ويعرف بالوهراني ، نسبة الى وهران ، وهي مدينة في المغرب ، ويظهر ان اسباباً حدثت ، حملت الشاعر على هجاء هذا الرجل ، ولكننا لا نستطيع تحديدها ولم يتعرض الى غير هذا الرجل بهجاء الا ذلك الاكول ، الذي وصفه بشكل مضحك .

يبتدىء ابن هاني هجاء الوهراني بالفخر بنفسه ، فيصبغ عليها صفات حميدة كأنه يريد بذلك ان يبين الفرق بينه وبين المهجو حتى تظهر عيوب المهجو مجسمة ، يمتدح نفسه ويطلق عليها احسن الصفات ، ثم يعود فيطلق ابشعها على الوهراني ، فتظهر بذاءة هذا الهجاء وقد بعثه ، إذ بضدها تتميز الاشياء ، وتحس وانت تقرأ مطلع هذه القصيدة ، انك تقرأ قطعة للمتنبي ، وذلك لجزالة المعاني ، وجمال التركيب : ثم ان بعض هذه الافكار من الافكار المألوفة عند المتنبي ، كنقمته على الاقدار ، ونظرته الى ان الحياة حظوظ ولنسمع اليه يقول :

طلب المجد من طريق السيوف شرف مؤنس لنفس الشريف

ان ذل العزيز افظع مرأى بين عينيه من لقاء الحتوف
ليس غير الهيجاء والضربة الاخدو د فيهـا والطعنة الاخطيف
انا من صارم وطرف جواد لست من قبة وقصر منيف
ليس للمجد من يبيت على المجد بسعي وان ونفس عزوف
وعدتني الدنيا كثيراً فلم اظفر بغير المطال والتسويف
كلما قلب المحدد فيها اللحـــظ ولى بناظر مطروف
علمتني البيداء كيف ركوب الخيل والليل كيف قطع التنوف

بهذه الابيات الجميلة الجزلة يصف نفسه ، وانت واجد فيهـــا روح المتنبي وافكاره ، حتى انك تشعر ان ابيات ابن هاني هذه ليست إلا صدى لقصيدة المتنبي التي مطلعها :

كم قتيـــل كما قتلت شهيد ببياض الطلى وورد الخدود [1]

وبعد ذلك ينتقل ابن هاني الى هجاء الوهراني الذي يسمّيه « ابا الجعر » والجعر نجو الحيوانات ، فيسب الايام التي ساعدته على ان يصبح كاتباً للامير ، ويدعي ان الايام انما تساعد السخفاء الاغبياء ، وتحـــارب الاذكياء ، وينعته بالخسة والدناءة ، وسخافة الرأي ، والجهـل ، والعي ، والكذب ، والخنى ، الى ما هنالك من الصفات البذيئة السيئة ثم لا يكتفي بذلك ، بل يحاول ان يثير التشاؤم في نفس الامير جعفر من اصطحابه هذا الكاتب المشؤوم ، ليقيله من منصبه ، بل يحضه على ذلك مخافة ان يلحقه شؤم هذا الكائب ، وعلى كل فنحن لا نرى للمهجو صورة واضحة كتلك التي نجدها في هجاء ابن الرومي ، وانما هجاء

---

١ ديوان المتنبي : ص ١٣

ابن هاني عبارة عن سلسلة من الشتائم البذيئة ، يعدد خلقاتها مترنماً بما تحدثه في نفسه من موسيقى حيث ينشد :

ان ايام دهرنا سخفات فهي اعوان كل وغد سخيف
زمن انت يا ابا الجعر فيه ليس من تالد ولا من طريف
ان دهراً سموت فيه علوا لوضيع الخطوب وغد الصروف
ان شاوا طلبته في زمان الملك عندي لشاو بين قذوف
ان رأياً تديره لمعنى بضلال الامضاء والتوقيف
ان لفظاً تلوكه لشبيه بك في منظر الخباء الجليف
كاذب الزعم مستحيل المعاني فاسد النظم فاسد التأليف
انت لا تغتدي لتدبير ملك انما تغتدي لرغم الانوف
نلت ما نلت لا بعقل رصين في المساعي ولا برأي حصيف
انت في دولة الحبيب الينا فترفق بالماجد الغطريف
فاذا ما نعبت شر نعيب فعلى غير ربعه المألوف
لست اخشى إلا عليه فكن بالاريحي الرؤوف جد رؤوف
كيف صاحبته باخلاق وغد لا يني في يبوسة وجفوف
وخنى حالف بأنك ما اصبحت يوما لغيره بحليف

ويفتش عن تهم يلصقها بهذا المسكين تقوده الى الموت ، فلا يجد اقوى من اتهامه بمخالفة العقيدة الشيعية ، ومروقه من الدين ، وتحالفه مع الامويين ، وكرهه للفاطميين .

ان فيه لشعبة من بني مروان تنبي عن كل أمر مخوف

متخـل من اثنتين برىء من امام عدل ودين حنيف [1]

ونشعر ان ابن هاني في هجائه يصدر عن حقد قوي ، ويرمي مهجوه بكل عيب ، ويلصق به ابشع التهم ، واشدها على الانسان ، وقد تقوده الى الموت ، كيف يرضى اعداء الامويين ان يكون انسان عندهم عينا للامويين عليهم ، كما يتهمه بالمروق من الدين ، وبالكفر بالامام ، وعلى كل ففي القصيدة جمال في البناء ، وجمال في المعنى ، اذا ما نظرنا الى فن الهجاء بمقاييسه الخاصة ، وهو في مطلعها يصدر عن نفحات كنفحات المتنبي . وللشاعر قصيدة اخرى يصف فيها اكولا ، فيعطينا صورة واضحة مضحكة حتى يبدو وكأنه مصور «كاريكاتوري» هزلي يعني بالنواحي التي تثير الضحك ، فيبرزها بشكل مشوه ولو نزعنا من هذه القصيدة ابياتاً غير لازمة فيها ، لكان لنا مما يتبقى لوحة فنية هزلية مضحكة فاسمع اليه يصف هذا الاكول

انظر اليه وفي التحريك تسكين كأنما التقمت عنه التنانين
تبارك الله ما امضى اسنته كأنما كل فك منه طاحون
كأن بيت سلاح فيه مختزن مما اعدته للرسل الفراعين
كأنما الحمل المشوي في يده ذو النون في الماء لما عضه النون
لف الجداء بايديها وارجلها كأنما افترستهن السراحين

وغادر البط من مثنى وواحدة كأنما اختطفتهن الشواهين [2]

---

١ ديوان – ق : ٢٩

٢ ديوان – ق : ٥٦

وهذه الصورة التي يعطينا اياها ابن هاني لهذا الاكول تذكرنا بتصوير ابن الرومي الهزلي المضحك بيد اني احس ان ابن هاني كان يتكلف تكلفاً ، ويتصنع هذه الاوصاف دون ان يحسها ، لتصدر عن نفسه الواعية لها وانما هو النظم لا غير .

الرثاء عند ابن هاني

الرثاء لغة العاطفة المرزوءة ، والمشاعر المنكوبة ، والاحساسات المصابة بمن يعز عليها ، او ما تحب ، هو واسطة ينفث بها حزنه ، ويخفف من لوعته ، او يروح عن نفسه شيئاً من المها ، وكأنه بما يقول يتعزى ويتصبر للنكبة التي المت به ، والمصيبة التي حلت عليه ، ومن طبيعة المرزوئين ان يتخففوا من احزانهم بالحديث عنها ، او بالعكوف على النفس ، يفكر في هذا العالم ، والنهاية الحتمية لكل انسان ، ويذكر الفقيد ، ويعدد ما له من اياد بيضاء على الناس ، وما كان يتحلى به من اخلاق ، وكثيراً ما يستطرد الشاعر الى التأمل الفلسفي في هذه الحياة ، وهذه النهاية ، وهو فن قائم بذاته لا يدخل في القصيدة الواحدة على انه غرض من اغراضها ، بل يبقى منفصلا ، وغايته التفجع على الراحل ، وما التأمل الا استطراد من قبل الشاعر ، يحاول به ان يأتي بالحكمة حتى يحمل الناس على التآسي ويخفف عن المصابين الام الفجيعة . وللرثاء اسلوبه الخاص الموافق لهذا الغرض . فالعبارات يجب ان تدل على شدة الآلام التي يحسها الناس بفقد هذا الشخص ، والمعاني يلزم ان تحمل على البكاء والجزع ،

لانم تحوى الكثير من الاسى والحسرة

وليس لشاعرنا في هذا الفن الا ثلاث مراث في شخصين لا يمتان اليه بصلة قربى ، فقد رثى ابراهيم بن جعفر الذي مات صغيراً بقصيدة واحدة ، ورثى ام جعفر في القصيدتين الباقيتين ، ونحن لم نقع له على رثاء قريب ، وكأني به لم ينكب بعزيز ، ولذا لا نستطيع الحكم على عاطفته من رثائه لاباعد عنه ، إذ ان رثاء الأباعد لا يمكن ان يكون قوي العاطفة كرثاء الاقارب ، كما لا نستطيع ان نعتقد بانها عاطفة صحيحة غير مزيفة ، وعلى كل فاني ارى ان الرجل لم يكن رقيق العاطفة ، سريع الانفعال ، شديد التأثر ، بل كان يغلب عليه التعمل الفكري ، والتأمل الفلسفي ، وخصوصاً بعد ان تقدم في العمر ، ولم نقع له مرثية قالها في شبابه ، حتى نرى كيف تنفعل عواطفه في هذا الطور ، ونحن لا نستطيع ان نقيس رثاءه بمقاييس العاطفة وحدها، لانه لم يكن عاطفياً خالصاً في رثائه ، ولانه لم يرث قريباً له او ولد مثلاً ، ويغلب على رثائه لابن ابراهيم بن جعفر وام جعفر الاتزان العقلي ، والتأمل الفكري ، وكأنه ينظر الى البعيد البعيد من اغوار الحياة واعماقها ، فيستخرج من ذلك حكماً جميلة سنعرض لها في حديثنا عن الحكمة عند ابن هاني ، وكذلك يغلب على رثائه نفحة من زهد فى هذه الحياة التي لا ترعى ذماماً لاحد ، ولا تحفظ عهداً ، وكأنه يعزى بذلك السامعين من اهل الفقيد . والواقع انه فى مثل هذا الموقف يعود الانسان الى نفسه ليتأمل الحياة عارية من زخارف التصنع وبهارجه ، واذا به يرى الراحل مثالاً سيحذو حذوه يوماً على كره .

لا رجاء فى خلود كلنا وارد الماء الذي كان ورد

واجل ما فى رثاء ابن هاني، هو حسن اختياره لهذه الاوزان الخفيفة الصالحة

للغناء ، يحرك بانشادها اوتار نفسه ، واوتار نفوس السامعين ، وكأنه توخى من وراء ذلك ان يتغنى الناس بهذه القصائد الجميلة .

مات ابن ابراهيم بن جعفر وله من العمر خمس سنوات ، فرثاه ابن هاني بقصيدة نظمها على بحر الرمل وهو بحر جميل الوقع ، صالح للغناء ، يتجاوب مع العاطفة ، ويهمنا ان نعرض لما قاله فى رثاء هذا الصبى ، قال :

مات من لو عاش في سربالة ... غلب النور عليه فـاتقد
سيد قوبل فيه معشر ... ليس فى ابنائهم من لم يسد
نافس الدهر عليه يعربا ... فرأى موضع حقد فحقد
هاب ان يجري علية حكمه ... فنوى الغدر له يوم ولد
حيث لم ينظر به ريعانه ... انما استعجله قبل الامد
اقصدته ترب خمس اسهم ... لو رمته ترب عشر لم تكد
انما كان شهاباً ثاقبا ... صعق الليل له ثم خمد
جاورت روض ثراه ديمة ... تحمل اللؤلؤ رطبا لا البرد
ان فى الجوسق قبرا تربه ... من دم الباكين اضريح جسد
قد رآه وهو ميت فبكى ... من رآه وهو حى فسجد

ويظهر ان هذا الفقيد قد قبر فى موضع يعرف بالجوسق . بعد هذا يعزى الشاعر الوالد بمعان جميلة ، واسلوب حسن ، فيقول :

لا ملوم انت فى بعض الاسى ... غير ان الحر اولى بالجلد
لو يرد الحزن ميتاً هالكاً ... رد قحطان واد ابن ادد
واكتست اعظم كسرى لحمها ... وسعى لقمان او طار لبد

الى ان يقول :

كلنا نبشع من كأس الردى غير انـــا لا نرانا نستبد
ان تسلنا ففريق ظـــاعن ولياليـنـــا بنا عيس تخد
فلقد اسرع ركب لم يعج ولقد ادبر يوم لم يعـد [1]

اما قصيدتاه في رثاء والدة جعفر ، فقد نظمتا ايضاً على بحرين خفيفين وقد اكثر فيهما من الحكم وفيهما من البلاغة ما يدعو الى الاعجاب ، قال يرثيها :

أعقيلة الملك المشيعها هذا الثنـاء وهذه الزمر
شهد الغمام وان سقاك حيا ان الغـمام اليك مفتقر
كم من يد لك غير واحـــدة لا الدمع يكفرها ولا المطر
ولقـــد نزلت بنيّة علمت ما قـــد طوته فهي تفتخر

وبعد ان يعدد اياديها على الناس ، يصف بكاء النـاس عليها ، وتأسفهم على فقدها ، فكأنهم يحملون بين ضلوعهم جمرا ، وكأنهم بفقدهم هذه المرأة الجميلة ، فقدوا الخبرة والرأي السديد ، والكرم وحسن الاخـلاق ، فقد كانت يعتفيها الناس ، فتغمرهم عطاء .

فاذا سمعت بذكر سؤددهـا ليـــلا اتاك الفجر ينفجر
ولقد تكون ومن بدائعها حكم ومن ايامهـا سير
انا لنؤتى من تجـــاربها علماً بمـــا نأتي وما نذر
قسمت على ابنيها مكارمهـا ان التراث المجد لا البدر [2]

---

١ ديوان – ق ١٤
٢ ديوان – ق ١٩

وفي قصيدته الثانية يرثيها قائلا :

اذا الودق في مثل هذا الرباب ؟ وذا البرق في مثل هذا السنـــا؟
الا انهل هذا بماء القلوب واوقد هذا بنـــار الحشا
وفي ذي النواويس موج البحا ر وما بالبحـــار اليه ظمأ
هلموا فذا مصرع العـــالمين فمن كل قلب عليه اسى

...

ثم يقول فيها :

فلو جاز حكمي في الغابرين وعدلت اقسام هـذا الورى
لسميت بعض النساء الرجال وسميت بعض الرجال النسا [1]

وكأني به قد اخذ هذا المعنى من قول المتنبي في رثاء اخت سيف الدولة .

فان تكن خلقت انثى فقد خلقت كريمة من غير انثى العقل والحسب [2]
وان تكن تغلب الغلباء عنصرها فان في الخمر معنى ليس في العنب

وهكذا نرى ان هذه المراثي الثلاث جميلة وحلوة معنى ومبنى ، فجمال الاسلوب ، لا يقل عن هذه المعاني جمالاً ، بيد اننا لا نحس ان الشاعر قد مس في عاطفته فبكى وان تباكى ، وكل ما هنالك انه اجاد نظماً واحسن تأليفاً ولكن من هذا يبدو لنا ان الشاعر كان متصنعاً للموقف لا يحسه ، مع انه بلغ في هذا الرثاء قمة الفن الشعري ، وان كنا نرى ان الدوافع التي حملت الشاعر على هذا هي المناسبات التي يرجو منها خيراً .

---

١ ديوان – ق : ٥٩

٢ ديوان المتنبي – ص ٤٢٥

ورثاؤه في مجمله يبدو هادئاً رزيناً ، يسير على مهل ، غير مندفع بعاطفة قوية ، كما تظهر عليه خبرة الرجل الذي عارك الحياة وعجم عيدانها ، وتقلب في صروفها ، حتى اصبح لا يعبأ بالعاطفة ، وانما يتجه الى العقل فيخاطبه ، لا يندفع وراء ميوله الجامحة الصادرة عن عاطفة غير مقيدة ، بل يبقى في خط من الاتزان العقلي الذي يدل على ان السنين قد انضجته ، وأني لأحس انه لم يرث الا بعد ان تقدم في العمر ، فاكسبته الحياة من تجاربها الشيء الكثير واعمل بصروفها البصيرة ، فاذا الاتزان يسيطر على مشاعره ، واذا به يرثي وهو يرتدي هدوء الشيخ ، ويحمل حكمة الكهل ، وتفكير الحكيم ، فلا تزعزعه رياح المواطف ، ولا تهزه المشاعر الجامحة .

الحكمة في شعر ابن هاني

ليست الحكمة عند ابن هاني وليدة العلم والمعرفة الفلسفية، ولكنها خلاصة خبرة ونتيجة تأمل ، وهي بسيط للغاية ، لا يظهر عليها اثر التصنع الفلسفي ، ولا التعمل الفكري العميق ، وكأني بهذه الحكمة تساير ثقافة الشاعر العربية الخالصة ، التي لم تعقدها الفلسفة بافكارها المتنوعة ، وهي حكمة مستمدة من تجارب الحياة ، ولا يعني هذا ان الشاعر قد مر بالضرورة في هذه التجارب كلها فخبر الحياة بحلوها ومرها ، بل نرى انه جرب وقرأ وتأمل واخذ من تجارب غيره ما يحتاج، ومن تأملاته ما رآه صواباً ، فكانت حكمة لا تحتاج الى تفكير عميق لانها تنبع من صميم الحياة ، ولم يكثر منها كما اكثر المتنبي ، بل كانت له ومضات قليلة ، طال بعضها ، وقصر بعضها الآخر ، وقد ورد في قصائده ابيات متفرقة ، ولكنه تعمد الحكمة تعمداً في الرثاء وكأنه يود ان ينقل أهل الفقيد من التفكير بهول المصيبة ، الى التفكير في الحياة ذاتها ، فيجدوا في ذلك عزاء، وهذه براعة لم نعهدهـــا في شعراء العربية من قبل الا قليلاً ، ويبدو ان هذه التاملات هي التي صرفت ابن هاني عن الاتجاه العاطفي في الرثاء ، فظهر هادئا

رزينا امام المصيبة ، فهو رجل يرى ويفكر ويعلم ان غاية كل حي الى هذه الحفرة من التراب ، ويعلم ان البكاء لا يرد ميتاً ، فما النفع اذن من كل هذا البكاء، وماذا تعوضنا مداومة الاحزان غير الهم والكدر .

ويتضح لنا ان ابن هاني كان كثير التوكؤ على معاني غيره الحكمية، يأخذها فيصبها في قالب خاص به ، فتبدو وكأنها له ، وثقافة ابن هاني العربية ثقافة واسعة ، فقد اخذت من القرآن وعلومه باوفر نصيب ، وضربت في علوم اللغة بسهم وافر ، وكان له من تفكيره ما يقوده الى هذه النتائج غير المفلسفة ولا المعقدة . وهذه الحكم المتفرقة في قصائده ، وان كانت قليلة ، تدل على نضجه الفكري ، ونظرته الواقعية للامور ، يرى الايام في تقلباتها وتصرفاتها ، فاذا هي لا تقر انساناً على حال ، تفرحه اليوم فتبكيه غداً ، دهر ايامه قلب لا يأمن معها العاقل البوائق ، مضى الاولون ونحن على آثارهم مقتدون ، اتى على تلك الامم السالفة حين من الدهر ثم ذهبت فلم تك شيئاً مذكوراً . تمر هذه التأملات في ذهنه فاذا هي على لسانه ابيات من الشعر جميلة ، يتغنى بها لسانه ، ويحسها فؤاده . نقرأ له :

وما النـاس الا ظاعن ومودع ... وثاو قريح الجفن يبكي لراحل
فهل هذه الايام الا كما خلا ... وهل نحن الا كالقرون الاوائل
نساق من الدنيا الى غير دائم ... ونبكي من الدنيا على غير طائل
فما عاجل نرجوه الا كآجل ... ولا آجل نخشاه الا كعاجل [1]

فنحس روحاً تزهد في الحياة ، وتمل البقاء قبل ان تشبع من الحياة ، او

---

١ ديوان : ق ٤٢

تتملى من مباهج الدنيا ، وهذه هي عملية الفكر الواعي ، يرى تصرفات الحياة فيعلم انها لا ترضى الا اذا مزجت لذائذ الحياة بمرارة الصاب ،

وليس ترضى الليالي في تصرفها الا اذا مزجت صابا بقنديد [1]

والايام لن تغفل عن اذيتنا ، وكر الجديدين يبسط لنا الحبل حيناً ويقبضه عنا حيناً اخر .

وللجديدين من طول ومن قصر حبلان منقبض عنا ومنبسط [2]

يرى بأم عينيه تقلبات الايام ، وتغييرات الدهر ، ويعرف مـــا جبل عليه الناس من لؤم الطباع ، ونكرانهم للمعروف ، ويحز في نفسه هذا ، فيقول :

ويا رب من تعليه وهو منافس وتسدي اليه العرف وهو كنود

وكأنه قد اخذ المعنى من قول المتنبي :

اذا انت اكرمت الكريم ملكتـــه وان انت اكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى [3]

والليالي عنده كالغواني لا يركن اليهن ، ولا يدمن على حال ، اذ من طباعهن التقلب ، يلاحظ ابن هاني كل هذا ببصر حديد ، وبصيرة مدركة فيقول :

ولا كالليالي ما لهن مواثق ولا كالغوانى ما لهن عهود [4]

---

١ ديوان : ق ١٢
٢ ديوان : ق ٢٦
٣ ديوان المتنبي : ص ٣٦١
٤ ديوان : ق ١٣

وهذه المعاني التي يذكر فيها تقلبات الايام وتصرفات القدر ، تتردد كثيراً في رثائه فتصبغه بصبغة الزاهد بالحياة ، العازف عن ملاهيها ومفاتنها ، الضارب في التقوى باوفر سهم ، وانت لو قرأت له قصيدة في الرثاء ، حذف منها اسم المرثي ، لما كنت تعتقد ان هذه القصيدة لابن هاني ، وذلك لسهولة الفاظها ، ولطف تعابيرها ، وكون هذه المعاني غير مألوفة في شعره كثيراً ، وانت لا شك واجده في هذه المرثيات الثلاث واعظاً زاهداً، وحكيماً يغلب عليه التأمل الفكري ببساطته وبعده عن التعقيد الفلسفي . إسمع اليه يدعو الناس الى ان لا ينتظروا من هذا الدهر المتقلب ، وهذه الايام التي تحمل معهـــا النكد ، خيراً وذلك حيث يقول :

خاب من يرجو زماناً دائماً نعرف البأساء منه والنكد
فاذا ما كدر العيش نمـــا واذا ما طيب الزاد نفد
فلقـــد ذكر من كان سها واقد نبه من كان رقـــد

الا ترى ان هذا الزمان اذا اصاب انساناً بمكروه اتبعه بالام واحزان ، واذا اعطاه من العيش حلواً ، لا يلبث ان يسترده ، فهو دائماً

منتض نصلا اذا شاء مضى رائش سهماً اذا شاء قصد
فاذا فوّقه انفل له بين صدين فؤاد وكبد

فهل يرجى مع زمن كهذا بقاء ، وهل يؤمل منه خير ؟ وعلى العاقل ان لا يأمن بوائق الايام لانها

وهي الايام لا يأمنها حازم يأخذ من يوم لغد

ونحن وان كرهنا الموت لا بد واردوه .

كلنا نبشع من كاس الردى غير انا لا نرانا نستبد
ان تسلنا ففريق ظاعن ولياليا بنا عيس تخد

...

فلقد اسرع ركب لم يعج ولقد ادبر يوم لم يعد [1]

ونحن لانرى في هذه الابيات المصطنعة بالزهد، والمكتسية حكمة، اي اثر للعملية العقلية، او التفكير الفلسفي، انما هي تجارب شخصية، وتأملات واعية، وادراك لواقع الحياة. وفي مرثيته لام جعفر كثير من الحكم البسيطة التي تروقنا باسلوبها وبساطتها، وهي بمجملها تصور لنا الشاعر زاهداً ينصرف عن الحياة وزخارفها، ويعزف عن لذائذها، او كأنه ذلك الواعظ الذي ينبه الناس لما هم فيه سادرون، حيث يقول:

انا وفي آمال انفسنا طول وفي اعمارنا قصر
لنرى باعيننا مصارعنا لو كانت الالباب تعتبر
مما دهانا ان حاضرنا اجفاننا والغائب الفكر

وجميل به ان يلوم اولئك الذين يرون باعينهم تصرفات الايام ثم لا يفكرون، كأن على قلوب اقفالها، تبصر اعينهم، ولا تعي افئدتهم،

فاذا تدبرنا جوارحنا فأكلهن العين والنظر
لو كان للالباب ممتحن ما عد منها السمع والبصر

---

١ ديوان - ق: ١٤

اي الحياة الذ عيشتهـــا من بعد علمي اننا بشر
خرست لعمري الله السننا لما تكلم فوقنا القدر

والحقيقة واضحة ، وهي ان الانسان لا يستطيع ان يعاند القـــدر ، ولن تنفعه عزته ولا الحصون التي يشيد

هل ينفعني عز ذي يمن وحجوله واليمن والغرر
ها انها كأس بشعت بها لا ملجـــأ منها ولا وزر
فانبذ وشيجا وارم ذا شطب لا البيض نافعة ولا السمر
دنيـا تجمعنا وانفسنا شذر على احكامهـا مذر

. .

ولكل سابق حلبة امد ولكل وارد نهلة صدر
وحدود تعمير المعمران يسمو صعوداً ثم ينحدر
والسيف يبلى وهو صاعقة وتنال منه الهام والقصر
والمرء كالظل المديد ضحى والفيء يحسره فينحسر
ولقد حلبت الدهر اشطره فالاعذبان الصاب والصبر[1]

هذه الابيات الجميلة الالفاظ ، الحلوة المعاني ، التي تجنب فيها الغريب فبدا فيها وقد بلغ قمة الفن ، تعد في الواقع من غرر الحكم مع بساطة افكارها القائمة على الملاحظة والتأمل الشخصي ، دون العمل الفكري الفلسفي .

وفي قصيدة اخرى يرثي فيها ام جعفر ايضاً حيث تبدو عليه سيماء الزهاد ،

---

١ ديوان – ق : ١٩

ووقار الحكماء ، وخبرة ذوي التجربة ، يقول :

الا كل ات قريب المـــدى وكل حيـــاة الى منتهى
وما غر نفسا سوى نفسها وعمر الفتى من اماني الفتى
فاقصر في العـــين من لفتة واسرع في السمع من ذا ولا
ولم ار كالمرء وهو اللبيب يرى ملء عينيه ما لا يرى
وليس النواظر الا القـلوب واما العيون ففيها العمى
ومن لي بمثل سلاح الزمان فأسطو عليه اذا مـــا سطا
يجد بنا وهو رسل العنان ويدركنا وهو داني الخطى
برى اسهمـــاً فنبا ما نبا فلم يبق الا ارتهاف الظبى
تراش فـــترمى فتنمي فلا تحيد وتصمي ولا تدرى [1]

وهذه الحكم في قالبها الجميل ، واسلوبها السلس السهل ، ومعانيها البسيطة ، تبدو متزنة وهينة لان بها خبرة مكتسبة من الحياة ، وتجـــارب مأخوذة من الحياة ، وتجارب مأخوذة من الايام لا اثر فيهـا لعمل الفكر ، وكأني بها وقد خرجت من اعماق احاسيسه ، وصدرت عن قلبه الوجل امـام تقلبات هذه الايام ، فاخذت من جمال الشعور ، وجمال الاسلوب ، وسمو المعنى مع بساطته ، شيئاً كثيراً . وهذه الحكمة لا نراها كثيرة في شعره ، بل هي قليلة جداً ، ولولا هذه المراثي الثلاث لما ظفرنا بهذا القدر من الحكم الجميلة .

وهذه الحكم ايضاً تختلف عن حكم المتنبي ذلك الرجل الذي عجم الحيـاة عجماً ، ولاكها بقوة ، وهضم ثقافات مختلفة ، وعرف الفلسفة اليونانية ، والفكر

---

١ ديوان : ق - ٥٩ .

الاجنبي ، واذا بكل هذا يترك رواسب ولكنها رواسب جميلة وغنية ، واذا بلسانه الشاعر ، وقلبه الحساس ، ينظمانها حكمة خالدة نعجب بها ، ونطرب لسماعها ، لانها تكاد تكون لسان كل امرىء ، وان لم يعرف الفلسفة ، فقد نظمها بقالب عربي ، واضاف اليها جمال الموسيقى فكتب لها الخلود . ونحن اذا ما اردنا ان نقابل بين حكمة ابن هاني وحكمة المتنبي ، يجب ان لا يغرب عن بالنا عامل هام ، هو عامل الثقافة الواسعة الشاملة الهاضمة المتمثلة للثقافات المعروفة في القرن الرابع عند المتنبي ، وثقافة ابن هانيء القائمة على دعائم اللغة العربية ودراسة العلوم القرآنية ، وما اضاف الى ذلك من التعاليم الباطنية . وليس من الانصاف ان نقيس ابن هاني بالمتنبي مع هذا الفارق العظيم ، وان كان لكل منهما تجاربه واختباراته ، ذلك ان الشمول الثقافي عند المتبي اسعفه كثيراً ، بينما لم تسعف ابن هاني ثقافته ، وعلى هذا يعتبر المتنبي شاعر الحكمة الخالدة في اللغة العربية ، لا ينازعه مكانته احد ، وقد ترك حكماً رائعة لا تزال ترددها الالسن باعجاب ، وسترددها مهما تقادم الزمن ، وقد تراوحت هذه الحكم بين تجربة شخصية تركت في نفس المتنبي اثراً ، وعملية فكرية عميقة ، كانت نتيجة حتمية لهذه الثقافة ، ولنسمع الى بعض حكمه حتى نحس الفارق بينها وبين حكمة ابن هاني التي استعرضناها . قال المتنبي :

وشبه الشيء مجتذب اليه واشبهنا بدنيانا الطغام [1]

...

لا افتخار الا لمن لا يضام مدرك او محارب لا ينام
ليس عزماً ما مرض المرء فيه ليس هما ما عاق عنه الظلام

---

١ ديوان المتنبي – ص ٩٢

واحتمال الاذى وزؤية جانبه غذاء تضوى به الاجسام
ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش اخف منه الحمام
كل حـــلم اتى بغير اقتدار حجة لاجيء اليهـــا اللئام
من يهن يسهل الهوان عليه مـــا لجرح بميت ايلام [1]

...

ولو ان الحياة تبقى لحي لعددنا اضلنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد فمن العجز ان تموت جبانا [2]

...

ولقد رأيت الحادثات فلا ارى يققاً يميت ولا سوادا يعصم
لايسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم [3]

...

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره اذا استوت عنده الانوار والظلم [4]

...

لا بد للانسان من ضجعة لا يقلب المضجع عن جنبه
يموت راعي الضأن في جهله موتة جالينوس في طبه (ميتة)

---

١ ديوان المتنبي - ص ١٤٩
٢ ديوان المتنبي - ص ٤٧٠
٣ ديوان المتنبي - ص ٢١٨
٤ ديوان المتنبي - ص ٢٢٣

وغاية المفرط في سلمه كغاية المفرط في حربه [1]

هذا قليل من كثير من حكم المتنبي ، واعجب ما فيها ان اكثر ظهورها في المدح فكأنها تصوير لتلك المرارة التي كان يحسها وهو يمدح من لا يراهم فوقه ، فيحز هذا الحال في نفسه ، فتكون هذه الحكمة الرائعة .

اما حكمة ابن هاني فقليلة نادرة ، وهي تكثر في رثائه ، وتندر في مدحه ذلك ان مشهد الموت كان يحمله على التفكير في هذه الحياة ، وتقلبات الدهر ، فتأتي افكاره جميلة عليها صبغة الزهد والضعف ، بينما نري افكار المتنبي تمثل القوة والطموح ، وتعبر عن اماني النفس التي لا ترضى عن المجد بديلا .

---

١ ديوان المتنبي – ٥٧٢

الوصف في شعر ابن هاني

لم ينصرف ابن هاني لذاته فيصور احاسيسه ، ويتحث عن وجدانياته، لكنه سلك مسلكاً ابتعد به عن نفسه فلم يفكر بها الا لماماً ، وهو كشاعر تطرق الى فنون شعرية مختلفة بيد انها لم تكن مستقلة ، ومن هذه الفنون الوصف ، ونحن نعجب كثيراً اذ لا نرى أثراً للطبيعة في شعره حتى نحس انه نسي الطبيعة الاندلسية الجميلة او أنها لم تحرك فيه اوتار نفسه ، فلم يكن لها حتى انعكاسات بسيطة في شعره . ويبدو ان طبيعة افريقية لم تثر اهتمامه ، ولم تستهوه بجمالها ، فادار لها ظهره ، وهو لم يفتش عن الجمال في الطبيعة ، وفيها كل الجمال الذي يشعر به ذو الحاسية المرهفة ، وكأني به قد صرفه حب المال وشهوة الغنى ، والسعي وراء اللقمة ، الى المدح فقط ، حتى أنسي كل ما حوله من جمال الا ما كان يتعلق بالممدوح من قريب او بعيد ، اما اذا اراد ان يصف ما له علاقة بالممدوح ، كمجلس انس ، او زهرة مثلاً ، جاء وصفه متكلفاً متعملاً ، ونحن نعرف ان ليس لشاعرنا وصف لا يتعلق بممدوح الا ابياتاً قليلة ، وكان كل ما لا يجلب المال ، ويأتي بالرزق ، لا يهمه ، وما هو الذى يكسبه من شعر ينظمه في موضوع ذاتي ، او وصف مستقل،وان كان يتجاوب ذلك مع شعوره،

وخير له ان يصرف هذا الوقت في نظم قصيدة يمدح بها انساناً يستجدي منه مالاً ، من ان يصرفه في تصوير مشاعره ، والتعبير عن خلجات نفسه .

وقد اضطر بحكم المدح ان يصف عظمة ممدوحه ، فيصف جيشه وخيله واسطوله ، واجاد كل الاجادة في وصف الخيل ، بشكل جعلنا نحس انه مغرم باصائل الجياد ، كثير الاعجاب بجمال خلقها ، وحسن منظرها ، ذلك انه اندفع في وصفها وكأنه يصف شيئاً عزيزاً عليه ، يعجبه منها الوانها وزينتها ، سيرها وركضها ، وكأنها في كل حركة من حركاتها تحرك وتراً في نفسه وتلمس شعوراً في قلبه ، فتشعر وكأنه عاشق لها ، ولوع بها ، وهو لا ينسى ان يتحدث عن اولئك الذين امتطوا صهواتها ، وجردوا سيوفهم ، واشرعوا رماحهم ، وتهيئوا للزحف ، وهكذا يصف الجيش . وهو قد رأى اسطول المعز بعدده وعدته ، وشاهد سيره في البحر فوصفه ايضاً ، وتصور معارك المسلمين مع الروم ، فتحدث عن ذلك فكان له وصف المعارك البحرية ، لكنه اذا عرض لغير هذه الموضوعات ، جاء قوله متصنعاً متكلفاً ، وقد وصف النجوم في قصيدته التي مطلعها :

أليلتنا اذ ارسلت وارداً وحفا وبتنا نري الجوزاء في اذنها شنفا[1]

ولم يسمع في وصف النجوم احسن من قصيدته «هذه» وهذا الشعر وان جمع من التشبيهات ما لم يجمعه غيره فانك لا تجد فيه من حلاوة اللفظ وسهولة الحفظ[2] ما تجده في غيره . وهذا مقياس نقدي مقبول اذا ما اردنا ان نعرف جمال القصيدة من حيث المعنى والمبنى .

---

١ ديوان – ق ٣١

٢ ابن سعيد المغربي – رايات المبرزين واخبار المبزين ص ٥٥

لقد وصف ابي هاني الخيل ، هذه الاعوجيـــات التي اذا ما ركضت بدت طائرة او ســـابحة ، وتبقى سابقة في ركضها ، فهي جرد عناجيج ، واجمل ما قال في وصف الخيل ، هي قصيدته التي يمدح فيهـــا الخليفة ، ويتحدث عن هدية جوهر له، وفيها الكثير من الخيل التي كأنها الغانيات تسير بزهو وكبرياء، ثم هي مكحولة المدامع ، تنظر بمقلة احوى وفيها يقول :

الا هكذا فلتجلب العيس بدنا ... الا هكذا فلتجنب الخيل ضمرا
مرفلة يسحبن اذيال يمنة ... ويركض ديباجاً ووشياً محبرا
تراهن امثال الظباء عواطيا ... لبسن بيبرين الربيع المنورا
يمشين مشي الغانيات تهاديا ... عليهن زي الغانيات مشهرا
وجررن أذيال الحسان سوابغا ... فعلمن فيهن الحسان تبخترا
ترى كل مكحول المدامع ناظرا ... بمقلة احوى ينفض الضال احورا

ويتحدث بعد ذلك عن الوانها المختلفة ، اذ ان منها ما هو ابلق او ورد او اشقر ، ومنها الكميت والادهم ، الى غير ذلك من الوان ، ويتحدث بعد هذا عن شعوره امام هذه الجياد الجميلة ، الحسنة الخلق ، التامة التكوين ، واذا به يعترف قائلاً :

يقر بعيني ان أرى من صفاتها ... ولا عجب ان يعجب العين ما ترى
أرى صوراً يستعبد النفس مثلها ... اذا وجدته او رأته مصورا
أفكه منها الطرف في كل شاهد ... بان دليل الله في كل مـــا برا
فأخلس منها اللحظ كل مطهم ... ألذ الى عين المسهد من كرى [1]

---

١ ديوان - ق ٢٣

ويعجبه منظر الخيل وقد أعدت للركوب وهيئت للقتال فتطرب نفسه وتتفاعل مشاعره واذا بلسانه يقول :

والخيل تمرح في الشكيم كأنها عقبان صارة شاقها الاوكار
من كل يعبوب سبوح سلهب حص السياط عنانه الطيار
لا يطبيه غير كبة معرك او هبوة من مأقط ومغار
سلط السنابك باللجين مخدم واذيب منه على الاديم نضار

ويتطلع الى وفرته فاذا هي غدائر غادة جميلة لم تهمل شعرها ، ولم يمسها بؤس ولا اقتار

وكان وفرته غدائر غادة لم يلقهـــا بؤس ولا اقتار

ويراها تركض ، فيتساءل عن هذا الركض ونوعه لانه يظن انها تطير ،

مرّت لغايتها فلا والله ما علقت بها في عدوها الابصار
وجرت فقلت أسابح ام طائر هلا استثار لوقعهن غبار

وهل من غرابة في ذلك وهي

من آل اعوج والصريح وداحس فيهن منهـــا ميسم ونجار [1]

وهي من اجود خيول العرب .

ونقرأ له هذه الابيات فنحس كأنه متيم بهذه الجياد ،

من كل يعبوب يحيد فلا تري الا قذالا ساميا وتليلا

---

١ ديوان – ق ٢٤

وكأن بين عنانه ولبانه رشأ يريع الى الكناس خذولا
لو تشرئب له عقيلة ربرب ظنته جؤذر رملها المكحولا
تتنزل الاروى على صهواته ويبيت في وكر العقاب نزيلا
يهوى بأم الخشف بين فروجه ويقيد الادمانة المطبولا [1]

فهو كحصان امرىء القيس يقيد الاوابد ويسابق الطير . وكثيراً ما يأتي الشاعر بمبالغات فيها شيء من الاغراق القوي في القول ، كقوله :

واجل علم البرق فيها انها مرت بجانحتيه وهي ظنون [2]

ونحن نغفر له هذه المبالغات فهو شاعر ، وقد يجمح الخيال بالشاعر في كثير من الاحيان .

وهو بحكم وظيفته كشاعر للمعز ، رأي الجيش يعده المعز ، ويزجيه كثيفاً ، حتى كأنه موكل بقضاء الله ، وهذه الفتية الشيعية التي نذرت نفسها لله ، وآل بيت رسول الله ، تعلو صهوات هذه الجياد الجميلة ، وقد تقلدت سيوفها ، وأشرعت رماحها ، ووطدت نفسها على الحرب والجهاد ، في سبيل العقيدة . يرى ابن هاني كل هذا ويروقه المنظر فيقول :

عليها المغاوير في السابغات ترفرف مثل متون الاضا
حتوف تلهى بامثالها واسد تغذ باسد الشرى
تبختر في عصفر من دم وتخطر في لبد من قنا

---

١ ديوان – ق ٤١
٢ ديوان – ق ٥٣ : ٧٣٧

ويرى الاعادي سيوف هؤلاء فيتوهمونها سرجاً او ناراً تصطلي

وقال الاعادي أأسيافهم أم النار مضرمة تصطلى
رأوا سرجاً ثم لم يعلموا أهندية قضب ام لظى
ومنتقدات تذيب الشليل من فوق لابسه في الوغى
من اللاء تأكل اغمادها وتلفح منهن جمر الغضا [1]

او يقول عن هؤلاء الشباب الذين علوا متن خيولهم

وعلى مطاها فتية شيعية ما ان لها إلا الولاء شعار
من كل اغلب باسل متخمط كالليث فهو لقرنه هصار
قلق الى يوم الهياج مغامر دم كل قيل في ظباه جبار
ان تخب نار الحرب فهو بفتكه ميقادها مضرامها المغوار
فأداته فضفاضة وتريكة ومهند ومثقف بتار
اسد اذا زأرت وجار ثعالب ما ان لها الا القلوب وجار [2]

واذا ما عرض للاسطول وصفه بقطعه الكثيرة وقد نشرت اعلامه ، وراح يمخر عباب البحر ليلقى العدو

مؤاخر في طامي العباب كأنه لعزمك بأس او لكفك جود
انافت بها اعلامها وسما لها بناء على غير العراء مشيد
من الراسيات الشم لولا انتقالها فمنها قنان شامخ وربود
من الطير الا انهن جوارح فليس لها الا النفوس مصيد

---

١ ديوان – ق ٥٣
٢ ديوان – ق ٢٤

من القادحات النار تضرم للطلى فليس لها يوم اللقاء خمود
اذا زفرت غيظاً ترامت بمارج كما شب من نار الجحيم وقود
فانفاسهن الحاميات صواعق وافواههن الزافرات حديد

وهذه الابيات تعطينا فكرة واضحة عن كيفية تجهيز هذه المراكب الحربية، بمدافع تبصق اللهب ، صنعت من حديد ، وربما كانت تشبه المجانيق .

وتزين هذه المراكب بنقوش مختلفة ، واستار مفوفة ، كثياب الخرد الكواعب ، مما يدل على العناية الزائدة بها

لها من شفوف العبقري ملابس مفوفة فيها النضار جسيد
كما اشتملت فوق الارائك خرد او التفعت فوق المنـــابر صيد

وقد صفحت بالحديد لتصد الامواج

لبوس تكف الموج وهو غطامط وتدرأ بأس اليم وهو شديد
فمنها دروع فوقها وجواشن ومنها خفاتين لها وبرود [1]

وقد كانوا يطلون هذه السفن بالقار لحفظها ، فتبدو سوداء ،

وسفن اذا ما خاضت اليم زاخرا جلت عن بياض النصر وهي غرابيب
تشب لها حمراء قان اوارهـــا سبوح لها ذيل على الماء مسحوب [2]

وقد وصف النجوم في قصيدة اعجب بها القدماء ، ولكنهم لاحظوا ان لا

---

١ ديوان – ق ١٣
٢ ديوان – ق ٣

حلاوة في لفظها ، ولا سهولة في حفظها ، ومما قاله في وصفه لاقبال الصباح وافول النجوم :

وقد ولت الظلماء تقفو نجومها وقد قام جيش الفجر لليل واصطفا
وولت نجوم للثريا كأنهـــا خواتيم تبدو في بنان يد تخفى[1]

ثم يتحدث عن النجوم ، فيدهشنا بسعة معرفته لما كان يعرف في زمانه من اسماء النجوم، من الشعري العبور ، الى الدبران ، فالسماكين وبنات نعش وسهيل والسهى والنسر ، وغير ذلك من اسماء ، ويبدو أنها حشدت عمداً ليتيه بمعرفته على علماء الفلك في زمانه ، بل وربما كان الاعتقاد قوياً بتأثير النجوم ، او أن هذه المعارف كانت تدرس في جملة ما يدرس في مدارس الاسماعيلية في افريقية.

واما الحصري فرأيه في هذه القصيدة واضح من قوله : وقد احتذى طريقه – الضمير عائد الى علي بن مسجد الكوفي – ابو القاسم محمد بن هاني [2] وهذا يعني ان ابن هاني توكأ في معاني قصيدته على المعاني التي وردت في قصيدة علي بن محمد الكوفي التي مدح فيها علي بن داود حتى في وصف النجوم حتث يتنقل من الوصف الى المدح قائلا :

كأن نذير الشمس يحكى ببشره علي بن داود أخي ونسيبي [3]

وهذا يشبه تماماً انتقال ابن هاني في قصيدته تلك حيث يقول :

---

١ ديوان – ق ٣١
٢ الحصري – زهر الآداب وثمر الالباب ج ٢ – ص ٧٥٥
٣ الحصري – زهر الآداب وثمر الالباب ج ٢ – ص ٧٥٣

كأن لواء الشمس غرة جعفر رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

وقد وصف ايضاً قصراً بناه ابراهيم بن جعفر في قصيدة هنأه بها فقال :

والقبة البيضاء طائرة به تهوى بمنخرق الصبا اعنانها
ضربت باروقة ترفرف فوقها تهوى بفتح قوادم خفقانها
علياء موفية على عليائه في حيث اسلم مقلة انسانها
بطنانها وثني البرود وعصبها فكأنه قوهيها ظهرانها
نيطت اكاليل بها منظومة فغدا يضاحك درها مرجانها
وتعرضت دور الستور كأنها عذبات اوشحة يروق جمانها
وكأن افواف الرياض نثرن في صفحاتها فنفوفت الوانها[1]

ووصف جلنارة فكان وصفه لها في غاية التصنع ومنتهى التكلف مما افقد الشعر كل حلاوة وطلاوة ويعد الحميري التشبيهات التي وردت في هذه الابيات « من التشبيهات العقم »[2].

وبنت ايك كالشباب النضر كأنها بين الغصون الخضر
جنان باز او جنان صقر قد خلفته لقوة بوكر
كأنما بجت دماً من نحر او نشأت في تربة من جمر
او رويت بجدول من خمر لو كف عنها الدهر صرف الدهر
جاءت بمثل النهد فوق الصدر تفتر عن مثل اللثات الحمر
في مثل طعم الوصل بعد الهجر[3]

---

١ ديوان – ق ٥٧
٢ ابو الوليد اسماعيل بن عامر الحميري : البديع في وصف الربيع ص ١٥٨
٣ ديوان نشر كرم البستاني – ص ٤٢٨

وقوله « تربة من جمر » تنشأ فيها جلنارة لطيفة وان كان لونها احمر قانيا غير موفق وعلى كل فان وصفه كانت تحركه دوافع المدح فاذا لم تكن هناك دوافع جاء الوصف متصنعاً متكلفاً .

الفصل السابع

اللغة بين المتنبي وابن هاني

ليست اللغة الا وسيلة لنقل الافكار ، والكلمات التي نستعملها في التركيب اللغوي تعين على توضيح الفكرة وجلائها ، ويمتاز الشعر من النثر بان الكلمة في الشعر يجب ان تكون قوية الايحاء ، مصورة ترضي العقل والمخيلة والعاطفة والاذن . ترضي العقل بجمال الفكرة وسموها ، وترضي المخيلة بما توحيه من صور بديعة متناسقة ، وترضي العاطفة بتحريكها للمشاعر الانسانية الخالدة ، وترضي الاذن بموسيقاها العذبة . وبقدر ما يستطيع الشعر ان يوجد الانسجام بين هذه العناصر يكون جميلا محبباً للنفس ، وسهل الحفظ ، لانه سريعاً ما يدخل الى اعماق النفس ، فتتشبث هذه بها بشكل لا يفلت معه بسهولة ابداً . والواقع هو ان الشعر قبل كل شيء ، اتصال كائن بين الشاعر والقارىء بواسطة كلمات بسيطة قليلة قادرة على نقل

شحنة نفسية [١] ، وكلما استطاع الشاعر ان يثقلها بعواطفه، كانت الصق بالنفس، اذ كل ما خرج من القلب دخل القلب ، ولذا كان على الشاعر ان يحسن اختيار هذه الكلمات حتى تؤدي مهمتها في التعبير عن احاسيس الشاعر الخاصة ، اذ ان كل ما يريده الشاعر هو نقل ما يحس به من حالات معينة « والعبارة الموفقة والمفضلة التي تنقل هذه المشاعر ، تنقل معها بدرجة ثانوية شيئاً من اللذة التي يشعر بها الناظم اثناء عملية الخلق الشعري ، وتتفاعل هذه الشحنات ، وتمتزج مع السائل النفسي ، ومن ثم تهاجر الى اشخاص اخرين هم قراء القطعة الشعرية . وهذا الانفصال السروري الذي تحمله معها الجملة المطابقة لمقتضى الحال – على حد تعبير البلاغيين – يشبه الحالة التي يحدثها سماع نكتة هزلية » [٢] اذ ان سماعها يسير الضحك في النفوس ، وهو نفس الحال التي شعر بها القائل في الموقف الذي ادى الى قول هذه النكتة . والقصيدة ككل لا تنقل الينا شيئاً ثابتاً لا يتغير ولا يتبدل وانما تنقل لنا تأملات سائلة لمحتوى نفسي غني ومركب .

والتفاضل بين الشعراء يكون بالقدرة على نقل هذه الحالات النفسية الى القراء باسلوب سهل وكاف لتأدية هذه المعاني الذاتية ، وفي هذه القدرة يكمن العنصر المميز لشاعر عن اخر [٣].

وهكذا نرى ان التركيب الشعري يقتضي الكلمة الموحية المعبرة، والموسيقية المصورة التي تستطيع ان تلامس شغاف القلب ، وتطرب اصماخ الآذان ،وكأن الشاعر يحاول دون وعي ان يساعد القارىء على فهم افكاره،وذلك بنقله الى الجو

---

١ Carlos Bousono : Téoria de la expression poética pag. 20

٢ Carlos Bousouo ; Téoria de la expression poética pag. 29

٣ Carlos Bousono : Téoria de la expression poética pag. 23

الذي عاش فيه وهو يبدع قطعته ، حيث يمكن ان نرافقه في انفعالاته الداخلية، والكلمة الشعرية هي التي تحدث في نفوسنا الشعور الذي احس به القائل، وكانت هذه الكلمة تعبيراً عنه ، وهذا يعني ان الكلمة الشعرية اقدر على نقل الاحساس الفردي من الكلمة النثرية او اية كلمة اخرى ، فهي كلمة جمالية ، تستطيع ان تثير اعجابنا وعواطفنا ، فاذا اخفقت في ذلك، فلن نستطيع ان نحس ما احسه قائلها ، والموسيقى ضرورة ملحة في الشعر ، لانها تساعد في تحريك العاطفة ، والقصيدة التي لا نستطيع فهمها لا تثير فينا شعوراً ، ولذا نلاحظ انه اذا ما تقعر الشاعر في طلب المفردات ، وعقد في صياغة التركيب ، وتعمق في صوغ المعاني ، اي انه كان متكلفاً في عمليته الشعرية ، فانا نفقد اللذة التي كان يجب ان نشعر بها ونحن نقرأ المقطوعة الشعرية .

وابن هانيء الاندلسي يجعلنا نحار اذا ما قرأنا له ، ذلك انا نقرأ له قصائد طويلة فلا تعجبنا ، ونمر بمقطوعات اخرى فيثير اعجابنا ، وينتزع تقديرنا . شاعر نمر ببعض قصائده فنشعر لولا دلائل اسلامية ، اننا امام شاعر جاهلي ، ونمر بقصائد اخرى فنجد سهولة المحدثين من الشعراء ونحار بين بدوية متقعرة ، وحضرية سهلة ممتعة ، وكذلك نمر بابيات كثيرة يعجبنا بناؤها ، فاذا فتشنا عن المعنى خرجنا بلا طائل وهذا ما دعا ابا العلاء المعري ان يقول « ما اشبهه الا برحى تطحن قروناً »[1].

ولقد كان ابن هانيء ذا ثقافة لغوية عظيمة ، واطلاع قوي على الشعر العربي القديم ، وفي شعره دلائل كثيرة على هذا الرأي فقد حشد بعض اسماء

---

١ ابن خلكان – وفيات الاعيان ج ٣ – ص ٤٩

الشعراء الجاهليين في قصائده ، كما ذكر بعضاً من شعراء الاسلام الاوائل ، وهو مطلع ايضاً على التاريخ ، وخاصة التاريخ الاسلامي ، وتاريخ البيت الهاشمي الذي تفرض العقيدة معرفته ، وهو ايضاً قد عرف المتنبي وقرأ ديوانه ويعترف بانه استعار ديوان المتنبي من رجل كان يملكه ، رابطاً في رده ، فعاتبه الرجل ، فردّ عليه بقصيدة قال فيها :

اعرتمـــوني نفيساً منه في ادم فمن لكم ان تعاروا البحث والنظرا[1]

ولكننا لا نعرف بالضبط التاريخ الذي اطلع فيه على ديوان المتنبي ، وان كنا نرجح انه اطلع على قسم منه كبير قبل ان يطلع على الديوان بكامله يدل ذلك التشابه التام في المواقف التي كان يقفها ابن هانيء من حيث اعتداده بشعره وافتخاره به ، ولنقرأ لابن هانيء قوله:

فان اك محسوداً على حر مدحكم فغير نكير في الزمان الاعاجيب
اراني اذا ما قلت بيتاً تنكرت وجوه كما غشى الصحائف تتريب
أفي كل عصر قلت فيه قصيدة علي لاهـــل الجهل لوم وتثريب
وماغاظ حسادي سوى الصدق وحده وما من سجايا مثلي الافك والحوب
ارى اعيناً خزرا اليّ وانما دليلا نفوس الناس بشر وتقطيب
ابن موضعي فيهم ليفخر غالب يبين بسياه ويـــدحر مغلوب
وقد اكثروا فاحكم حكومة فيصل ليعرف رب في القريض ومربوب[2]

وفي محاولة تأريخ قصائد ابن هانيء وضعنا هذه القصيدة بعيد غزوة حاكم

---

١ ديوان – ق ٢١
٢ ديوان – ق ٣

صقيلية الى المرية بامر من المعز اي في سنة ٣٤٤ على ابعد تقدير لتضمن هذه القصيدة اشارات الى ذلك الحدث وهذه الابيات تشبه قول المتنبي :

ازل حسد الحساد عني بكبتهم فانت الذي صيرتهم لي حسدا
اجزني اذا انشدت شعراً فانما بشعري اتاك المادحون مرددا
ودع كل صوت غير صوتي فانني انا الطائر المحكي والآخر الصدى [١]

وقد قال المتنبي هذه القصيدة في مدح سيف الدولة سنة ٣٤٢ وقال المتنبي في قصيدة اخرى قريبة التاريخ من هذه :

بأي لفظ تقول الشعر زعنفة تجوز عندك لا عرب ولا عجم [٢]

وانشد سيف الدولة في سنة ٣٤٣ قصيدة يقول فيها :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني قصير يطاول [٣]

فقال ابن هانيء :

أفي كل عصر قلت فيه قصيدة علي لاهل الجهل لوم وتثريب

ولو قابلنا بين ابيات ابن هانيء وابيات المتنبي، لرأينا ان ابيات ابن هانيء تكاد تكون صدى لابيات المتنبي ، وهذا يجعلني اميل الى الاعتقاد بان ابن هانيء قد قرأ بعض قصائد المتنبي قبل ان يطلع على ديوانه بكامله ، فتأثر ببعض مواقف المتنبي من خصومه،فاستعار هذه المواقف لنفسه ، وعلى كل فسنعرض

---

١ ديوان المتنبي – ص ٣٦١
٢ ديوان المتنبي : ص ٣٥٥ .
٣ ديوان المتنبي : ص ٣٦٦ .

لاثر المتنبي في ابن هانيء فيما بعد .

رأينا ان ابن هانيء غني في اطلاعه على اللغة العربية ، اقتصرت ثقافته على الناحية اللغوية والتاريخية ، فحاول ان يبدو حجة في اللغة ، وذلك بالسيطرة على اذهان السامعين باستعمال الكلمات الغريبة ، يفتش عنها ، ويجهد نفسه ليدخلها في التركيب ، كأنه يريد انتزاع اعجاب الفقهاء ، ويرضي المدوحين ، ويهز اريحيتهم بتكلفه لغريب اللغة ، حتى يبدو كأعرابي لم يتذوق للحضارة معنى ، بل كثيراً ما يغوص منقباً ومفتشاً عن الكلمة الصعبة من الغريب الشاذ ، لينظمها في قصيدته ، كما يحاول ان ينظم على القوافي الشاذة كالخاء مثلاً وقد تجنبها المتنبي فلم ينظم عليها بيتاً واحداً ، والصاد وهي نادرة الاستعمال ، وكأنه باستعماله للقافية النادرة ، والكلمة المستعصية لفظاً ومعنى ، يريد ان يتيه على العلماء الذين كانوا يعيشون في بلاط المعز ، ولكننا لا نرى ان هؤلاء العلماء الذين نفترض وجودهم في بلاط الخليفة قد شغلوا به فتدارسوا شعره وكونوا حوله حلقات كما حصل للمتنبي ، وكأني بابن هانيء لم يستطع ان يثير فيهم الفضول العلمي ليهتموا بامره ، وينقسموا حوله بين مؤيدين وخصوم .

وخائيته في مدح المعز تكاد تبهرنا بما فيها من كلمات عويصة غريبة ، بالاضافة الى المرادفات الكثيرة ، ونحن ، وان كنا نعجب لغنائه العجمي ، لا نحس باي شعور جمالي عند قراءة هذه الابيات ، بل نشعر بالاشمئزاز يثيره في نفوسنا هذا الشعر في اللغة ، ثم ان كلماتها لا تحرك فينا عاطفة ، ولا ترضي موسيقاها اذننا ، واني لأستطيع ان اقول : ان هذه الكلمات ما خرجت من قلبه بل من فكره . ولنسمع اليه يقول في مطلع هذه القصيدة :

سرى وجناح الليل اقتم افتخ ضجيع مهاد بالعبير مضمخ [1]

---

١ ديوان : ق – ١١ .

فما هي الصورة التي نستخلصها من هذه الكلمات مجتمعة ، بل ما هي العاطفة التي تحركها هذه العباره فينا ؟ وكل ما نشعر به هو هذا الاستثقال لسماع هذه الكلمات الغريبة ، كقوله : مرسخ ، ميثاء ، تلخلخ ، تنتخ ، يتسوخ ، وطخطخوا الى ما هنالك من كلمات ، مما اسعفه بها الفكر والذاكرة ، حتى كانت البداوة والعنجهية غاية عنده ، وقد عاب القدماء على الشعراء استعمالهم للقافية الثقيلة فقال ابن الاثير : والناظم في ذلك اشد ملامة لانه يتعرض لان ينظم قصيدة ذات ابيات متعددة ، فيأتي في اكثرها بالبشع الكريه الذي يمجه السمع لعدم استعماله . . . كما فعل ابن هانيء المغربي ، في قصيدته الخائية التي مطلعها :

سرى وجناح الليل اقتم افتخ . . . . . [1]

وقد اكثر من استعمال الغريب الّا في قصائد ثلاث قالها في الرثاء ، فقد جاءت سهلة عذبة . ولقد نقع على كنهور في قوله :

اذا ما نسيج التبر اضحى يظلها افاء لها منه غماما كنهورا [2]

او كلمة عانشت في قوله

صدعت جيوشك في العجاج وعانشت ليل العجاج فوردها اصدار [3]

وغيداق

---

١ ابن الاثير : المثل السائر ج - ١ - ١٧٨ .
٢ ديوان : ق - ٢٣
٣ ديوان : ق - ٢٤

كل اسرار راحتيه غمام مستهل بوابل غيداق [1]

واسمعه في هذا البيت :

وهب المداوس صنعته فحسبه سنخ يؤيده وحد مفصل [2]

واقرأ له هذا :

من يذعر السرحان بعد ركائبي او من يصي ليل التمام كما اصي [3]

او :

ذرني وميدان الجياد فانما تبلى السوابق عند مد المقبص [4]

او :

كتائب شلت فابذعرت امية فاوجهها للخزي اثفية سفع [5]

او قوله :

صهصلق الرعد اذا ما قفا ليل المطايا لامع البرق [6]

بل اسمع اليه يستعمل كلمة بأو بدلاً من فخر مع غرابة الاولى ولطف الثانية مع ان استعمال كلمة فخر في البيت لا يخل بالوزن

---

١ ديوان : ق – ٣٥
٢ ديوان : « – ٤٣
٣ ، ٤ : ديوان : ق ٢٥
٥ ديوان : ق – ٢٨
٦ ديوان : « – ٣٦

أمعز دين الله ان زماننا بك فيه بأو، جل واستكبار[1]

او قوله في وصف الجيش :

مثعنجر يبرين فيه وعالج والاخشبان متالع ومواسل

او قوله :

فيه المذاكي كل اجرد صلدم يدمى نسا منه ، ويشخب فائل[2]

وانظر الى استعماله كلمة « اتأق » في :

ولما تهادى نكب البيد معرضا وأتأق سجلا الرياض فطفحا[3]

والواقع اننا لو اردنا ان نجمع غريبه لصعب علينا ذلك لكثرته .

اما المتنبي فقد اكثر ايضاً من استعمال الغريب لانه احب ان يستعلي على علمـــاء اللغة في بلاط سيف الدولة . وعلى كل فالمتنبي واسع الاطلاع ، جيد المعرفة ، حسن التفكير ، رحب الثقافة ، وقصيدته التي مطلعها :

الا كل ماشية الخيزلي فدى كل ماشية الهيدبي

ومنها :

ومسى الجميعي دئداؤها وغادى الاوضاع ثم الدنا
فيا لك ليلا على اعكش احم البلاد خفي الصوى[4]

---

١ ديوان : « — ٢٤

٢ ديوان : « — ٤٥

٣ ديوان : « — ١٠

٤ ديوان المتنبي : ص ٤٩٦

دليل على سعة اطلاعه على اللغة وغنائه القاموسي ؛ وميله الى استعمال الغريب له مبرراته ، ذلك انه كان يعيش في بلاط غني بالعلماء والشعراء ، واكثر هؤلاء حاسد للمتنبي وكاره له . وكثيراً ما كان يفقد شعره الحلاوة باستعماله الكلمة الغريبة كقوله :

جفخت وهم لايجفخون بهابهم شيم على الحسب الاغر دلائل [1]

او قوله :

هذي برزت لنا فهجت نسيسا ثم انثنيت وما شفيت رسيسا [2]

او قوله :

حالك كالغداف جثل دجوجي اثيث جعد بلا تجعيد [3]

ويتضح من هذا ان المتنبي كان يكثر من استعمال الغريب ، وكان يتعمده ليثير اعجاب العلماء والشعراء ، وقد نجح في ذلك ، فانقسم الناس حوله بين مؤيد وخصم ، ومع كل هذا فاننا نقر بان ظاهرة التكلف والتقعر كانت احدى خصائص القرن الرابع الهجري ، فقد كان الناس يزخرفون في كل شيء ، يزخرفون في البناء والملبس والمأكل ، ويتكلفون ذلك في اللغة ، والمتنبي ليس غريباً عن تلك البيئة وان كان يرى نفسه كما يقول :

انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود [4]

---

١ ديوان المتنبي : ص ١٦٦
٢ ديوان المتنبي : ص ٥٢
٣ ديوان المتنبي : ص ١٣
٤ ديوان المتنبي : ص ١٦

وربما كان يسعى الى كسب احترام اللغويين الذين يكثرون في بلاط سيف الدولة ، حتى بدا لنا انه لمثل هؤلاء كان يصنع الشعر ، فيطلب غريب اللغة مفتشاً عن الكلمة النادرة ، او يأتي بالمعنى الفلسفي العميق .

وثمة شيء اخر نأخذه عليها معاً هو تعدد الصفات في البيت الواحد ، فقد قال المتنبي :

الاديب المهذب الاصيد الضرب الذكي الجعد السري الهمام [1]

وقال ابن هانيء :

هذا الاغر الازهر المتألق المتدفق المتبلج الوضاء[2]

كما يكثران من العطف كقول المتنبي :

فالخيل والليل والبيداء تعرفني والحرب والضرب والقرطاس والقلم[3]

وقول ابن هانيء:

والبحر والنيران شاهدة لكم والشامخات الشم والاحجار
والدو والظلمان والذؤبان والغزلان حتى خرنق وفرار [4]

او قوله :

---

١ ديوان المتنبي : ص١٥٠
٢ ديوان المتنبي : ق ١
٣ ديوان المتنبي : ص ٣٢٤
٤ ديوان : ق – ٢٤

للناس اجماع على تفضيله حتى استوى اللؤماء والكرماء
واللكن والفصحاء والبعداء والقرباء والخصماء والشهداء [1]

او تتابع الافعال بصيغة واحدة كقول المتنبي :

أقل انل ان صن احمل سل اعد زد هش بش هب اغفر ادن سر صل [2]

وقول ابن هاني :

يرمي الانيس مسمعي وحشية قد اوجسا من نبأة فتشوفا
فتقدما وتنصبا وترلقا وتلطفا وتشرفا وتحرفا [3]

وكذلك نأخذ عليهما ايضاً الابهام في بعض التراكيب كقول ابن هانيء:

صهصلق الرعد اذا ما قفا ليل المطايا لامع البرق [4]

ولسنا نفهم ما يريد بقوله « قفا ليل المطايا »، ولا اعتقد ان الشاعر قادر على شرحها ، ويشبه هذا قوله :

ما انت من صلتان يهدى اينقا خوصا ينجم في الدجنة أخوص [5]

وهل من كبير معنى في قوله :

---

١ ديوان : ق - ١
٢ ديوان المتنبي : س - ٣٣٢
٣ ديوان : ق ٣٠
٤ ديوان : ق ٣٦
٥ ديوان : ق ٢٥

قد سار بي هذا الزمـان فأوجفا ومحا مشيبي من شبابي احرفا [1]

انه لا يبعد ان يكون رصف كلام . وكما وقع ابن هانيء بمثل هذا ، فكذلك وقع المتنبي ، فاسمع قوله :

امط عنك تشبيهي بما وكأنه فما احد فوقي ولا احد مثلي [2]

وما سمعنا قط ان —ما— تستعمل كأداة للتشبيه ، ولم يحكها احد غيره . وقد استعمل أسود للتفضيل وحق التفضيل ان لا يأتي مما يدل على لون او عيب ، او حلية على وزن افعل من الفعل ، فقال :

ابعد بعدت بياضاً لا بياض له لأنت اسود في عيني من الظلم [3]

وكثيراً ما كان يخرج المتنبي على المألوف في القاعدة ، ولكن عذره في ذلك انه نشأ في الكوفة المدينة التي اجازت القياس ، وعدت كل ما ورد عن العرب صواباً ، كما كانت بؤرة التشيع ، ولست ارى مـا يمنع ان يكون اساتذة ابن هانيء في افريقية من خريجيها ، وكان يستعمل بعض الكلمات البدوية لانه عاش زماناً في البادية وربمـا كان ذكره لمثل هذه الكلمات من باب التصنع الشعري فقط . وللمتنبي ايضاً اقوال غثة ليس فيها معنى شعري ، ولا موسيقى ولا طائل تحتها ، وانما هي رصف كلمات بشكل لا جمال فيه ، كقوله :

ما أجدر الايام والليالي بأن تقول ما له وما لي [4]

---

١ ديوان : ق ٣٠
٢ ديوان المتنبي : ص ٧
٣ ديوان المتنبي : ص ٢٩
٤ ديوان المتنبي : ص ٥٧٧

فما المعني الذي نستخلصه من هذه الكلمات ، وما هي الصورة التي تتكون في مخيلتنا عند قراءتنـــا لهذا البيت ، ان هذا قول اجدر بصبية الكتاب منه بالمتنبى ، ولو اعتبرنا ان هذا شعر لقلنا ما قاله القدماء من ان كلام العرب باطل.

واما الصنعة الشعرية فقد كانت اغلب على شعر ابن هـــانيء منها على شعر المتنبى ، مما يجعلنا نحس ان ابن هانىء كان يغالب عند النظم طبعه ، فيتكلف ما ليس له اهلا من مواقف هى احق بسكان البادية حتى من العصور الجـاهلية القديمة منها بشاعر حديث يعيش عيشة حضرية وفي بلاط ملكي .

الفصل الثامن

تأثير المتنبي بابن هاني

أعجب بعض مؤرخي الادب من المغاربة والاندلسيين بابن هانيء اعجاباً شديداً وراحوا يشبهونه بالمتنبي، ويتبعون حسنات ابن هانيء ليقابلوها بحسنات المتنبي ،مغضين على سيئاته. وكان تعصبهم لابن هانيء تعصباً بلدياً فرضته عليهم الاقليمية، ولذا راح ابن الخطيب يصفه بانه العقاب الكاسرة والصمصامة الباترة، والشوارد التي تهادتها الآفاق ، والغايات التي عجز عنها السباق [1] بينما يرى ابن خلكان ان ليس في المغاربة من هو في طبقته لا من متقدميهم ولا متأخريهم ، بل هو اشعرهم على الاطلاق ، وهو عندهم كالمتنبي عند المشارقة [2] . وهو في نظر ابن خاقان ذخر خطير ، وروض أدب مطير ، غاص في طلب الغريب حتى

---

١ ابن الخطيب : الإحاطة في اخبار غرناطة ج – ٢ – ٢١٢

٢ ابن خلكان : وفيات الاعيان ج - ٣ - ٤٩

أخرج دره المكنون ، وبهرج بافتنانه فيه كل الفنون ، وله نظم تتمنى الثريا ان تتبهرج به وتتقلد ، ويود البدر ان يكتب ما انترع وولد [1] وهو يرى ابن هانيء اهلاً لكل تقدير ، ويعده من اصحاب الابتكار والتوليد ، واتخذ قياساً للجودة زخرفة الكلام والتنميق والتقعر في طلب غريب اللغة ، وليست هذه بالمقاييس التي يصح اعتمادها لاستخلاص الرأي ،فغريب اللغة في الشعر ليس مدعاة للتقدير ، والكلمات الطنانة الضخمة لفظاً مع فراغ في المعني لا قيمة لها في مقاييس الادب ، وان كان لنا ان نعذر ابن خاقان على رأيه هذا ، فذلك انه قاس شعر ابن هانيء بمقاييس زمانه ، يوم كانت معرفة غريب اللغة سبباً من اسباب الشهرة ، وامتلاك معجمها سبيلاً للعظمة الادبية ، ولا يعترفون بان الادب تعبير ذوقي جمالي عن احاسيس انسانيه خالدة ما دامت النفس الانسانية .

لقد ذهب التعصب عند المغاربة لابن هانيء مذهباً بعيداً فراحوا يخترعون الحكايات ، ويلفقون الروايات ، حول شخصية ابن هانيء ، ومنها تلك الرواية التي ذكرها ابن العماد الحنبلي نقلاً عن ابن الاهدل ، وفيها يقول : يقال انهما اجتمعا حين اراد المتنبي دخول المغرب ، فرده ابو الحسن ابن هانيء بنوع حيلة – انتهى – والحيلة التي ذكرها ، قال بعضهم ان المتنبي اراد مدح فاتح قابس ، وقال : شاعر لم يرضه عطاء كافور ، فكيف يرضيه عطائي ؟ فتكفل له ابن هانيء برده ، فيقال انه خرج في زي اعرابي فقير ، على راحلة هزيلة ، وامامه شاة هزيلة ، فمر بهذا الزي على المتنبي وكان على مرحلة من قابس ، فلما رآه المتنبي اراد العبث به ، فقال له من اين اتيت ؟ – قال : من عند الملك . قال : فبم كنت عنده ؟ قال: امتدحته بابيات ، فأجازني هذه الشاة . فأضمر في نفسه

---

١ ابن خاقان : مطمح الانفس ص ٧٤ . المقري نفح الطيب ج : ٥ - ١٨٣

ان الملك من لطفه كونه اجازه بها ، يظن شعره على قدرها. فقال له : ما قلت فيه ؟ قال :

ضحك الزمان وكان قدماً عابساً لما فتحت يعزم سيفك قابسا
انكحتها بكراً وما امهرتها الا قنا وصوارمـــا وفوارسا
من كان بالسمر العوالي خاطبـــا فتحت له البيض الحصون عرائسا

فتحير المتنبي وامر بتقويض خيـامه ، وآلى ان لا يمتدحه ، اذ جائزته على هذا بمثل هذه [1].

لم اذكر هذه الرواية لاناقش مدى صحتها ، ذلك انها ملفقة ولا اساس لها من الصحة ، بل لنرى الى اي مدى ذهب المغاربة في تعصبهم لابن هاني ، ثم انه ليس في ديوان ابن هاني ذكر لهذه الابيات ، وهو لم ينظم على السين الا بيتين في وصف السيف هما :

وذي شطب قد جل عن كل جوهر فليس له شكل وليس له جنس
كما قـــابلت عين من اليم لجة وقد غمرتها من مطالعها الشمس [2]

اما صاحب قابس ، وصبة ابن هاني له ، والتقاء هذا الاخير بالمتنبي ، فرواية ملفقة تماماً ، حبكت لتدل على ان المتنبي اعجب بشعر ابن هاني ، ووجده فوق قدر هذه الجائزة ، وانه مـــا أمّل من الممدوح خيراً فقفل راجعاً من حيث اتى .

---

١ ابن العماد : شذرات الذهب ج ٣ - ٤١ - ٤٣

٢ ديوان نشر كرم البستاني ص ٤٢٧

لكن ابن شرف القيرواني لم يذهب مذهب المتعصبين لابن هاني من اهل المغرب ، فرأى ان هذا الشاعر « رعدي الكلام ، سردي النظام ، الا انه اذا ظهرت معانيه، في جزالة مبانيه ، رمى عن منجنيق ، يؤثر في النيق ، وله غزل قفري ، عذري ، لا يقنع منه بالطيف ، ولا يشفع بغير السيف[1] ».

نحن نعلم ان ابن هانيء أصغر من المتنبي بما يقرب من عشرين سنة ، ونعلم ايضاً ان شهرة المتنبي كانت عظيمة في حياة المتنبي ، وان النـــاس كانوا يحفظون شعره ، ويتدارسون قصائده ، وان ديوانه وصل الى ابن هاني حيث استعاره من رجل كان يملكه ، وقرأه واصلح من روايته وما من شك في انه اقام طويلا يتأمله ، مما أضجر صاحب الديوان ، فأرسل الى ابن هاني يعـاتبه على تأخره في رده ، فارسل اليه ابن هاني قصيدة يلومه على سوء فهمه للديوان ، وتصحيفه لمعانيه ، ثم انه قد « نقل ديوان المتنبى في حياته الى الاندلس ، نقله ابن الاشبح الذي قابل المتنبي في الفسطاط عام ٣٤٦ هـ وبذلك استطاع ابن هاني المعاصر له ان يتأثره تأثراً واضحاً »[2].

لكننا لا نعرف متى قرأ ابن هاني ديوان المتنبي ولا اين كان ، ولا من الذي اعاره اياه ، حتى نرى ما اذا كان تأثره بالمتنبي قد سبق قراءته للديوان أو تأخر عنها، وتأثره بالمتنبي جلي واضح « ذلك ان لديوان المتنبي أثراً في شعر ابن هاني على الاقل في اجود قصائده الاخيرة في مدح المعز [3] على الرغم من ان ابن هاني يتظاهر غير معجب ولا مبال بالمتنبي وذلك حيث يقول :

---

١ ابن بسام : الذخيرة في ٤ ج ١ – ١٤٤

٢ شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر ص ٣٢٥

٣ Emilio Garcia Gomez : Mutanabbi et Ibn Hani pag. 153

مهلاً فلا المتنبي بالنبي ولا أعد امثاله في شعره السورا

كما يلوم صاحب الديوان على تصحيفه معانى المتنبي

صحفتم اللفظ والمعنى عليه معا في حالة وزعمتم انه حصرا

ثم يشبهه بالاعجمي الذي لا يفهم العربية لانه لم يفهم ديوان المتنبي ، ويذكر انه سهر كثيراً حتى رد اليه معانيه واصلح ما به من اخطاء ،

اصم اعمى ولكني سهرت له حتى رددت اليه السمع والبصرا

كانت معانيه ليلاً فامتعضت له حتى اذا ما بهرن الشمس والقمرا
ضجرتم وأتانا من ملامكم ومن معاريضكم ما يشبه الضجرا

وفي آخر القصيدة يشهد بان هذا الديوان شيء نفيس ولكنه يحتاج الى مداومة الفكر واعمال النظر :

أعرتموني نفيساً منه فى ادم فمن لكم ان تعاروا البحث والنظرا[1]

ولسنا نحتاج الى دليل اوضح من هذا على ان ابن هاني قرأ ديوان المتنبى وتأمله طويلا . غير ان جهلنا لتاريخ اطلاعه على الديوان يقف عقبة في سبيل معرفة ما اذا كان قد تأثر بالمتنبى قبل ان قرأ له ديوانه او بعد ذلك .

ولكن من الواضح الذي لا يقبل الجدل ان ابن هاني قد عرف الكثير من شعر المتنبى ، وتأثر به قبل ان يطلع على الديوان بزمن ، اذ اننا نحس بتأثير المتنبى فيه ، ونشعر بتقليد ابن هاني لمواقف المتنبى من ممدوحيه ، حتى نكاد

---

١ ديوان : ق — ٢١

نلمس ان ابن هاني ليس الا تلميذاً للمتنبي في كثير من المواقف ، بل ربما اعجب ابن هاني بقصيدة من قصائد المتنبي فعارضها وزناً وقافية ، وحاكى معانيها ، فقد مدح المتنبي ابا العشائر الحسين بن علي بن حسين بن حمدان بقصيدة جميلة مطلعها :

اتراهـــا لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي [1]

ومدح ابن هاني المعز بقصيدة من بحر قصيدة المتنبي وقافيتها وارى انها من قصائده الاولى في المعز لخلوها من الاشارات الى المعتقدات الاسماعيلية وذلك بمناسبة ركوب المعز في يوم عيد فقال :

قمن في مـــأتم على العشاق ولبسن الحداد في الاحداق [2]

وقال المتنبي :

قصرت مدة الليالي المواضي فاطالت بها الليـــالي البواقي

فقال ابن هاني :

لا تسلني عن الليالي الخوالي واجرني من الليالي البواقي

ثم يقول المتنبي :

كاثرت نائل الامير من الما ل بمـــا نولت من الابراق

فيقول ابن هاني :

ضربت بيننـــا بابعد مما بين راجي المعز والاملاق

---

١ ديوان المتنبي : ص - ٢٢٤

٢ ديوان المتنبي : ق - ٣٥

وقصيدة المتنبي في مـــدح ابي العشائر قيلت حوالي سنة ٣٣٧ او ٣٣٨ ٠٤٨ – ٩٤٩ بينما قيلت قصيدة ابن هاني في سنة ٣٤٤ – ٩٥٥ لاننا نعدها من قصائده الاول في المعز ، وربما كانت اولى قصائده فيه ، لانها خلو من اية اشارة الى عقيدته الباطنية .

ومن دلائل تأثر ابن هاني بالمتنبى تصنع ابن هاني لمواقف المتنبى ، فهو يفترض ان شعراء ينافسونه ويحسدونه على مدحه للمعز ، وجميل شعره فيه ، مما يشبه موقف المتنبى من حساده في بلاط سيف الدولة ، ونحن لا نعلم ابداً ان شاعراً كان ينافس ابن هاني في بلاط المعز ، ولم يتعرض له احد وانما كان في موقفه هذا متصنعاً لموقف المتنبى . وابن هاني يفخر ايضاً بنظمه تماماً كما فعل المتنبى . فقد مدح المعز بقصيدة وضعنا تاريخها في سنة ٣٤٤ – ٩٥٥ قال فيها :

اراني اذا ما قلت بيتاً تنكرت ... وجوه كما غشى الصحائف تتريب
افي كل عصر قلت فيـه قصيدة ... علي لاهل الجهـل لوم وتثريب

* * * *

أرى اعيناً خزرا الي وانمـــا ... دليلا نفوس الناس بشر وتقطيب
ابن موضعي فيهم ليفخر غالب ... يبـين بسيماه ويدحر مغلوب [١]

ولنقرأ للمتنبي قوله :

ازل حسد الحساد عنى بكبتهم ... فـانت الذى صيرتهم لي حسدا
وما الدهر الا من رواة قصائدى ... اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا

---

١ ديوان : ق – ٢

اجزني اذا انشدت شعرا فانما بشعرى اتاك المادحون مرددا [1]

حيث نحس ان التشابه قوي حتى حدود التقليد. وابن هاني يفخر كثيراً بشعره فهو تارة يعبث بالدر والمرجان ليصنع منها قصيدته :

نظمت رقيق الشعر فيك وجزله كأني بالمرجـــان والدر عابث [2]

وتارة يؤلف قوله من نظام كواكب مما لم يوفق لمثله كثير والاحوص

صنع يؤلف من نظام كواكب طلعت لغير كثير والاحوص [3]

او ان يقول عن محبرة له :

نظمها محكم فقارن بين الدر نظمي واخلص التبر سبكي [4]

وكل هذه الاقوال لهاما يشبهها عند المتنبي مما يدل على تأثر ابن هاني بالمتنبي، وسيره على غراره ، وتقليده له ، كقول المتنبي :

انا الذي نظر الأعمى الى ادبي وأسمعت كلماتي من به صمم
انام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

...

---

١ ديوان المتنبي : ص - ٣٦١
٢ ديوان : ق - ٧
٣ ديوان : ق - ٢٥
٤ ديوان : ق - ٣٨

باي لفظ تقول الشعر زعنفة تجوز عندك لا عرب ولا عجم [1]

وقوله :

وعندي لك الشرد السائرات لا يختصصن من الارض دارا
فـــاني اذا سرن من مقولي وثبن الجبال وخضن البحارا [2]

وكذلك قوله :

انا السابق الهادي الى ما اقوله اذا القول قبل القائلين مقول [3]

وهذا التشابه الشديد ، والتوافق في الاغراض والمعـاني ، والبحر والقافية احياناً ، كل ذلك يؤكد لنا ان ابن هاني قد تأثر كثيراً بالمتنبي ، ولكن تأثره به يقوى كثيراً بعد قراءة ديوان المتنبي التي كما ارى لم تحصل الا في اوائل النصف الثاني من القرن الرابع الهجري اذ ان شهرة المتنبى كانت قد وصلت الى المغرب، وبعض قصائده كان معروفاً في ذلك القطر ، ومن المحتمل ان يكون المعز قد فكر باستقدام المتنبي الى بلاطه في المغرب عندمـا كان المتنبي في مصر[4]. ثم اننا نقر بتوارد الخواطر في الشعر ، ولكن لا يمكن ان نقبل به اذا مـا تجاوز حدود توارد الخواطر الى التقليد في مواقف متعددة . ولذا نقول بان ابن هاني قد عرف المتنبي في بعض قصائده قبل ان يقرأ ديوانه ، وكانت اصداء المتنبي تتردد في شعر ابن هاني مع شيء من التصرف بها بما يقتضيه الموقف ، وذلك في

---

١ ديوان المتنبي : ص ـ ٥٢٣ ـ ٣٢٥

٢ ديوان المتنبي ـ ص : ١٤٦ .

٣ ديوان المتنبي ـ ص : ٣٥١ .

٤ Emilia Gracia Gomez : Mutanabbi et Ibn Hani Pag, 153,

مواقف كثيرة ، ولذا ارى ان تأثر ابن هاني بالمتنبي حصل قبل ان يطّلع ابن هاني على ديوان المتنبي بسنوات ، وكان يحفظ للمتنبي قصائد كثيرة ، ذلك ان المتنبي كان قد شغل علماء عصره ومعاصريه ، بيد انا نلاحظ ان اثر المتنبي بابن هاني يضعف في قصائده الاخيرة ، وذلك يعود، كما اظن ، الى ان ابن هاني كان قد اصبح بعد المتنبي الشاعر الذي يرى نفسه فوق باقي الشعراء ، ويظهر ان تشبعه بالعقيدة الاسماعيلية اعانه على ان يختط لنفسه طريقة خاصة ذات ميزات مختلفة .

ولكن بعد هذا هل نستطيع ان نقابل بين ابن هاني والمتنبي ام لا ؟

لقد ذهب مؤرخو الادب القدماء يقابلون بين الشاعرين ، فتتبعوا للتوصل الى ذلك ، تاريخ حيـــاة الرجلين ليستخلصوا من ذلك اوجه الشبه بينهما ، وشايعهم على هذا بعض مؤرخي الادب من المحدثين، واتخذوا من اقوال القدماء تكأة للبحث والعرض والمناقشة ،اذ من الواضح ان بين هذين الشاعرين الكبيرين على الرغم من الفواصل الزمانية والمكانية تشابهاً ليس في الحياة فقط اذ ان كلاهما غادر وطنه ولا المدح او الهرطقة او الموت غيلة حين نضج كلاهما ولكن في الشعر ايضاً [1] وقد اكتشف القدمـــاء اوجه شبه بينهما كثيرة عرضوا اهمها في في النقاط التالية :

١ – نشأ كلاهما في الطبقات الوضيعة وترقى بمواهبه وشعره الى درجات الخاصة .

٢ – اغرق كلاهما في المدح الى حد مذموم .

---

١ Emilio Gricia Gomez : Mutanabbi et Ibn Hani pag. 153.

٣ – كلاهما مدح الملوك ونادم الامراء .

٤ – اجاد كلاهما وصف ما رأى اجادة نادرة .

٥ – كانا متعاصرين .

٦ – مات كلاهما غيلة وهو في كمال العمر وتناهي القوة [١] .

هذه هي اهم اوجة الشبه التي عرض لها القدماء وليس لهذه الاوجه اهمية الا الوجه الرابع ، اذ متى كانت النشأة تبيح لنا المقابلة ، ومتى كانت الميتة تسمح لنا بالمقارنة ، وهل كون اثنين متعاصرين ضرورة لتشابههما ، او هل يكون الاغراق في نوع شعري ما كافياً لوضع الاثنين في بوتقة واحدة ؟ لذلك نقول ان هذه الاوجه ليست اساسية في المقابلة لانها حالات عارضة ، ولا يمكن ان تتخذ اساساً لبحث ، او اصلا لنقاش ، بل كان الاجدر ان نبحث عن الوضع النفسي عند كل منهما ، والثقافة التي يتمتع بها كل واحد ، اذ التشابه في الخلق لا يقتضي حتماً التشابه في الخلق ، ولذا رأى كامل كيلاني ان مقارنة الاول ابن هاني – بالثاني – المتنبي – جريمة كبرى ارتكبهامعاصروه – الضمير يعود لابن هاني – اولاً ، ثم قلدهم في ارتكابها بعض المؤرخين ، وتابعهم عليها بعض المؤرخين بلا روية [٢] .

ولست اذهب مذهب الكيلاني بل اري ان بين الرجلين اوجهاً تسمح بالمقارنة فكلاهما شاعر كان المدح اغلب صفات شعره ، وكلاهما وصف الجيش وصفاً دقيقاً ، كما وصف اشياء اخرى وفي الوصف مجال واسع للمقابلة .

---

١ كامل كيلاني – نظرات في تاريخ الادب الاندلسي ص ١٦٠ – ١٦٥ .

٢ كامل الكيلاني : نظرات في تاريخ الادب الاندلسي ص ١٦٥

لقد ذكر ابن الابار ان ابن هاني وابا عمر القسطلي نظيران لحبيب والمتنبي[1] وهو يعني ان ابن هاني نظير للمتنبي ، فلقد اجاد كل منهما الوصف اجادة نادرة. لقد وصف المتنبي الجيش والحرب ووصف ابن هاني الجيش والحرب والاسطول وقد تحدثنا عن اسلوب كل منهما وطريقته ، وتأثر ابن هاني بالمتنبي ، ومن هذا نستدل على انه يمكن ان يقارن بينهم في بعض الفنون الشعرية ولكن هناك فرقاً كبيراً بينهما في طريقة التعبير الفني ، والنفسية ، والثقافة ، فمدح المتنبي غير مدح ابن هاني ، وسلوك هذا غير سلوك ذاك مع ممدوحيه ، وتفكير متنبي المغرب ، على حد تعبير المغاربة ، هو غير تفكير المتنبي . إن ثقافه المتنبي ثقافة واسعة شاملة ، عربية في مظهرها ، متنوعة في جوهرها ، عرف الفلسفة اليونانية من الكتب المترجمة ، واطلع على الحكمة الهندية المنقولة ، واحتك بالعقلية الفارسية بالدراسة ، واضاف الى كل ذلك ثقافة عربية قل مثيلها ، وشمولاً في تفهمها ، فكان ذلك النتاج الجميل ، بينما لا نرى عند ابن هاني اثراً للثقافات المختلفة الا الباطنية ، بالاضافة الى العربية ، ويظهر ان نشأة ابن هاني في الاندلس البلد المتزمت ، الذي لم يعرف الحرية الفكرية الا في اواخر القرن الخامس ، لم تتح له الاطلاع على نتاج عقليات اخرى ، ولم يحدث عنده ذلك التفاعل العقلي الذي نجده عند المتنبي ، بيد ان ثقافة ابن هاني العربية ثقافة متينة ، واطلاعه على العربية حسن ، وحفظه لغريب اللغة مدهش ، وقد كان الاطلاع على غريب اللغة مقياس الثقافة في ذلك العصر ، كذلك كانت ثقافته القرآنية جيدة ، يستخدم الآيات لمصلحة ممدوحيه ، ويستغلها لتأييد فكرته ، وشرح عقيدته ، من تأويل للظاهر وأخذ بالباطن .

---

١ ابن الابار : التكملة ج ١ - ١٠٣

وعلى كل فان مجال المقارنة ضيق ذلك انهما وان اتفقا في نواح كالمدح والوصف ، فقد اختلفا في الجوهر الذي يبنى عليه كل هذا ، اختلفا في النفسية التي تعد الشعر مرآة حقيقية لها تنعكس عليه ملامحها، فشاعر يرى نفسه كممدوحه او فوقه ، هو غير ذلك الذي يتزلف متذللاً خاضعاً لينال عطاء ممدوحه ، والشاعر الواسع الثقافة المتنوع المعرفة ، هو غير من كانت ثقافته محدودة ، تقتصر على نواح معينة ، ولذا كان شعر المتنبي أرضى للنفس لانه اعمق في تفهم العقليات ، واصدق تصويراً للعواطف الانسانية ، واكثر شمولاً في الاطلاع .

ولست اقول مقالة كال الكيلاني الذي يقول : انني بعد مطالعة كل ماقالاه تقريباً لم اتردد في الحكم بان مقارنة الاول – ابن هاني – بالثاني – المتنبي جريمة كبرى ... [1] ذلك انه ذهب مذهباً فيه شيء من التعصب للمتنبي ، اذ الواقع يرينا ان المقارنة ممكنة بينهما في أوجه قليلة ، ومجالات ضيقة ، هي في الحقيقة عرض لا اصل ، وقد عرضنا لذلك في حديثنا عن الفنون الشعرية عند ابن هانى .

---

١ كامل كيلاني : نظرات في تاريخ الادب الاندلسي – ص ١٦٥

الفصل التاسع

ابن هاني صاحب مدرسة شعرية

لقد لاحظنا ، في سياق بحثنا عن ابن هانى ، ان هـذا الشاعر ذا نزعة تقليدية ، فقد مال الى محاكاة الشعراء الجاهليين ، والصوغ على منوالهم ، متتبعاً طريقتهم ، حتى يبدو أحياناً من الصعوبة التمييز بين شعره وشعر القدماء لولا دلائل اسلامية تظهر في شعر ابن هانى ، شاعر اعجب بنهج القدماء فراح يتتبع اثرهم ، ولكن دون ان يكون ذلك في طبعـــه ، بل كان اثراً من اثر الصنعة والتصنع فى الشعر . فتش عن الكلمـات الغريبة ، وتوخى المفردات الوحشية ليضعها فى شعره ، معتبراً ان سر التفوق كامن فى هذا البحث عن غريب اللغة ، لصوغه فى الشعر ، وان جاءت تلك المفردات قلقة ثقيلة او لا تزيد فى معنى او فى صورة ، بل تزيد في كراهيتها على السمع واللسان . وكما اعجب ابن هاني بالقدماء فراح يتقلدهم كذلك اعجب به معـــاصروه الذين ارضاهم شعره بكثرة ما فيه من غريب ، فراح بعضهم يقلده ويترسم خطاه ، متبعاً مذهبه في

الشعر ومحاكياً اسلوبه ، وقد ذهب الاعجاب ببعضهم انهم لم يروا اشعر منه في المغرب ، حتى ولا من يساويه في الشعر . ولذا اعتبروه مثالاً يحتذى في النظم ، فكان زعيم مدرسة في الشعر كان تلامذتهـــا من اهل المغرب والاندلس ، من اولئك الذين يعجبهم الغريب ، ويأسرهم الاغراب في الاستعمالات اللفظية .

ومن الذين قلدوه الوزير ابو بكر محمد بن عمار ذو النفس العصامية والآداب الاهتمية ، كان احد الشعراء المجيدين ، على طريقة ابي القاسم محمد بن هاني الاندلسي[1] ، كما قلده كذلك ابو عبد الله بن حبوس ، من اهل مدينة فاس ، كانت طريقته في الشعر على نحو طريقة محمد بن هاني الاندلسي ، في قصد الالفـاظ الرائعة ، والقعاقع المهولة ، وايثار التقعير ، الا ان محمد بن هاني كان اجود منه طبعاً ، وأحلى مهيعاً[2] وكذلك نبـغ شعراء في الاندلس والمغرب كابن الحداد وابن عائشـة وسـواهم من الشعراء الذين كانوا تلامذة له في فن الشعر ونظمـه[3] .

ان هؤلاء وامثالهم من المعجبين بشاعرية ابن هاني التي نظروا اليها بمقاييس القرن الرابع الهجري ، قرن التصنع والتكلف ، وتتبع الالفـاظ ، وان كان لا طائل تحتها ، ومن الذين راحوا يقلدونه في اسلوبه وتقعيره في طلب الالفـــاظ الرائعة والقعاقع المهولة يعدون في الواقع تلامذة في مدرسة ابن هاني الشعرية ، لانهم تأثروا به وحاكوا على نوله ، وذهبوا يتتبعون أثره مقلدين ومحاكين ، يعتبرونه

---

١ عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص ١١١

٢ عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص ٢١٣

٣ محمد عبد المنعم خفاجي : قصة الادب في الاندلس ج - ٥ - ١٦٢

امامهم الذي به يقتدون والمثـل الاعلى في الشعر العربي الذي يجب ان يطلب . وعلى كل فنحن لا ننكر ان ابن هاني كان زعيم مدرسة شعرية ، وان كنا لا نقر هذه المدرسة على طريقتها من حيث تقعيرها وطلبها لما ليس في مألوف ذوق عصرنا ، كما انكره عليهم بعض معاصريهم من نقدة الشعر ، اصحاب الذوق الرفيع .

الفصل العاشر

رأي في شعر ابن هاني

ليس ما اقوله هنا جديداً بالنسبة لهذا البحث ، وانما هو اجمال للاراء التي سبق ان عرضتها في سياق البحث ، وأعني بذلك اني سألخص ما قلته في ابن هاني في المناسبات المختلفة حتى يستطيع القارىء ان يخرج برأي كامل لمجمل هذا البحث . كنا رأينا ان المغاربة والاندلسيين يتعصبون كثيراً لابن هاني الذي كان عندهم كالمتنبي [1] ورأى بعضهم انه كثير الشعر محسن مجيد ، الاان قعقعة الالفاظ اغلب على شعره [2] ورأى ابن خاقان انه كان لابن هاني نظم تتمنى الثريا ان تتبهرج به وتتقلد ، ويود البدر ان يكتب ما افترع فيه وولد ، زهت به الاندلس وتاهت ، وحاسنت ببدائعه الشمس وباهت ، فحسد

---

١ ابن الابار : التكملة ج - ١ - ١٠٣

٢ الضبي : بغية الملتمس ص ٣٠

المغرب فيه المشرق ...[1] وهذا القول فيه الكثير من التعصب ، مصدره العاطفة لا الحقيقة ، بينا راح المتدينون ينظرون الى شعره من زاوية الدين لا الفن، فقال ابن شرف القيرواني بالنسبة لهذا الغلو العظيم في المدح ، « ولو عقل لم تضق عليه معاني الشعر ، حتى يستعين عليها بالكفر »[2] وجاء ايضاً ان ابا العلاء كان اذا سمع شعر ابن هاني يقول : ما اشبهه الا برحى تطحن قروناً ، لاجل القعقعة التي في الفاظه ، ويزعم انه لا طائل تحت تلك الالفاظ[3].

وهذه الآراء ترينا اختلاف القدماء بالنظر لشعر ابن هاني ، والواقع ان هذا الشاعر لم تؤثر فيه تطورات الحضارة ، ولم يجتذبه جمال الاندلس الطبيعي ، وصفاء سمائها ، بل بقي يجوب بمخيلته الجزيرة العربية[4] ويقطع فيافيها ، تحرقه شمسها وتلهب اقدامه رمالها ، يرى غزلانها ، ويؤخذ بآرامهـــا وينظر الى عقبانها ونسورها ، ويتحدث عن ابلها وخيلها ، وهو لذلك لم يكن ابن بيئته ، بل كان يعيش في قرون سابقة ، ولم تظهر عنده معارف القرن الرابع الهجري بثقافاته المختلفة ، بل بقي يتنقل بمخيلته بين الخيام ويضرب في الصحارى ويتشبه بامرىء القيس ، او علقمة الفحل ، وغيرهما من الشعراء المتقدمين ، ولذا لا يمكننا ان نعتبر شعر ابن هـــانى صورة واقعية لبيئته ، على الرغم من بعض الانعكاسات البيئية من الناحية الاجتماعية ، فان الصورة التي نستخلصهـــا من شعره لا تساير روح العصر الذي عاش فيه .

---

١ ابن خاقان : مطمح الانفس ص ٧٤
٢ ابن بسام : الذخيرة ق ٤ – ١ – ١٦٤
٣ ابن خلكان : وفيات الاعيان ج – ٣ – ٤٩
٤ حنا الفاخوري : تاريخ الادب العربي ص ٨٣٣

ثم ان لاسلوب ابن هانى الشعري ميزات يتفرد بها، فتارة هو اعرابى عليم باسرار اللغة ، مطلع على غريبها ، وطوراً يرق ، وما اقل ما يرق ، حتى تحسبه من الشعراء المحدثين . يغرق في طلب الغريب ، وينقب عن الكلمة الوحشية ، ويعجبه ما في الالفاظ من قعقعة ، ويهول ويفخم ، ويتكلف ويتصنع ، حتى تنمحي ذاتيته ، وذلك في اكثر قصائده ، ثم يسلس ويسهل ويلين ، فتبدو على شعره طلاوة الشعر الحديث ، وذلك خاصة في الرثاء ، ثم انه كثير الغلو ، يغلب عليه الاطناب والمبالغة ، كما انه لا يعنى بالافكار عنايته بالالفاظ ، فقد تقع على ابيات لو فتشت على ما فيها من معان ، لما وقعت على ما يغني فكأنه يحاول فقط ان يظهر مقدرته على النظم ، ويدل بامتلاكه ناصية اللغة ، وابياته الجميلة قليلة بالنسبة لرديئه ، ولكنها جيدة السبك ، واضحة المعنى ، لا تعقيد فيها ولا غموض . ولقد اكثر ايضاً من التشبيهات والاستعارات كما اكثر من استعمال « كان » والكاف ومع كل ذلك فقد كان تعبيره قليل الايحاء قليل الصور .

ونلاحظ ان مجاله الفكري ضيق ، وذلك لضآلة حظه من الثقافات المختلفة ، وليس عنده اي مظهر فلسفي كما هو الحال مع المتنبي ، واما الخيال فجاف احياناً ، وخصب احياناً آخر ، وفي شعره خيال واقعي مجرد ، ثم اننا لا نحس بوجود العاطفة الخالصة ، وكأني به لم تتحرك عاطفته الا بميول لا سمو فيها ، كالشهوة الى المال ، والخوف من نكبات الدهر وقد كان هذا من الدوافع التي دفعته للمدح .

ثم انه لا يمكن ان نستخلص اشياء مفيدة من شعر ابن هانى ، كما تخلو قصائده من الاشارات الى الاحداث المفيدة [1] فالدلائل الاجتماعية قليلة جداً ،

---

[1] Mélange d'histoire et d'archèoligie de l'occident Musulman : Révue pag. 40,

وشعره لا يعكس النهضة الثقافية في عصره كما لا يعكس الوضع الاجتماعي . ونحن بالنسبة لابن هاني، لا يمكننا ان نتحدث عن الالهام الشعري ، والانطلاق الذاتي الطبعي عند هـــذا الشاعر ، فقد غلب عليه التصنع والتكلف بدلاً من من الطبيعة والسلاسة .

وقد لاحظنا ايضاً ان ابن هاني لم يلحق بالمتنبي ، بل بقي بعيداً عنه بعد التقليد عن الطبع السليم ذلك لان المتنبي يفوقه في الثقافة وسمو النفس .

وان كان لنا من كلمة نقولها في هذا الصدد فهي ان ابن هانى قد يكون من اجود شعراء الاندلس والمغرب قريحة ، واحسنهم ديباجة مع تقعيره وميله الى تقليد الاقدمين، ولكن لا نستطيع ان نعدله بالمتنبي وان اتفقا في بعض المظاهر ، ذلك ان اختلافهما كائن في اساس تكوينهما النفسي والثقافي ، وبين الرجلين من التفاوت والبعد ما بين الوجه والبدر والعزيمة والدهر والكرم والبحر... فشتان بين ما يصدر عن طبع وما يصدر عن تقليد [1] .

واما ابن رشيق فقد لاحظ ان ابا القاسم كان له مع طبعه صنعة ، فاذا اخذ الحلاوة والرقة وعمل بطبعه وعلى سجيته ، اشبه الناس ودخل في جملة الفضلاء، واذا تكلف الفخامة، وسلك طريق الصنعة، اضر بنفسه واتعب سامع شعره ، ويقع له في الكلام المصنوع والمطبوع في الاخايين اشياء جيدة [2] ومن كل ما مر معنا نلاحظ ان الاقدمين من معاصريه ، حتي ومن ابنـاء الاندلس والمغرب قد اختلفوا في النظرة اليه ، وفي التقدير ، وذلك بالنسبة لذوقهم الادبي من حيث ميولهم الى السلاسة او الى التقعير .

---

١ احمد حسن الزيات : تاريخ الادب العربى ص ٣٢٦

٢ ابن رشيق القيرواني : العمدة ج ١ – ٨١

ونحن في بحثنا هذا رأينا ابن هاني الشاعر ولكننا لا نعرف شيئاً عن نثره، ذلك ان الذين عنوا بابن هاني كشاعر، لم يهتموا به كناثر، ولذا لا نستطيع ان نحكم على نثره ابداً، لان ليس بين ايدينا شواهد تسهل لنـــا حكما ما في هذا الصدد.

« ووصينا الانسان بوالديه احسانا، حملته امه كرها ووضعته كرها، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة، قال ربي اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والديّ وان اعمل صالحاً ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين » قرآن كريم.

صدق الله العظيم

الفهرس

١ – مقدمة

٢ – ثبت المراجع

٣ – بحث في الاسماعيلية ، العقيدة ومبادئها

الفصل الاول

ابن هـــاني الاندلسي ، مولده ، والده ، ثقافته ، شعره في الاندلس ، ابن هاني والاندلسيين ، اسبـــاب خروجه ومتى تم ذلك ، كم كان عمره ، اسرته ، موته ...

الفصل الثاني

ابن هاني الشاعر المؤرخ ...

الفصل الثالث

ابن هاني الشاعر السياسي ...

الفصل الرابع

ابن هانى والحياة الاجتماعية ، الدلائل الحضارية في شعره ...

الفصل الخامس

الفنون الشعرية عند ابن هانى ، المدح مدحه لابناء علي بن حمدن ، لأبى الفرج الشيبانى ، لجوهر قائد جيش المعز ...

مدحه للمعز ، تقسيم هذا المدح من حيث الزمان ، اثر العقيدة الاسماعيلية في شعره .

الفصل السادس

الفنون الشعرية الباقية : الغزل ...

الفخر

الهجاء

الرثاء

الشعر الحكمى

الوصف

الفصل السابع

اللغة بين ابن هانى والمتنبي...

الفصل الثامن

اثر المتنبي في ابن هانى ...

الفصل التاسع

ابن هانى زعيم مدرسة شعرية ...

الفصل العاشر

رأي في شعر ابن هانى ...

ثبت المراجع

١ – ابن الآبار – التكملة ، نشر كوديرا . مدريد سنة ١٨٨٦ .

٢ – ابن الابار – الحلة السيراء ، نشر دوزي . باريس سنة ١٨٦٤ .

٣ – ابن الاثير – التاريخ الكامل . القاهرة سنة ١٣٤٨ – ١٩٢٩ .

٤ – ابن الاثير ، ضيـــاء الدين نصر الله بن محمد الموصلي – المثل السائر . القاهرة سنة ١٣٥٨ – ١٩٣٩ .

٥ – احمد امين – المهدي والمهدية . القاهرة ١٩٥١ .

٦ – احمد حسن الزيات – تاريخ الادب العربي . الطبعة ١٤ .

٧ – احمد الاسكندري ومصطفى عنان – الوسيط في الادب العربي . القاهره سنة ١٩١٦ .

٨ – احمد بن يحيي ، الضبي – بغية الملتمس في تاريخ رجـــال الاندلس ، نشر كوديرا ، مدريد سنة ١٨٨٤ .

٩ – اسماعيل بن عامر الحميري – البديع في وصف الربيع ، نشر هانري باريس . الرباط سنة ١٩٤٩ .

١٠ – ابن بسام – الذخيرة . القاهرة سنة ١٩٤٥ .

١١ – ابو بكر علي بن محمد بن حجة الحموي – خزانة الادب وغاية الارب . القاهرة سنة ١٨٨٥ .

١٢ – البيضاوي ، عبد الله بن عمر – انوار التنزيل واسرار التأويل . القاهرة .

١٣ – جمال الدين القفطي – اخبار العلماء في اخبار الحكماء . ١٣٢٦ – ١٩٠٨ .

١٤ – حاجي خليفة – كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون . القسطنطينية سنة ١٩٤١ .

١٥ – ابن حزم – الفصال في الملل والنحل (وعلى الهامش الملل والنحل للشهرستاني) . القاهرة سنة ١٣١٧ – ١٨٩٧ .

١٦ – حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف – عبيد الله المهدي . القاهرة سنة ١٩٤٧ .

١٧ – الحصري ، ابو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني : زهر الآداب وثمر الالباب ، القاهرة ١٩٥٣ .

١٨ – حنا الفاخوري – تاريخ الادب العربي . حريصة لبنان – سنة ١٩٥١ .

١٩ – ابن خاقان – مطمح الانفس القسطنطينية سنة ١٣٠٢ – ١٨٨٤ .

٢٠ – ابن خلدون – كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر او التاريخ . القاهرة سنة ١٢٨٤ – ١٨٦٥ .

٢١ – ابن خلكان – وفيات الاعيان او وفيات . القاهرة سنة ١٩٤٩ .

٢٢ – ابن رشق القيرواني – ابو علي الحسن . العمدة . القاهرة ١٩٠٧ .

٢٣ – زاهد علي – تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني . القاهرة سنة ١٣٥٢ – ١٩٣٣ .

٢٤ – سعيد الخوري الشرتوني – اقرب الموارد . بيروت ١٨٨٩ .

٢٥ – ابن سيدة ابو الحسن بن اسماعيل : المخصص القاهرة سنة ١٣١٦ – ١٣٢١ – ١٧٩٨ – ١٩٠٣ .

٢٦ – شرح لحة من تاريخ المعز مجهولة المؤلف ، مخطوطة في الاسكوريال رقمها ١٧٦١ .

٢٧ – الشهرستاني – الملل والنحل (بهامش الفصال لابن حزم) . القاهرة سنة ١٣١٧ – ١٨٩٧ .

٢٨ – شوقي ضيف – الفن ومـــذاهبه في الشعر العربى . بيروت سنة ١٩٥٦ .

٢٩ – الضبي – انظر احمد بن يحيي .

٣٠ – عارف تامر – اربع رسائل اسماعيلية . سلمية سورية ، الاقليم الشمالي سنة ١٩٥٢ .

٣١ – عبد الحي بن العماد – شذرات الذهب في اخبار من ذهب . القاهرة سنة ١٣٥٠ – ١٩٣١ .

٣٢ – عبد القاهر البغدادي – الفرق بين الفرق . القاهرة سنة ١٩٤٨ .

٣٣ – عبد الواحد المراكشي – المعجب في تلخيص اخبار المغرب . القاهرة سنة ١٩٤٩ .

٣٤ – عبد الوهاب عزام – ديوان ابي الطيب المتنبي . القاهرة سنة ١٣٦٣ ١٩٤٤ .

٣٥ – ابن عذارى – البيان المغرب في اخبـار الاندلس والمغرب . نشر كولان بروفنسال لايد ١٩٤٣ .

٣٦ – ابن عذارى – البيان المغرب في اخبـــار الاندلس والمغرب . نشر صادر . بيروت ١٩٥٠ .

٣٧ – ابو العلاء المعري – رسالة الغفران . نشر كامل كيلاني . القاهرة سنة ١٩٢٥ .

٣٨ – على بن موسى بن عبد الملك ، ابن سعيد – رايات المبرزين وغايات المميزين . نشر اميليو غارسيا غومس . مدريد سنة ١٩٤٢ .

٣٩ – علي بن موسى بن عبد الملك ، ابن سعيد – المغرب في اخبار المغرب. نشر شوقي ضيف . القاهره سنة ١٩٥٣ .

٤٠ – عمر الدسوقي – اخوان الصفا . القاهرة سنة ١٩٤٧ .

٤١ – ابو الفدا ، اسماعيل بن ابي الحسن علي بن ابي الفتح – التاريخ . القاهرة سنة ١٨٦٧ .

٤٢ – ابن الفرضي – تاريخ علماء الاندلس – نشر كوديرا . مدريد سنة ١٨٩٠ – ١٨٩٢ .

٤٣ – قاضي نعمان بن محمد – كتاب الاقتصار – نشر محمد وحيد مرزا – . دمشق سنة ١٩٥٧ .

٤٤ – القفطي . انظر جمال الدين .

٤٥ – كامل كيلانى – نظرات في تاريخ الادب الاندلسى . القاهرة سنة ١٩٢٤ .

٤٦ – كرم البستانى – ديوان ابن هانى . بيروت ١٩٥٢ .

٤٧ – المؤيد في الدين داعى الدعاة – ديوان – نشر محمد كامل حسين . القاهرة ١٩٤٠ .

٤٨ – محمد بن ايوب بن غالب – نص اندلسى جديد من كتاب « فرحة الانفس في تاريخ الاندلس » نشر لطفي عبد البديع . القاهرة ١٩٥٦ .

٤٩ – محمد مرتضى الزبيدي – تاج العروس . القاهرة ١٣٠٦ – ١٨٨٨ .

٥٠ – محمد بن عبد الحليم بن زرع – الانيس المطرب القرطاس في اخبار ملوك المغرب ومدينة فاس . مخطوط في المعهد المصري للدراسات الاسلامية

في مدريد رقم ٨٦ النسخة ١٨٩٦ .

٥١ – محمد عبدالله عنان – تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة . القاهرة سنة ١٩٢٦ .

٥٢ – محمد عبد الله عنان – دولة الاسلام في الاندلس. القاهرة سنة ١٩٥٢.

٥٣ – محمد عبد المنعم خفاجي – قصة الادب في الاندلس. القاهرة سنة ١٩٥٦

٥٤ – محمد فؤاد عبد الباقي – المعجم المفهرس لالفاظ القرآن . القاهرة ١٣٦٤ – ١٩٤٤ .

٥٥ – محمد كامل حسين – في ادب مصر الفاطمية . القاهرة سنة ١٩٥٠ .

٥٦ – محمد لسان الدين ، ابن الخطيب – الاحاطة في اخبار غرناطة . القاهرة سنة ١٣١٩ – ١٩٠١ .

٥٧ – مصطفى الرافعي – تاريخ ادب اللغة العربية . القاهرة سنة ١٩٤٠ .

٥٨ – المقري – نفح الطبيب . القاهرة سنة ١٩٤٩ .

٥٩ – ابن منظور ، جمال الدين محمد بن جمال الدين – لسان العرب . القاهرة سنة ١٣٤٨ – ١٩٢٩ .

٦٠ – ابن النديم – الفهرست . القاهرة سنة ١٣٤٨ – ١٩٢٩ .

٦١ – هاشم معروف – عقيدة الشيعة الامامية . بيروت سنة ١٩٥٦ .

٦٢ – ابن هاني الاندلسي – تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني لزاهد علي . القاهرة سنة ١٣٥٢ – ١٩٣٣ .

٦٣ – ابن هاني الاندلسي – ديوان . نشر كرم البستاني . بيروت سنة ١٩٥٢ .

٦٤ – ياقوت الحموى – معجم الادباء – نشر احمد الرفاعي . القاهرة القاهرة سنة ١٩٣٦ .

٦٥ – ياقوت الحموي – معجم البلدان القاهرة سنة ١٩٠٦ .

المراجع الاجنبية

1 — Asin Palacios, Miguel: Ibn Masarra y su escuela Madrid 1964,

2 — Carlos Bousono : Teoria de la expression poética, Madrid 1956.

3 — Carra de Vaux : Les Penseurs de l'Islam Paris 1926.

4 — R, P, A, Dosy : Histoire des Musulmans d'Espegne. Leyde 1861.

5 — R. P. A. Dosy Dictionnaire Détaillél des vêtements chez les Arabes. Amesterdam et Muller 1845.

6 — De Slane, le Baron: Catalogue des manuscrits arabes de la Bibiiotèque Nationale. Paris 1883,

7 — Encyclopédie de l'Islam. Leyde—Paris 1913,

8 — Emilio Gracia Gomez; Mutanabbi et Ibn Hani Extrait de Mélangss William Marçais. Paris 1950,

9 — Francisco Pon Boigues : Ensayo bio-bibliografico sobre los historiadores y geograf os arabigo-eopagnoles, Madrid 1898.

10 — Henri Pérès: La poésie andalouse en arabe classique au XI siècle. Paris 1953.

11 — Institu egipcto: Revista (revue) 1—2 Madrid 1954,

12 — Juan Vernet; El Coran. Traduction y prologuo Barcelona 1953.

13 — Levy provencal: Historia de la Espana Musulmana (Traduccion Emilo Cracia Gomez), Madrid 1935—40·

14 — Manuel Ocana Jimenez; Tablas de conversion de datas islamicas a cristianas y vice versa, Mabrid - Granada, 1946.

15 — Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'Occident Musulman. (Revue) Hom - mage à Georges Marçais. Alger 1957.

طبع على مطابع شركة الطباعة الحديثة
شارع مستشفى الروم – الجميزاوي

ابن هانيء الاندلسي دراسة ونقد

تأليف الدكتور منير ناجي

يعد اول كتاب يلقي نظرة شاملة على شاعر اسماعيلي لم يحاول من قبل اي باحث ان يدرسه . درس هذا الشاعر على ضوء العقيدة الاسماعيلية كما توصل اليها المؤلف، بالاضافة الى ذلك فهو دراسة نقدية ذات قيمة حاول المؤلف ان يستنتج منها المظاهر الحضارية في زمن الشاعر . تعمق في دراسة أثر العقيدة في شعره ودرس الفوارق الشعرية التي امتاز بها الشاعر « ابن هاني الاندلسي » ثم قارن بينه وبين المتنبي واعطى رأيه بوضوح .

فالكتاب دراسة موضوعية قيمة توخى المؤلف فيها الحقائق واعرض عن الظن والتخمين .

الثمن : ٥٠٠ ق . ل . او ما يعادلها